مجالس الشوق والذوق في سيرة الصادق المصدوق

من مجالس الشيخ سمير مصطفى

تحقيق وتأليف
عبدالرحمن بن محمد بن طراد

يليه إيقاظ القلوب رسائل عبدالرحمن بن طراد

مجالس الشوق والذوق في سيرة الصادق المصدوق

من مجالس الشيخ سمير مصطفى

تحقيق وتأليف

عبدالرحمن بن محمد بن طراد

عبدالرحمن محمد طراد

يا مصطفى والكون يشهد فضله
زادت بذكرك في القلوب أنوار
صلى عليك الله ما همت صبا
ريح، وما ناحت على فنن أطيار

رسائل من عبدالرحمن طراد

"من ظلمات الهمّ إلى نور اليقين"

إنّ الحزنَ والألمَ ليسا إلا إشاراتٍ يبعثُها القلبُ ليُخبر صاحبه أنّ بوده مثقلة، وأنّ في داخله ما يحتاج إلى بوحٍ وتغيير. وقد أثبتت دراسات علم النفس أنّ تبادل المشاعر والتعبير عمّا يدور في النفس يُخفّف من حدّة الألم، ويعيد ترتيب الفكر ويقوّي نمط التفكير الإيجابي.

فالمشاعر حين تُكتم تتكاثر، وحين تُقال تتناقص.

ومع أنّ للأسباب النفسية أثرًا، إلا أنّ الفرج الحقيقي الذي يقتلع جذور الهمّ اقتلاعًا لا يأتي إلا من بابٍ واحد.. بابٍ وضع الله فيه راحة القلوب، وسكينة الأرواح، ونورًا يبدّد الظلمات.

إنّه باب الصلاة.

فركعتان خاشعتان – ولو في جوف الليل – قادران على أن ينتقلا بالإنسان من مستنقع الهموم إلى رحابة النور؛ نورٍ يملأ القلب طمأنينة، ويغسل الروح من غبار الأيام، ويذكّر العبد بأنّ له ربًا كريمًا لا يُخيّب من لجأ إليه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذا المعنى حين قال:

"أرحنا بها يا بلال"؛

فلم تكن الصلاة عبئًا، بل كانت راحةً، ودواءً، ومرفأً لقلبٍ أثقلته الحياة.

وقال تعالى:

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

فلم يقل تهدأ، بل تطمئن.. والطمأنينة أعلى درجات السكون.

هدف الرسالة

أن تُدرك – أيها القارئ – أن الحزن لا يُعالج بتجاهله، ولا الألم يزول بتناسيه، وأنّ العلم يُرشدك إلى التعبير والبوح، بينما الدين يفتح لك أعظم بابٍ للشفاء..

باب السجود.

فاجمع بين السبب النفسي والسبب الإلهي، لتسير على طريقٍ مستقيم يجمع العلم بنور الوحي.

ختام على نهج القرآن والسنة

فيا من أثقلته الهموم، لا تجعل دمعك مقبرةً لروحك؛ اجعل منه طريقًا يقرّبك إلى الله.

واعلم أنّ من لزم الدعاء والصلاة، وتوكّل على الله حقّ التوكل – على عقيدة أهل السنّة والجماعة – فإنّ الله يفتح له من الأبواب ما لم يكن يتخيّله.

وما بين الحزن والفرج.. ركعتان فقط قد تغيّر مسار حياتك.

الحمدلله رب العالمين وبه نستعين وصلي الله عليه وسلم وعلي آله وأصحابه أجمعين .

الشيخ سمير مصطفي حفظه الله وفك أسرَه ؛ أُحبك في الله .

العبد الفقير إلي الله : عبدالرحمن محمد طراد

أعبر عن حبي لشيخنا وأقول :

أنا ابنُ سميرٍ، شيخُنا ومعلّمي ومِن هُداهُ تشكّلت الألبابُ

نَهلتُ من العلمِ الجليلِ مصاحِبًا وبنورِه قد أشرقتْ الأسبابُ

أنا الغصنُ من دوحةِ العلمِ قد نبتُّ وسميرُ علمي والجلالُ، له النّدى

كتاب :

مجالس الشوق والذوق في سيرة الصادق المصدوق ﷺ

ويليه كتاب

إيقاظ القلوب... رسائل عبدالرحمن بن طراد

تحقيق وتأليف : عبدالرحمن محمد علي "بن طراد"

تنبيهٌ وتمهيدٌ لطالبِ النور

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الكائنات محمدٍ ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد...

فهذا الكتابُ الذي بين يديك هو ثمرةُ جهدٍ متواضعٍ، وتحقيقٍ كاملٍ، وتأليفٍ خالصٍ لوجه الله عز وجل ولرسوله ﷺ ولأمّة الإسلام؛ بذلتُ فيه وسعي، وجمعتُ مادته من محاضرات الشيخ سمير مصطفى – حفظه الله – ثم أتبعتها برسائل علميّة وحياتيّة تُعين السائرين إلى الله، وتوقظ النفوس الغافلة، وتربط القلب بمولاه.

وقد جعلتُ هذا العمل هديّةً للأمّة، أقدّمها بلا مقابل، ابتغاء وجه الله وحده، وحرصًا على نشر الخير والمعرفة النافعة.

وأنبّه هنا إلى أمرٍ مهم:

لا يجوز لأحدٍ طباعةُ هذا الكتاب أو إعادة نشره أو تغييره أو إسقاط شيءٍ من معانيه أو تحريف لفظٍ فيه إلا بإذني الصريح، وذلك صيانةً للكلام، وحفظًا لحقّ العلم، ومنعًا من العبث الذي قد يفسد مقصده وروحه.

أمّا النشر الإلكتروني والمجاني فسوف أتولّاه بنفسي على مختلف المنصّات، حتى يصل كما أردتُ له أن يصل، نقيًّا، واضحًا، محكمًا، بلا زيادةٍ ولا نقصان.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل نورًا لمن قرأه، وبابًا للتوبة لمن طرقه، وسبيلاً للهداية لمن أراد وجهه، وأن ينفعني وإياكم بما كتبنا وقرأنا، وأن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم.

والله وليّ التوفيق :

عبدالرحمن بن طراد

• إهداء

– إلى من غرَسوا في قلبي نور العلم، وغمروني بدعائهم، وربّوني على مكارم الأخلاق...

– إلى والديّ الكريمين، تاج رأسي، ونبع عطائي، وسند أيامي... جزاكما الله عني خير الجزاء، وجعل تعبكما في موازين حسناتكما، وجمعني بكما في الفردوس الأعلى.

– إلى أختي وأخي، وإلى كل أفراد عائلتي الطيبة الكريمة، منار الحنان والدعم، وكل من حمل همّي أو دعا لي أو أعانني يومًا في دربي.

– إلى معلمِيَّ في سنوات الدراسة، وإلى أساتذتي ومشايخي الذين علّموني، وربّوني على حب الله ورسوله، فكانوا أنوارًا في طريقي، وسببًا في تشكل هذا النتاج.

– إلى أصدقائي الذين أكرمني الله بهم، وكانوا عونًا وسندًا في الطريق الطويل... حفظكم الله وبارك فيكم.

– إلى مشايخنا وعلمائنا الربانيين الذين ثبتوا في زمن الفتن، وحملوا ميراث النبوة وهم أمناء عليه، ومنهم شيخُنا الجليل فضيلة الشيخ سمير مصطفى، الذي كان هذا العملُ في الأصل نفحة من مجالسه الطيبة وكلماته المؤثرة.

– وإلى أسرته المباركة، التي كانت له سكنًا وسندًا، فكانوا شركاء في كل أثر مبارك خلّفه.

– وإلى كل من يفتح هذا الكتاب، ويقرأ حرفًا منه... أسأل الله أن يجعله نافعًا لك، وسببًا في رفعتك، وبابًا للتأمل والتغيير، وأن يُكتب لك من الأجر ما يرضي قلبك يوم تلقى ربك

– أهدي إليكم هذا الجهد، حبًّا ووفاءً، واحتسابًا لله وحده، سائلًا ربي أن يجعله صدقة جارية لي ولكم، ولكل من دلّ عليه .

– وأتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى صديقي العزيز مروان محمد، الذي ساعدني وساندني في تصميم غلاف هذا الكتاب، فجزاه الله خيرًا على جهوده ومساعدته القيمة.

في وصف الكتاب ولماذا كتبته :

هذا الكتاب ليس مجرّد أوراقٍ تجمع كلماتٍ وعظية أو مواقفَ من السيرة، بل هو نبضُ مجلسٍ عاشه الناس مع الشيخ سمير مصطفى، حيث اجتمع الإيمان والدمع، وانطلقت الكلمات من قلبٍ تشرّب محبة النبي ﷺ، إلى قلوب عطشى إلى النور واليقين." ؛ في هذه الصفحات، تجد مجالس إيمانية حيّة، جمعت بين الشوق إلى النبي ﷺ، والتذكير العملي بالتوحيد، والتربية القلبية من خلال السيرة والشمائل. لم تكن هذه الكلمات دروسًا أكاديمية ولا سردًا تاريخيًا، بل كانت تجليات وجدانية، يُخاطَب فيها القلب والعقل، وتتأصل فيها العقيدة والسنة في كل جملةٍ وصورة ؛ الكتاب ثمرةُ جهد تحقيقٍ دقيق، ونقل أمين، وتحرير علمي وروحي، هدفه أن يُنقل جوُّ المجلس بكل ما فيه من مشاعر وتعظيم وشوق إلى حضرة الحبيب ﷺ، ويُقرّب للناس شمائله، ويبعث في النفوس الحياء والرجاء والعمل.

كل فصل في هذا الكتاب هو مجلسٌ من المجالس، فيه ذِكر، وفكر، ودمعة، وحنين، وسجدة قلبية بين يدي الله، تأخذ القارئ من الأرض إلى السماء، ومن المشاغل إلى المحبة، ومن الغفلة إلى اللقاء. نسأل الله أن يجعل هذا العمل مباركًا، نافعًا، شاهدًا لك لا عليك، وأن يرزقك الإخلاص والقبول، وأن يحيي به قلوبًا، ويوقظ به أرواحًا.

ويليه مجموعة رسائل كُتبت بمداد التأمل والخشوع، جمعتُ فيها بين العلم الذي يُنير الطريق، والدين الذي يُحيي القلب، والفكر الذي يُوقظ العقل.

ستجد في طيّاته رسائل تُحدّثك كأنها تعرف ما في صدرك، وتربّت على قلبك كيدٍ رحيمة، وتدفعك إلى أن تنظر للحياة بعينٍ أخرى... عينٍ تبصر الحقّ، وترى أثر النور حين يتسرّب إلى أعماقك.

إنه كتاب يُخاطب الإنسان بكل مكوّناته: قلبه الذي يأنّ، وروحه التي تشتاق، وعقله الذي يبحث، ونفسه التي تتقلّب بين ضعفٍ وقوّة ؛ وفي كل رسالة منه حكمةٌ تُوقِد، وتنبيهٌ يُوقِظ، ونداءٌ يُعيدك إلى الله مهما ابتعدت ؛إنه ليس مجرد كلمات، بل مكاشفاتٌ تُعيد ترتيب الداخل، وتبني جسورًا بين العبد وربّه، وبين الإنسان وذاته، وبين الفكر والحياة.

هذا الكتاب هو بوصلةٌ لمن ضلّ الطريق، ونفحةُ أملٍ لمن أرهقته الأيام، ورفيقٌ لطالب النور، يمضي معه خطوةً خطوة في طريق الإصلاح والعودة.

⟐ مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي رفع بالعلم أهله، وأعلى منازلهم في الدنيا والآخرة، وجعلهم شهداء على عباده، وجعل ميراث النبوة محفوظًا في صدورهم وأقلامهم، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، ومُبلغ الرسالة، ومؤدي الأمانة، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد منَّ الله عليّ بتوفيقٍ لا يُقَدَّر بثمن، أن أكون ممن سمع وتأثّر واستفاد من مجالس الشيخ الواعظ، والخطيب المؤثر، فضيلة الشيخ سمير مصطفى حفظه الله، ذلك الرجل الذي جمع الله له بين فصاحة اللسان، وقوة الحجة، وتأثير القلب، وسداد المنهج، وصدق التوجه إلى الله، ومحبة النبي ﷺ المحرّكة للأرواح.

ولم يكن لقائي بهذا العلم المبارك لقاء عابرًا، بل كان سماعًا دؤوبًا، وتأملًا طويلًا، ومجالسةً روحية عبر الأثير، إذ وفّقني الله لاستماع أكثر من (**120** مقطعًا صوتيًا) من دروسه ومجالسه، التي ألقاها في مناسبات متفرقة، ومواضيع متنوعة، كلها تدور حول السيرة النبوية، وتزكية النفوس، وتعظيم الله، والتعريف بشمائل النبي ﷺ، وردّ الشبهات، وبثّ المحبة والاتباع بين الناس.

ومع تكرار الاستماع والكتابة، تولّدت في القلب محبة صادقة لهذا الشيخ المبارك، فوجدتني مدفوعًا إلى ردّ الجميل، وخدمة هذا العلم النافع، وتيسير الإفادة منه للناس كافة، فرأيت أن من الواجب عليّ أن أجمع هذه المجالس، وأن أُعيد صياغتها صياغة فصيحة محرّرة، بأسلوب لغوي متين، يحفظ روح الشيخ وتأثيره، ويرتقي بمستوى العرض والتلقي، حتى تكون هذه المجالس رسالة نافعة للأمة بأسرها، لا لجيل واحد، ولا لقوم دون آخرين.

✍ منهج التحقيق والصياغة

وقد التزمت في هذا العمل بمجموعة من الضوابط المنهجية التي أرجو أن تكون ضامنة للدقة، ومحافظة على أصالة المادة، ومؤدية للغرض العلمي والتربوي، ومن أبرز هذه الضوابط:

الاعتماد على التسجيلات الصوتية للشيخ نفسه، دون نقلٍ ثانوي أو تصرف خارجي، مع السماع الدقيق لكل لفظٍ ومعنى، وإعادة الاستماع عند الحاجة، للتحقق من السياق.

إعادة الصياغة اللغوية للمحتوى إلى لغة عربية فصيحة، سليمة من اللحن، واضحة في البيان، مع الحفاظ التام على المعنى والمقصد، وعدم تغيير المحتوى أو تحريفه بأي وجه.

الحفاظ على الطابع الوعظي والخطابي المؤثر، الذي يميز دروس الشيخ، فالمادة لم تُجفف أكاديميًا، بل صيغت بأسلوب يناسب جمهور المتلقين، مع توخي البلاغة، وقوة التأثير، وروح الإيمان.

توثيق النصوص الشرعية بدقة:

توثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

تخريج الأحاديث النبوية، مع بيان درجتها، ومصدرها الأصلي (كالكتب الستة)، وبيان حكم العلماء عليها، لا سيما الشيخ الألباني رحمه الله، إن وُجد.

نسبة الأقوال إلى السلف الصالح والعلماء المحققين، بذكر المصدر كلما أمكن.

التحقيق العقدي والمذهبي للمادة، بحيث يُبنى على أقوال السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، مع تجنّب أي انحرافات أو أفكار مشبوهة، وتصفية المادة من شوائب الفرق المبتدِعة والمشككة، وتثبيت المسار على منهج أهل الأثر، لا سيما في المسائل العقدية الحساسة.

توضيح المشاهد الإيمانية والوجدانية التي يطرحها الشيخ، كتصويره لمشهد صعود الصلاة، واستحضار عالم الملكوت، ومقام الذل لله بعد الصلاة، بأسلوب سردي تربوي، مع ربطها بالأدلة من النصوص وأقوال العلماء، كي يكون للقارئ حظ من الفهم والذوق، لا مجرد النقل.

الترتيب الموضوعي للمجالس: إذ تم تقسيم المادة إلى "مجالس"، كل مجلس يحمل عنوانًا يعبر عن موضوعه، مع الحفاظ على تسلسل المعاني وترابطها، وعدم تقطيع السياقات المؤثرة التي يعتمد فيها الشيخ على الإيقاع الروحي والانفعالي المتتابع.

الاهتمام بإبراز محورية السيرة النبوية في المجالس، فجعلت شمائل النبي ﷺ، ومواقفه، وهديه، منطلقًا للتربية والإصلاح، كما كان هو المحور الرئيسي في كلام الشيخ.

لماذا هذا الكتاب؟

إن هذا الكتاب ليس مجرد مادة علمية، بل هو مشروع تربوي متكامل، يهدف إلى:

نقل علم الشيخ سمير مصطفى إلى الناس في صورة مكتوبة خالدة.

جمع كلماته المؤثرة وتنقيحها، لتكون في متناول طلبة العلم، والدعاة، وعامة المسلمين.

مساعدة القارئ في بناء عقيدته وتزكية نفسه ومحبته للنبي ﷺ، في زمنٍ تكاثرت فيه الفتن، وضعُف فيه أثر المنابر.

هو كتابٌ يُقرأ بالعقل، ويُحسّ بالقلب، ويُخاطب الروح قبل السطور. يجمع بين العقيدة والسيرة، بين المحبة والاتباع، بين العلم والتزكية.

رسالة شخصية إلى الشيخ سمير مصطفى

يا شيخنا الحبيب، إن هذا العمل هو أقل ما يُهدى إليك، وفاءً وتقديرًا، لما غرستَ من معاني الإيمان في قلوبنا، ولما بثثتَ من حبّ الله ورسوله في دروسك ومجالسك.

لقد تعلمت منك أن العلم ليس كلامًا محفوظًا، بل حياة تُعاش، وخوف يُستشعر، ودمعة تُسكب، وسجدة تُقرّب ؛ فأسأل الله أن يجعل هذا العمل صدقة جارية في صحيفتك، وأن يرزقني الإخلاص والقبول، وأن ينفع به كل من قرأه، وسمع كلماته، وتأثر بها.

ترجمه لشيخنا حفظه الله وقد أخذتها من الجروب التيليجرام الرسمي :

اسْمُـه:

أبو عبدالرحمن سمير بن مصطفى السيوطي (نسبة لأسيوط) الشافعي (مذهبًا) – من سكان مدينة حلوان بالقاهرة

طَلَبُـه للعِلْـمِ:

▪درس الشيخ الصحيحين والمصطلح علي الشيخ حسن أبو الأشبال الزهيري –فك الله أسره– ودرس على الشيخ أبي اسحاق الحويني –شفاه الله وعافاه– بعضًا من صحيح البخاري والمصطلح، ودرس بعضًا من الفقه وأصوله علي الشيخ محمد عبد المقصود العفيفي –حفظه الله–.

▪ومِن شيوخه الكِبار العلامة عطاء بن عبد اللطيف بن أحمد –حفظه الله تعالى– وفي السنوات العشر الأخيرة كان ملازمًا للشيخ/ محمد حسين يعقوب –حفظه الله–

خُطَبه ودروسـه:

▪ألقى الشيخ المئات من الخطب داخل حلوان والقاهرة والجيزة وطاف غالب محافظات مصر داعيًا إلى الله بخطبه ومحاضراته وبعض الأسابيع الثقافية والندوات، وبعض المؤتمرات.

له العديد من الشرائط الصوتية قبل وجود التصوير المرئي للمواد مثل (علو الهمة، كتائب محمد، وقام المارد العملاق، عذرا رسول الله، أخبار الخائفين من رب العالمين، عمر المختار، التوبة، التوحيد، حينما تزهر الحروف، دقات غالية...إلخ)

كذلك له العديد من السلاسل التربوية والمنهجية والعقدية منها على سبيل المثال (شرح كتاب الفوائد، شرح كتاب الوابل الصيب، سلسلة جحر الضب) ،

أما في باب الاعتقاد فله مثلًا: (سلسلة القضاء والقدر، سلسلة شرح آية الكرسي...)

كما كان له اهتمام بشرح بعض الأبواب من كتب السنة كشرح كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من صحيح الإمام مسلم.

📖 أما في السيرة فهذا باب له فيه بصمة كبيرة فقد كان يقوم بشرحها يوم السبت بمسجد بلال بمدينة نصر، وكذا كان يشرحها بالمدرسة الربانية بمسجد رب العالمين بـ 6 أكتوبر)

🌍 أما في التاريخ فحدث ولا حرج فهو فارسها وباري قوسها فالشيخ من أكثر من أمتع الناس بتاريخ أمتهم المجيد حيث كان يبث في المستعمين روح العزة والكرامة وعلو الهمة في كل خطبة من خطبة ومسجد الهداية يشهد ومنبره يشهد، يا أيها الناس إن أمتنا لها تاريخ مجيد عظيم.

وله العديد من الخطب في شرح تفسير السور القصار من جزء عم.

▪أما إذا خطب في الناس، فكأنه منذر جيش يُحلق بك في سيرة النبيﷺ وأصحابه ﷺ في سلسلة أُسدِ الغابة أو رجال في الظل تارة، وفي عقائد البلاء تارة، والتعريج على الواقع وربطه بالسيرة تارات.

📨 أما عن اهتمامه بشأن المسلمين العام فكان لا يترك فرصة إلا وذكَّر الناس بقضية فلسطين أو العراق أو سوريا وما يحدث في بلاد المسلمين، فكان -حفظه الله- عنده إسقاط لأحداث التاريخ على واقعنا بشكل عجيب تكاد ترى أن التاريخ والواقع متطابقان جدًّا.

□ **مؤلفاتـه:**

له من المؤلفات رسالتان: الأولى: وهي ترجمة لشيخه: عطاء بن عبداللطيف -متعه الله بالعافية-، والثانية اسمها: أنين المساجد مِن عَبَث الساجد.

□ والشيخ صاحب طرفة حاضرة، وخفة ظل قَلَّ أن تجدها في الدعاة اليوم، ولكنها دعابة صادقة من دون تكلف ولا كذب وكذلك لا تنقص من هيبة الشيخ وحشمته -فك الله أسره-.

💌 أما مع إخوانه لا أقول طلابه فهو أخوهم الكبير لا يقبل من أحد أن يقبل يده أو يرفعه فوق مكانته أو يغلو فيه -عفا الله عنه-.

❌ محنته: ❌

🎓 أما محنته –فك الله أسره– فكان عام **2017** متوجهًا لأداء العمرة فألقي القبض عليه في مطار القاهرة ووجهت له بعض التهم الجاهزة والمعلبة التي لا أساس لها من الصحة وتم تبرئته منها، ثم أدخلوه في غيرها ؛ نسأل الله أن يفك أسر الشيخ عاجلًا غير آجل.

😬 هذا غيض من فيض، وقليل من كثير مما طرأ على الذهن على عُجالة، وإلا فالشيخ لا تفي كلماتي في حقه ومن كان له إضافة فليضعها في التعليقات مشكورًا.

خاتمة

هذا هو عملي، بذلت فيه ما استطعت، نقلًا، وتحريرًا، وتوثيقًا، وإعدادًا، وما كان فيه من توفيق فمن الله وحده، وما كان فيه من تقصير أو خطأ فمني ومن الشيطان.

أسأل الله عز وجل أن يُبارك فيه، وأن ينفع به الأمة، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه / محقّق الكتاب

" عبدالرحمن محمد طراد "

في سبيل إحياء كلام العلماء الربانيين، وخدمة العلم الشرعي، ونشر السيرة النبوية العطرة في ثوبها الإيماني الحيّ .

و شعاري هو كما أخذته علي شيخنا حفظه الله .

" أنتمي إلي الشيخ ولا أقدسه "

وسوف أذكر قصيدة شعرية وأبيات من قلبي للشيخ بعد أن أنتهي من الكتاب الأول وإليكم :

مجالس الشوق والذوق في سيرة الصادق المصدوق ﷺ

(1)

باب

حول تعريف عام عن السيرة النبوية الشريفة و أحوال الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم و مع التابعين و العلماء رحمهم الله

أن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه واله وسلم اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وال بيته كما صليت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وازواجه وذريته وال بيته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد اما بعد :

فان اصدق الحديث كلام الله تعالى واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه واله وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثه بدعه وكل بدعه ضلاله وكل ضلاله في النار ثم اما بعد .....

فهذا هو **المجلس الاول**

ايها الاخوه من مجالس السيره النبويه على صاحبها افضل صلاه وازكى تسليم

أعلم رحمك الله ان هذه السيره حتى تسقطها على الواقع فانت تحتاج الى وقت غير قليل فهي ليست مادة مقرارة انها رحلة ايمانية عقدية ؛ وقد أوصي بها الشيخ حفظه الله ونفعنا بعلمه هذا النص "" ارجو ان اتعاقد مع الاخوه من المجلس الاول بعقد اخذه على نفسي وعليكم ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا في قلبك ربما ندرس نحن ان النبي صلى الله عليه وسلم ان كان قد غاب عن حياتنا الدنيا فانه في قبره حي عليه الصلاه والسلام ليس كذلك بلى وفي قبره حيا عليه الصلاه والسلام هذا ما تدرسه عقديا نريد ان ننقل هذا المعنى ايضا في قلبك ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلبك وخلدك ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم معظما لديك و أصل التعظيم المحبه كما ذكر اهل العلم ان المحبه انما هي غايه الحب ويجب ان يكون عظيم في قلبك عليه الصلاه والسلام "" [1]

جاء في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي رحمه الله أن أحمد بن حنبل رحمه الله حين صدع بعقيدته في مسألة خلق القرآن أيام الخليفة الواثق وابتلي في ذلك بلاء عظيماً قرر الاختفاء حتى مات الواثق قال إبراهيم بن هاني: (اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام .. ثم قال أطلب لي موضعاً حتى أتحول إليه.

---

1 – أقول وبالله التوفيق ؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي حياة برزخية لا يعلم أحد كيفيتها إلا الله سبحانه وتعالي ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ { إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ } أخرجه النسائي (1282)، وأحمد (3666) الإسناد حسن ؛ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:{ لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ } أخرجه أبو داود (2042) واللفظ له، وأحمد (8790) الإسناد صحيح ؛ واعلم حفظك الله أن للنبي له مكانه عظيمه عند الله لقوله تعالي : { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (الاحزاب – 56) ؛ والرسول أفضل قدوة حسنة لنا .

قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله. فقال: إفعل! فإذا فعلت أفدتك، وطلبت له موضعاً فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، ليس ينبغي أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في الرخاء ويترك في الشدة) انظر أيها القارئ عن مدي حرص الإمام أحمد بفعل من أفعال الرسول ﷺ

يقول شيخنا الفاضل "يا اخوانا أن محنه العصر هي أن الشريعه ليست عظيمه في قلوبنا "[1]

أعلم رحمك الله أن قراءة السيرة له فوائد عدة و أولها ؛أنها تصنع إنسان .

يقول المباركفوري رحمه الله :{ زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيل، ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ نبي الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه، كائنًا ما كان، فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادى المحَصَّبِ فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل)}[2] وأيضا لم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة ولا بيعًا إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود .

هذا ما عانوا لنشر الإسلام تصل أن ياكلوا أورق الشجر لمده ثلاث سنوات هل لديك القدرة علي تحمل هذا ؛ أن تطبيق الشريعة الإسلامية تحتاج إلي إنسان حقيقي يستوعب مدي أهميتها ومكانتها فهي مُحكمه .

ومن الطراف المضحكه أن زعماء قريش كانوا يحاربون الرسول بالرغم من علمهم بانه علي صواب ؛ قال ابن إسحاق : وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنم ، يقال له سعد ، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة . فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه ، التماس بركته ، فيما يزعم ؛ فلما رأته الإبل ، وكانت مرعية لا تركب ، وكان يهراق عليه الدماء ، نفرت منه ، فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها الملكاني ، فأخذ حجرا فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفرت علي إبلي ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال : أَتَيَنَا سَعْدٌ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا

---

1 – أقول وبالله التوفيق : أن قيام الشريعة بشكل صحيح هو أن نصلح حالنا مع الله ونلتزم بكتاب الله واتبع السنة النبوية الشريفة وهدي الصحابه الكرام والتابعين ؛ من هنا سوف تكون الشريعة عظيمة في قلوبنا بإذن الله .

2 – من كتاب الرحيق المختوم

فَشَتَّتَنَا سَعْدُ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بَنْتُوفَةٌ مِنْ الْأَرْضِ
لَايَدْعُو لِغَيٍّ وَلَا رُشْدٍ [1]

أيضا كانوا في الجاهلية يستقسمون بالأزلام

قال ابن جرير : كانوا في الجاهلية يعمدون إلى ثلاثة سهام على أحدها مكتوب " افعل " وعلى الثاني " لا تفعل " والثالث غفل . وقال الفراء : كان على الواحد " أمرني ربي " وعلى الثاني " نهاني ربي " وعلى الثالث غفل . فإذا أراد أحدهم الأمر أخرج واحدا فإن طلع الآمر ؛ فعل ، أو الناهي ؛ ترك ، أو الغفل ؛ أعاد .

يقول شيخنا الفاضل في ذكر فائدة قراءة السير وأنها تصنع إنسان يقول حفظه الله :

" الفائده الاولى هي من ذكر التاريخ ومعرفه السير والمغازي واخبار القوم هي : أن تقف على احوالهم واقدارهم بمعرفه سيرهم " وهو أن نعرف أيضا من هم صحبه الرسول ﷺ

فقد أصبحنا في زمن الفتن الكل يعرف الممثلين والمغنيين ولا يعلمون من هم الصحابه والتابعين وعن العناء الشديد الذي عانوا لكي يقدموا لنا الدين علي طبق من ذهب [2] قال الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾

جزاك الله خيرًا، فإنك إن تأملت ستجد أن ذكر أحوال الأمم السابقة، وما قدّره الله عز وجل، قد جاء مفصلًا في كتاب الله تعالى.

لقد وردت سير الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم مرات عديدة.

أتعلمون، أيها الإخوة، أن العلماء قالوا: إن القصص والتاريخ يشكّلان ثلث القرآن الكريم؟

ثلث كتاب الله الذي أُنزل ليكون هدىً للأمم وساسًا للحضارات، قد خُصِّص لسير السابقين وتاريخهم وأخبارهم.

وقد كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بهذه القصص، كما ورد في صحيح البخاري عن طارق بن شهاب، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

---

1 – السيرة النبوية (لإبن هشام)

2 – هذه مقولتي وأقول معلقاً عليها وبالله التوفيق ؛ لم تقلع الأمة علي ما هي فيه إلا أن تجعل رمضان شهر عبادة وليس شهر انتظار المسلسلات ، و أن تبتعد عن الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا تتخذهم مثل أعلي لأن كثير من شباب يقلد هؤلاء الجهلاء ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله .

"قام فينا رسول الله ﷺ، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. حفظ من حفظ، ونسي من نسي."

وفي رواية:

أن النبي ﷺ قام بعد صلاة الفجر، وما زال يحدّثهم، وكان ينزل ليصلي بهم كل صلاة، ثم يعود إلى المنبر، وما انتهى إلا بعد العشاء!

حدّثهم بكل شيء، منذ أن "كان الله ولم يكن شيء غيره"، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم.

فهل كان النبي ﷺ يحدّثهم عن التاريخ والسيرة؟

نعم، كان يفعل، بل كانت كتب السير والتاريخ في عهده موضع اهتمام عظيم.

أيها الإخوة، إن ذكر أخبار السابقين مطلوب في ذاته، لحفظ التراث، ولغرس العزة، ولتذكير الناس بمجد آبائهم، كي يقتدوا بهم.

ذُكر أن ولدًا لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، كما أورده القطب الحلبي في سيرته، قال:

"كان أبي يعلّمنا مغازي رسول الله ﷺ وسراياه، ويقول: يا بني، هذه شرف آبائكم، فلا تنسوا ذكرها."

كان يحفّظ أبناءه تفاصيل الغزوات: من كان القائد؟ وأين وقعت؟ ومتى؟ كأنها عقيدة تربوية في بيته.

تأملوا في البخاري، رحمه الله، حين ذُكر أمامه التابعي عطاء الكَخْراني في إحدى الروايات.

قال إسحاق بن راهويه: ما "كَخران" هذه؟

فسأل الطلاب، وهنا رفع الإمام البخاري يده وقال:

"هي بلدة في كذا وكذا، دخلها عطاء، فأقام فيها وقتًا، وحدث بهذا الحديث، ثم خرج منها."

فنظر إليه إسحاق متعجبًا وقال:

"كأنك كنت مع القوم يا أبا عبد الله!"

كأنك رافقت عطاء، وعشت معه التفاصيل!

انظروا إلى أي درجة بلغ حفظ البخاري!

قال يومًا:

"كان أنس بن مالك يَخطر على بالي، فأذكر مائة من تلامذته دفعة واحدة."

تأمّلوا هذا المشهد:

كان النبي ﷺ يمسح وجه أنس بيده الشريفة، فيتخيل البخاري ذلك، ويقول:

"بَخٍ بَخٍ يا أنس!"

هذا هو الارتباط القلبي بسيرة الصحابة والنبي ﷺ.

أيها الإخوة، هذا هو مجد الآباء، الذي ينبغي أن نحفظه ونتشبث به.

لكنهم طمسوه، وملؤوا عقول أبنائنا في المدارس بأسماء مثل: فيثاغورس، أرسطو، داروين...

نعم، لهم بعض الفوائد، ونحن لا ننكر ذلك، ولكن يجب أن تكون لدينا قاعدة راسخة شرعية وعقدية نبتدئ منها، ثم نأخذ من هؤلاء ما لا يتعارض مع ديننا.

أما أن نغفل عن عابدٍ مثل عامر بن عبد قيس، ونروي لأبنائنا عن أرشميدس الذي خرج عاريًا في الشارع وهو يصرخ: "وجدتها!" – فهذه مصيبة. [1]

هل تعلمون أن النبي ﷺ صعد جبل الصفا وقال: "يا صباحاه"؟

كان هذا الطقس معروفًا في الجاهلية: يخرج الرجل عاريًا على موضع مرتفع، ينادي "يا صباحاه" ليحذّر الناس من خطر كبير.

لكن النبي ﷺ استثمر المكان، وجذب الانتباه، دون أن يقلد الجاهلية في سلوكهم.

أخذ ما يفيد وترك ما يُخالف. فعلينا أن نُحيي مجد آبائنا، ونرفع شأن سير الأنبياء والصالحين، فهم قدوتنا. يقول القطب الحلبي في سيرته عن الإمام الزهري رحمه الله:

كان يقول عن علم المغازي:

"هو خير الدنيا والآخرة، هو خير الدنيا والآخرة."

أضف إلى هذه الفائدة أن النفوس تميل إلى القصص، وتفهم مغزاها وتحفظها بسهولة. أليس كذلك؟

لذلك كان الإمام الشافعي رحمه الله صاحب نظر ثاقب حين قال:

"إذا أخطأ المرء في أمرٍ ما، فإنه لا ينساه أبدًا."

لماذا؟

لأنه وقع في سياقٍ حيّ، في مشهدٍ واقعي، ربما كان في حوار أو موقف.

---

1 – أقول و بالله التوفيق : أن الهوس بتشبه بالفنانين والمشاهير هي الذي جعلتنا ننسي صحابة الرسول صلي الله عليه وسلم

تخيل مثلًا أنك تجلس تتحدث مع أحد، وتقول له:

"فلان فعل كذا وكذا"، فيعترض عليك شخص في المجلس:

"يا رجل، هذا غير صحيح!"

ذلك الحدث يبقى في ذاكرتك، لأنه جاء في سياق تفاعل حيّ، لا يُنسى بسهولة.

وهكذا القصص.

لذلك، كان النبي ﷺ يُحدّث أصحابه بالقصص كثيرًا، لما فيها من العِبر، وترسيخ القيم.

أتذكر حديث جريج العابد؟

ورجل الخشبة الذي قال حين قيل له: "هات شاهِدًا" فقال:

"كفى بالله شهيدًا"؟

بل إن النبي ﷺ دعا إلى رواية هذه القصص، فقال:

"حدّثوا عن بني إسرائيل، فإن فيهم العجائب."

فالأحاديث التي صحت عن رسول الله ﷺ في هذا الباب تؤيد ذلك.

والإسرائيليات التي لا نُصدّقها ولا نُكذّبها، يرويها العلماء إن لم تكن متعلقة بحكم شرعي، لأنها مما تُستأنَس به النفوس، وتنتفع به القلوب.

ولهذا، أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص، وأن يلين قلوبنا كما لين الحديد لداوود، عليه السلام.

فالحق أن الإنسان يتمنى أن يسرد السيرة على هيئة قصة، ليجعلها راسخة في قلوب الناس، يسردها الأب لأبنائه، والواعظ لمستمعيه، فتترسخ في الوجدان ولا تزول.

الفائدة الأولى:

معرفة أخبارهم وأقدارهم بذكر سيرهم.

وهذا من كلام الإمام ابن الجوزي رحمه الله، كما جاء في مقدمة كتابه "أخبار الأذكياء".

الفائدة الثانية:

أن القصص مما تستروحه النفوس وتميل إليه.

الفائدة الثالثة:

تلقيح ألباب السامعين.

وهي أيضًا مما ذكره ابن الجوزي رحمه الله، فقال:"تلقيح ألباب السامعين لمن فيهم نوع استعداد للحاق بهم بعد معرفة أخبارهم."

وقد قلنا من قبل: لا أحد يكتشف نفسه إلا بأمرين:

الشيخ المباشر الذي يُتابعه ويُنير له الطريق ، سير السلف الصالحين، فهي تبعث الهمة في قلب العابد.

قد تكتشف أنك في داخلك صفات عثمان، القائم الليل كله، الختام للقرآن في ركعة،

أو فيك دموع ابن عباس، الذي كانت الدموع تجري تحت عينيه كالشراك [1] ،

أو عدل عمر، أو إخلاص أبي بكر.

كل ذلك فيك، ينتظر من يوقظه.

وسير السلف تُخرج ذلك منك، فتقرأ عن العابد، فتحيا العبادة في قلبك، وتكتشف أنك قادر.

وقد قال الشاعر الرضي:

"فاتني أن أرى الديار بعيني، فلعلّي أعي الديار بسمعي."

وعن عمر رضي الله عنه، أنه كان يأتي إلى أُبيّ بن كعب ويقول له:

"حدّثنا، قل لنا من هذه الأخبار حتى نتأسى بهم، أو يكون لنا فيهم أسوة."

وقد قال الله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾

فهم أسوتك.

وقد قصّ الله عز وجل على نبيه ﷺ قصص الأنبياء؛ ليقول له:

"أنت لست بدعًا من الرسل، أنت مثلهم، وقد آتيناك من لدنّا ذكرًا."

وقد حدّثني أحد الإخوة اليوم – جزاه الله خيرًا – وقال:

"بعض إخواننا الذين تابوا حديثًا، وبدأوا الالتزام، يحتاجون إلى هذا الكلام."

وأقول لهم: نعم، هذا الكلام لكم.

إذا أردت أن تثبت على الطريق بعد أن دخلت المسجد، فابدأ بقراءة القرآن.

اجعل لك وِردًا يوميًّا، واقرأ كثيرًا، لا تحفظ الآن، فقط اقرأ وتذوق.

---

1 – أي " سريع ومتتابع "

ثم بعد ذلك، اقرأ في أخبار الصحابة والصالحين.

وقد نصحتُ بكتاب للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا – رحمه الله –

"صور من حياة الصحابة"

وهو في جزأين: الأول فيه **63** شخصية، والثاني قريب منه في العدد.

ولِمَ عبد الرحمن رأفت الباشا تحديدًا؟

لأنه أديب، يحكي لك القصة لا كسرد جاف، بل كصورة حية.

فحين يتحدث عن عبد الله بن مسعود، لا يقول ببساطة:

"خرج ابن مسعود من بيته فمرّ على نادٍ لقريش ليُسمعهم القرآن."

بل يصوّر لك الصباح، والهواء، ووصف الباب حين يُفتح، وحتى صريره،

لأن هذا عمل الأدباء.

فمن الطبيعي أن يقع الأديب أحيانًا في زلل لغوي أو شرعي، لأنه صانعته ليست الفقه، بل الحكاية.

لكن الأسلوب القصصي يربطك بالمشهد، ويزرع الأسوة في قلبك، فتنشأ على: القرآن + سير السلف.

وقد قال الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾

أي أن الله يقول لنبيه:

"أنت مثلهم، أوحينا إليهم كما أوحينا إليك، ودعوا أقوامهم كما تفعل، فاقتدِ بهم."

هذا الأسلوب القصصي يُدخلك في قلب الحدث.

مثال حي من السيرة:

في الصحيحين عن سهل بن سعد، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة رضي الله عنهم،

جاء فيهم حديث ذي الخويصرة التميمي، وهو الرجل الذي اعترض على النبي ﷺ وقال له:

"اعدل يا محمد!"

ما القصة؟

بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقطعة من الذهب من اليمن، لم تُنقّ بالنار، أي لم تُصهر بعد.فقسمها النبي ﷺ بين المؤلفة قلوبهم،

وأعطى كل واحد منهم قطعة، وترك بعض الصحابة الآخرين، اعتمادًا على إيمانهم وثباتهم.

فخرج رجلٌ، وصفه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله:

"غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الشعر، مشمّر الإزار."

في رواية ابن مسعود قال: "تلك قسمة لا يُراد بها وجه الله!"

فقال عبد الله بن مسعود:

"والله لأرفعها إلى رسول الله ﷺ."

تخيل هذا المشهد:

النبي ﷺ جالس بين قومه، يُعظّمونه، يوقّرونه،

وفجأة يقوم رجل من بينهم ويصرخ:

"اعدل يا محمد!"

ما أصعب ذلك الموقف!

لو حدث ذلك اليوم مع شيخٍ بين مريديه، لقالوا:

"هذا الرجل يطعن في الشيخ!"

فكيف برسول الله ﷺ؟!

لكن النبي ﷺ قال له:

"ويلك، خبتَ وخسرتَ إن لم أعدل، فمن يعدل؟!"

قال رجل قولًا فيه شُبهة الكفر، ومع ذلك لم يقتله النبي ﷺ، بل تحمّل، لأنه كان يُربي أمة.

قال له : " خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل، فمَن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟!"

كلام يدل على الجنون! إذًا من الذي يعدل إن لم نكن نحن نعدل، والوحي يأتي إلينا من السماء، وجبريل ينزل به؟!

عندها قام خالد بن الوليد، ولم يحتمل، وقيل عمر بن الخطاب، وقال:

"يا رسول الله، دعني أضرب عنقه."

فقال ﷺ: "دعه، فلعله يصلي."

ثم قال: "يخرج من ضئضئ هذا قومٌ، تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وصيامكم إلى صيامهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد وإرم."

ثم قال ﷺ موضع الشاهد: "رحم الله أخي موسى، أُوذي بأكثر من هذا فصبر."
أترى هذه العبارة؟! الأسوة، كان موسى عليه السلام نصب عيني النبي ﷺ دائمًا.
وكان لتلاوة القرآن أثرٌ بالغ في تهدئة قلبه ﷺ، فقد كان يرى الأنبياء من حوله بأم عينيه، كما في الإسراء والمعراج، حيث مرّ على موسى وهو يصلي في قبره، ورآهم في السماوات، يسأل جبريل: "من هذا؟" فيُجيبه: "هذا إبراهيم... هذا موسى... هذا عيسى..."
هذا التمام في الأسوة، ولذلك تحمّل تلك المواقف العصيبة.
الموقف كان شديدًا جدًا، وأنا شخصيًا أستشعر صعوبته. كيف تحمّله ﷺ؟
الجواب: لأنه يجد أسوة في من سبقه.
كنت أذكر موقفًا لأحد الإخوة ممن تعرّضوا للظلم في تلك الأيام الغابرة. أُخذ وسُجن، وجُرِّد من ثيابه، وهذا في ذاته إهانة بالغة.
دخل علينا مكسورًا تمامًا، والهم بادٍ على وجهه، كأنما كاد يموت.
والله ما رأيت في حياتي إنسانًا يحمل همًّا بهذا الثقل، ثم يُفرَّج عنه بهذه السرعة.
كان من عائلة كبيرة وعريقة، رجل مهاب، فإذا به يُذلّ أمام الجميع.
جاءني يقول: "حدث كذا وكذا."
فقلت له: "وهل تعلم ما الذي جرى لسيدنا إبراهيم؟
أُلقِيَ في النار، وجُرِّد من ثيابه...
ألم يقل النبي ﷺ: أول من يُكسى يوم القيامة هو إبراهيم؟
قال أهل العلم: إنما كوفئ بذلك لأنه نُزعت عنه ثيابه في الدنيا إهانة، فكرّمه الله أول الناس في الآخرة."
عندما سمع ذلك، ضحك وسُرِّي عنه، وتبدّل حاله تمامًا.
هذه هي قيمة الأسوة .
كان بعض الظلمة يأتون بملابس ممزقة معدّة مسبقًا، يلبسونها للمساجين الجدد.
أحد الإخوة قال لي: "كنت أرتدي بنطالًا ممزقًا من جهة واحدة، فظهرت عورتي، وكنت في غاية الحرج، وعيناي مغطّاة. رفعت الغمامة قليلًا لأنظر، فإذا بمن بجانبي عارٍ تمامًا!"
فقال لي: "وضعت رجلاً على رجل، وقلت: أنا في نعمة! أنا زي الفل!"
فقلت له: "نعم، أول من يُكسى يوم القيامة هو إبراهيم عليه السلام."

قال البيهقي رحمه الله: إن الله يجازيه بذلك لأنه نُزعت عنه ملابسه في الدنيا.
فكان أول من يُكسى، لا لأن إبراهيم أعظم من محمد ﷺ، بل من باب المجازاة.
ضحك الأخ، وسُرِّي عنه.
الأسوة، أيها الإخوة، تَشعُر بها وأنت في البلاء. حتى معاوية رضي الله عنه، يقول: "رجعني بيتُ شعرٍ إلى ميادين القتال."
فما بالك إذا كنا لا نُذكِّر بأمجاد كافرة، بل بأجدادٍ هم رؤوس الجنة، بعد الأنبياء: الصحابة، ثم التابعون، ثم من تبعهم بإحسان.

الفائدة الرابعة: الثبات

قال الله تعالى: { وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك } [هود: **120**]
فأخبارهم تُثبت القلوب.
الإخوة اليوم يقول لك: "أنا لستُ ثابتًا، يوم هكذا ويوم هكذا..."
المؤمن لا يتزعزع، كأن الجبل يسير ولا يتحرك هو.
الإمام أحمد، رحمه الله، ضُرب حتى سال دمه وهو يصلي، وقالوا له: "قل: القرآن مخلوق"، فرفض.
حبسوه، قطعوه، عذبوه، ولما سُئل في آخر حياته: "هل تشعر بألم من تلك الأيام؟"
قال: "لا، إلا ضربة في ساعدي، ما زالت تؤلمني."
وكان طبيب يقطع من لحمه في مرضه، وهو يقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله."
كيف ثبت؟!
الجواب: بالأسوة.
قالوا له: "أتُصلي والجرح يثعب دمًا؟"
قال: "صلى عمر وجرحه يثعب دمًا."
هكذا تثبت، بأن تعيش مع الصحابة والتابعين، وتُحيط نفسك بأجوائهم،
فتستقيم رؤيتك وتثبت أقدامك.

وجه الثبات الأول: معرفة الأحداث قبل وقوعها

قد يتساءل المرء: كيف نعرف ما سيحدث؟
الإجابة: لأن التاريخ يعيد نفسه.

أتذكر أننا أردنا التحدّث عن ثورة **1919** في درسٍ سابق بعنوان "الهداية"، لكن حالت الظروف دون ذلك.

وحين تأملتُ أحداث ميدان التحرير لاحقًا، وجدت أن ثورة **1919** كانت تفسيرًا دقيقًا للواقع.

نفس المشاهد:

الثورة تخرج من المساجد.

الناس تجتمع بنفس الأسلوب.

ثم تنحرف الثورة عن مسارها الديني إلى شعار: "الدين لله والوطن للجميع".

العلماء يقبلون هذه الكلمة المنكرة!

بل قيل عن سعد زغلول: "معبود الشعب"!

تاريخ يعيد نفسه بحذافيره. [1]

بالأمس كان لدينا درس حول مواثيق رسول الله ﷺ في بناء الدولة.

وما أحوجنا اليوم إلى أن نستلهم كيف أسس النبي ﷺ دولته.

النبي دخل المدينة وهي أمة ممزقة:

مشركون يعبدون الأصنام ، يهود يحملون الحقد، الأوس والخزرج في نزاع دائم .

حتى بعد تهدئة مصعب بن عمير لهم بالدعوة، لم تهدأ النفوس بسهولة، لأن العربي لا يُروّض بسهولة.

لكن الله سبحانه وتعالى ألّف بين قلوبهم.

ثم هناك عدو خارجي، وهناك منافقون من الداخل، بل وبعضهم كان يستغيث بالخارج علانية.

تمامًا كما نرى اليوم من يستنجد بالدول الكبرى ويقول: "أنقذونا!" [2]

بل يجاهرون بذلك في وسائل الإعلام، لا حياء ولا خفاء.

عندما تقرأ حقبة المدينة، وتدرس كيف كانت تركيبتها، وتُسقط ذلك على واقعك، تُصبح قادرًا على توقع القادم، لا لأنك تعرف الغيب، بل لأن ما كان سيحدث، قد حدث من قبل!

في وقت التحليل السياسي للأحداث، كنت أقول للإخوة:

---

1 – أقول و بالله التوفيق : ليس الثورة حل لمشاكل الدولة بل هي فعل منكر و سيذكر شيخنا الفاضل هذا ؛ لكن الثورة ليست حل لأنها تجعل هناك فوضي وهذا ما يريده العدو المتربص و لا حول و لا قوة إلا بالله .

2 – أريد منك أيها القارئ أن تراجع التاريخ فسوف تأكد أن هناك سمه أشباه رجال كانوا يطلبون الحماية والعون من أمريكا وغيرها و مازال هناك أناس يقول إن معي حماية من السفارة الفلانية .

في ثورة **1919** حدث كذا وكذا، وفي النهاية، قدّموا لنا "البرادعي" كما قدموا "سعد زغلول"، رغم أن الرجل كان يُوصف قبلها بقليل بأنه "رجل أمريكا".

لكن الناس تقبّلوه فجأة!

وهكذا يُعاد السيناريو بتفاصيله.

لذلك، حين يقول أحدهم: "دعنا من الأمور التاريخية والفرعية!"

نقول له: هذه ليست فرعية، بل هي أصول، ينبغي أن تُدرّس وتُفهم.

كانوا يدرّسون لنا الغزو الفكري كعلم أساسي، لا ثانوي.

قال الله تعالى: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله} [الأحزاب: **22**]

الله وعدك أنك ستُحاصر، ستُطوّق، ستقف في وجه عشرة آلاف جندي، كما وقفوا أمام النبي ﷺ.

نعم، إذا قامت دولة تُحكِّم شرع الله، فانتظر الحصار الاقتصادي، وانتظر التآمر.

ما علاقة هذا بـ"ثبات القلب"؟

علاقته أن تكون مستعدًا.

الصدمة المتوقعة أهون بكثير من الصدمة المفاجئة.

كنت أحدث أحد الإخوة فقال:

"في مرة، قفزت من فوق الأريكة هربًا من أبي، ولم أتوقع أبدًا أن يصيبني... فإذا به يصفعني صفعة جعلتني أصاب بشلل نصفي مؤقت."

الصفعة لم تكن قوية جدًا، لكنها كانت فجائية، والدماغ لم يستعد لها.

لذلك، حين يأتيك الألم فجأة، يكون أقسى مما لو كنت متأهبًا له.

قال الله : {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله}

كأنهم يقولون: نحن نعلم أنكم ستجمعون عشرة آلاف... بل مئة ألف.

كنا نعلم أن هذا سيحدث، لأننا قرأنا التاريخ .

الوجه الثاني من الثبات: الاقتداء والأسوة

أن تجد فيمن سبقك أسوة، فإذا أصابتك الشدائد، تذكّرت ما مرّ به الأنبياء والصالحون، فيهوّن عليك ما أنت فيه ؛ حين تتعرض لابتلاء، لا تستسلم للمحنة، بل تتذكّر: هل مرّ بهذا غيري؟ وكيف واجهه؟ ولذلك قال الله تعالى:

{وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك} [هود: **120**]

كلما قرأت أخبارهم، ثَبَت قلبك.

حتى في أحلك اللحظات، نحتاج إلى مَن نقتدي به.

الفائدة الخامسة: الانضباط الفقهي

قد يتساءل البعض: ما علاقة الفقه بـ التاريخ ؟

والإجابة: علاقة وثيقة عميقة، تُكسب المسلم البصيرة في دينه.

إذا درست الحقبة النبوية، وتعرفت على أعراف الناس في عهد النبي ﷺ، ثم المرحلة التي تلتها من حياة الصحابة، والتابعين، وتابعيهم... فإنك تفهم السياق الذي نزلت فيه الأحكام، وتُدرك عللها، ومقاصدها، وكيفية إسقاطها على الواقع.

هذه دراسة يسمّيها العلماء: المناط.

أي أن تُوجد العلاقة الرابطة بين الأصل والفرع، بين النص والواقع، بين الحكم والحدث.

تأمل قول السيدة عائشة رضي الله عنها:

"لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده، لمنعهن المساجد، كما منعت نساء بني إسرائيل."

هذا ليس اجتهادًا في الحكم، بل إدراكٌ لتغيّر العُرف، وفهمٌ عميق للمناط.

وهكذا، حين يتغير حال الناس، لا يجوز للفقه أن يُطبّق حرفيًا بلا فقه واقع، بل ينبغي أن يُنزَّل بحكمة، وبفهم عميق لما حولنا.

الفقيه الحقيقي ليس من يحفظ المسائل، بل من يعرف متى يطبّقها، وعلى من.

وكيف يُفرّق بين من عاشوا في عهد النبوة، وبين من جاءوا بعدهم.

وهنا تظهر أهمية دراسة التاريخ، لا كقصص تروى، بل كأرضية صلبة يُبنى عليها الاجتهاد، ويُستخرج منها الفقه الحيّ. الضبط الفقهي ومعرفة الأعراف:

قال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، فكانت النساء في ذلك الزمان يخرجن إلى المساجد ويشهدن الجماعات، وكان لهن شأنٌ في الفقه والدِّيانة. لكن مع مرور الزمن، بدأت الأحوال تتغير، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "لو رأى رسول الله ما أحدثه النساء بعده، لمنعهن المساجد، كما مُنعت نساء بني إسرائيل".

هذه إشارة دقيقة إلى أهمية مراعاة تغيُّر الواقع، فلا يجوز أن نأخذ حكمًا شرعيًّا ونسقطه على واقع مغاير دون فقه ولا تأنٍّ.

خذ مثالًا آخر: لما استُشهد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حزنت زوجته أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها، فقالت أبياتًا في رثائه، تعبر عن فداحة المصاب، حتى قالت: "مات الرجالُ، فلا رجال بعد جعفر!". فلما تزوجها بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أتى عليٌّ رضي الله عنه إليها ليلة زفافها، وقال لها: "ألا تذكُرين قولك؟"، وذكّرها بالبيت الذي قالته.

تأمل! هل يجوز في زماننا هذا أن يُقال مثل هذا الكلام؟! بالطبع لا. فالفارق كبير بين أعرافهم وأعرافنا.

وقد سُئل الشيخ ابن غديان رحمه الله [1] : كيف كان يتعامل مع المستفتين؟ فقالوا: كان يسألهم عن أحوالهم، ويطلب رؤيتهم شخصيًّا، حتى يُدرك واقعهم ويستخرج الحكم المناسب.

وقد يفتي الفقيه بوقوع الطلاق في موقف معين، ويمنعه في موقف آخر، بناءً على طبيعة المتكلم، وبيئته، ومقاصده. كما كان النبي ﷺ يُفرّق في المعاملة بين الأعرابي وغيره، وهذا من تمام الفقه.

وقد نقل القرافي رحمه الله [2] عن الإمام الشافعي قوله:

"قرأت التاريخ عشرين سنة، ما قرأته إلا لأعين به على الفقه."

فالتاريخ يوضح لك أحوال الناس، ويكشف لك عن أخلاقهم وأعرافهم، ومن خلاله تستطيع أن تسقط الأحكام إسقاطًا صحيحًا على الواقع.

انظر إلى فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله حين قال إن المرأة لا يجوز لها قيادة السيارة. لم يكن ذلك استنادًا إلى نص يُحرِّم، وإنما إلى الواقع الذي رآه، وإلى مآلات الأمور في المجتمع السعودي في زمانه. ومن الفقه أن لا تُسقط حكمًا على واقع مغاير دون مراعاة الفروق الدقيقة.

وقد قال ابن تيمية رحمه الله في رسالته عن حجاب المرأة في الصلاة:

---

1 – هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن قاسم آل غديان هو فقيه حنبلي سعودي، وعضو هيئة كبار العلماء ولد عام 1345 هـ الموافق 1926م في مدينة الزلفي توفي 1431هـ / 2010م .

2 - هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري، ولد سنة 626 للهجرة. المتوفى سنة 684 للهجرة، كان ملما بعلوم شتى كالفقه والأصول واللغة والأدب وعلم المناظرة والطبيعيات وله معرفة بالتفسير

"كانت الأمة تُؤمر بنزع النقاب على عهد الصحابة، ورأى عمر أمة تلبس النقاب، فضربها وقال: أتتشبَّهين بالحرائر؟!"

لكن قال أيضًا: "أما في زماننا، فلا يُفتى بأن تترك الإماء النقاب، بل يجب سترهن؛ لأن الواقع تغيّر، ولم تعد الأمة كما كانت في عصر الصحابة".

فهذا يُبين أن فقه الواقع شرطٌ لصحة الفتوى، كما أن فهم الأعراف جزء لا يتجزأ من فهم الحكم الشرعي.

الأسوة في حياة النبي ﷺ وثبات المؤمنين :

قال رجل ما يُشبه الكفر، ومع ذلك لم يقتله النبي ﷺ، بل تحمّل، لأنه يُربي أمة. فقد قال الرجل: «اعدل يا محمد فإنك لم تعدل»، فقال النبي ﷺ: «ويحك، ومن يعدل إن لم أعدل؟!»، فقال أحد الصحابة: «دعني أضرب عنقه»، فقال النبي ﷺ: «دعه، لعلّه يُصلي»، ثم قال ﷺ: «يخرج من ضئضئ هذا أقوام تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد وإرم»، ثم قال: «رحم الله أخي موسى، أُوذي بأكثر من هذا فصبر».

هذه هي الأسوة؛ فالنبي ﷺ كان دائم الاستحضار لصبر الأنبياء، لا سيّما موسى عليه السلام، وقد أثّرت فيه تلاوة القرآن كثيرًا. ومن الأسوة أيضًا، ما حدث حين تخاصم يهودي ومسلم، فقال المسلم: «لا والذي فضل محمدًا على العالمين»، فرد اليهودي: «لا والذي فضل موسى على العالمين»، فغضب المسلم وضربه. فلما علم النبي ﷺ، قال: «لا تفضلوني على موسى، فإني أُبعث يوم القيامة فأجد موسى باطشًا بقائم العرش، فلا أدري أجوزي بصعقة الدنيا أم لا».

وقد رأى النبي ﷺ الأنبياء في رحلة الإسراء والمعراج، حتى تكتمل له الأسوة، رأى موسى يصلي في قبره، ورآهم في السماوات، وكان يسأل جبريل عنهم: من هذا؟ من هذا؟ فقال: هذا إبراهيم، هذا موسى، هذا عيسى... حتى تتكامل أمامه صورة القدوة.

الأسوة في البلاء والصبر

وهذا يثبت أن الأسوة تعيد الإنسان إلى نفسه وتمنحه ثباتًا، حتى في أحلك اللحظات.

كما حدث مع الصحابة، فقد كان عمر رضي الله عنه يُصلي وجرحه يثعب دمًا، والإمام أحمد ضُرب

حتى سال دمه، قيل له بعد سنين: "هل تحس بألم الضرب؟" فقال: "إلا في ساعدي"، وكان يقول: "ائتوني بكتاب أو سنة أقول بهما". كل هذا من عمق الثبات.

الثبات من خلال السيرة

قال الله تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾، فقصص الأنبياء والرسل تُثبت القلوب، وترسخ العقيدة. حين تمرّ بمحنة أو شدة وتذكر أن نبيًّا مثلك أوذي فصبر، أو أن عبدًا صالحًا وقع في محنة فثبته الله، فإنك تُقاسمه الطريق، وتُعين نفسك على السير بثبات.

قراءة التاريخ وأثره في الفقه

كان الشافعي رحمه الله يقول: "قرأت علم التاريخ كذا وكذا سنة، وما قرأته إلا لأعين به الفقه"، لأنه كان يعلم أن كثيرًا من الأحكام مبنيٌّ على الأعراف، والأعراف تتغيّر. مثلًا، لا يجوز أن تأخذ فتوى من زمن الصحابة وتُسقطها على واقعنا دون مراعاة الفروق. السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "لو رأى رسول الله ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل". فالأحكام تُسقط على الواقع لا بمجرد النص، بل بفهم مناطه وزمانه وأهله.

وكان ابن تيمية رحمه الله يقول: "قد كانت الأمة في عهد الصحابة يُرى شعرها ونحرها لخدمتها للناس، أما في زماننا فلا يجوز ترك الإماء التركيات الحِسان يخدمن على هذه الهيئة"، أي أن الواقع تغيّر فلا تُنقل الفتوى دون نظر.

كشف شبهات الأعداء بالتاريخ

من فوائد دراسة السيرة والتاريخ كشف شبهات الأعداء، كما فعل الله عز وجل مع أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا﴾، ثم قال: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أُنزِلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾.

فالله احتج عليهم بالتاريخ ؛ وقد ذكر السيوطي في "فوائد التاريخ" أن الله تعالى احتج على اليهود والنصارى بالتاريخ، لأن فهم التسلسل الزمني يكشف الكذب والتحريف.

الفائدة السادسة: كشف شبهات الأعداء

اليهود جاءوا يومًا بوثيقة مزورة يقولون فيها إن النبي ﷺ أسقط عنهم الجزية، وعليها توقيع معاوية! لكن الخطيب البغدادي فطن للتزوير، وقال: "هذه الوثيقة مزورة ، لأن خيبر فتحت في السنة السابعة ، ومعاوية أسلم في السنة الثامنة !".

الله تعالى نفسه احتج بالتاريخ على اليهود، قال:
"ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا".

الفائدة السابعة: تهذيب المعجب برأيه

اقرأ التاريخ لتنكسر، لأن من لم ينكسر بنفسه، كسره الله.
اقرأ عن زين العابدين علي بن الحسين الذي كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.
عن العز بن عبد السلام الذي كان يمر على أبواب الفقه كلها كل ليلة قبل أن ينام.
عن المجد ابن تيمية الذي كان يجيب عن مسألة من ستين وجهًا من حفظه.
هؤلاء هم السلف الذين يجب أن نقيس أنفسنا بهم، لا بمن حولنا.
يا إخوتي، أكثروا من قراءة سير السلف، وعيشوا مع كتبهم وقلوبهم.
اقرأ بقلبك، وتهذب، واستحضر أنهم أجدادك، وأن الله اصطفاهم ورفعهم درجات.
هؤلاء هم النماذج، هؤلاء هم أئمتنا، بهم نقتدي، وبهم نثبت، ونسأل الله أن يردنا إليه مردًا جميلاً.
وإنهم – أي السلف الصالح – موئل عزّنا وكرامتنا وشرفنا، وهم تراث لا يمكننا الاستغناء عنه. نسأل الله عز وجل أن يُلحقنا بهم على خير، وأن يُمتعنا بسيرهم، إنه القادر على الجليل والجلل.
جزاكم الله خيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

أما الأخ الذي أثار مسألة كلام سيدنا عمر، فينبغي أن يُفهم أن هذه الأمور لا تُذكر على جهة القدح أو الطعن، فالنفس ضعيفة، والقلوب تتقلب، والفتن خطّافة.
فكم من فتنة تنزل بالقلب، فتقلب حاله، حتى يصبح العبد يتساءل في صلاته:
"هل قرأتُ الفاتحة أم لا؟"
فإذا شرع في قراءة سورة غير الفاتحة، وتبيّن له أنه لم يقرأ الفاتحة، فعليه أن يقطع السورة ويبدأ بقراءة الفاتحة؛ لأنها – عند جمهور أهل العلم – ركنٌ من أركان الصلاة.
أما عند الأحناف، فكل قراءةٍ تُجزئ، سواء أكانت الفاتحة أم غيرها.
ولكن الأحوط أن تأخذ برأي الجمهور.
فإذا تذكّر بعد السجود أنه لم يقرأ الفاتحة في الركعة السابقة، فإن عليه أن يُسقط تلك الركعة، وتُعتبر الركعة التي هو فيها هي الأولى.

وسُئِل الشيخ بارك الله فيه: ما حكم انتخاب النصراني أو من يُرشّح نفسه لمجلس من مجالس الولاية العامة؟

فأجاب : أن هذا لا يجوز للكافر بإجماع أهل العلم؛ لأن من شروط من يلي أمور المسلمين أن يكون مسلمًا، وهذا أمر قد تقرر في الشرع وثبتت به الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف.

ثم نُقل سؤال : ذكر الإخوة الذين حضروا المجلس بتقوي الله ؟ جزاهم الله خيرًا.

فأقول: نذكّر أنفسنا وإياهم دومًا بفضل حضور المجالس الشرعية، وأستبشر كثيرًا حين يُخبرني أحدهم أن في المجلس أو الدرس من هو حديث عهد بتوبة، أو من دخل المسجد لأول مرة، فهؤلاء قلوبهم متعلقة بالعرش، طاهرة لم تُدنّس بعد، واستجابة دعائهم أقرب.

لذلك قال بعض السلف – ويُروى ذلك عن عمر رضي الله عنه –: "استوصوا بالتائبين خيرًا، فإن مجلسهم نور، ودعاؤهم مستجاب، وقلوبهم لينة."

وحين قُرئت سورة النجم، فبكى أهل الصُّفة تأثرًا، قال أبو بكر رضي الله عنه: "هكذا كنَّا، ثم قَسَت القلوب."

فنقولها اليوم لأنفسنا: هكذا كنَّا عندما كانت القلوب طرية، ثم قست مع طول الأُنس بالدنيا.

فنسأل الله أن يُلين قلوبنا، ويُثبتنا وإياكم على دينه، ويثبّت إخواننا التائبين، آمين.

طلب كتاب في السيرة النبوية :

سُئِل : ما هو الكتاب الذي يُنصح بقراءته في السيرة النبوية، على أن يكون ممتعًا وشائقًا يدفع القارئ إلى التعمّق في دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فالجواب : من أبرز الكتب المعاصرة التي كُتبت بقلبٍ حاضر وعاطفةٍ صادقة كتاب الرحيق المختوم للمباركفوري رحمه الله، فقد كتب بأسلوب ممتع، بعيد عن الجفاف، يشعر القارئ أن المؤلف يعيش كل لحظة يكتبها.

وقد كنت ذكرت من قبل، أنني حين قرأت للإمام ابن كثير حادثة معركة الجسر –حين استُشهد فيها أبو عبيد الثقفي وجُرح المثنّى رضي الله عنهما– وجدت أنه لا يذكر الأحداث كوقائع مجردة، بل يقول: "ومن المسلمين من قُتل، ومنهم من هام على وجهه، ومنهم من سقط في الماء وغرق، وقد كانت مقتلة عظيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله."

فعبارته الأخيرة أثرت فيَّ كثيرًا، لأنها تنقلني إلى ساحة المعركة، وتُشعرني بهول المصيبة التي نزلت بالمسلمين، وكأنني أعيشها معهم.[1]

وكذلك الإمام ابن الأثير حين تحدّث عن دخول التتار إلى دمشق، قال:

"وإني لأُقدّم في هذا الكلام رِجلًا وأُؤخّر أخرى، وأستهول الكلام تارة، وأراه شيئًا أمرّ من أن يُسطَّر... فكيف أكتب عن واد الإسلام؟" [2]

فمثل هذا الصدق في التعبير يُحيي القلب.

وإن كان لي أن أذكر تجربة شخصية، فقد قرأت الجزء الأول من كتاب الشيخ محمد حسين يعقوب في السيرة [3] ، فوجدته أسلوبًا ماتعًا جدًا، ولكن للأسف لم يُصدر بعد الجزء الثاني، لذا سينقطع القارئ في منتصف الطريق، إذ ينتهي الكتاب عند مشارف الهجرة.

سؤال عن كتاب في العبودية والسلوك إلى الله:

مَن أراد أن يبتدئ طريقه في معرفة العبودية والسير إلى الله، فليقرأ كتاب البحر الرائق للشيخ أحمد فريد، وهو مناسب كمقدّمة وتمهيد. ثم ينتقل بعده إلى كتاب المختصر في منهاج القاصدين، الذي يعرّفك كيف تسلك إلى الله، ويعرض لك أعمال القلوب بتدرّج وتبسيط.

كتب عن الصحابة والتابعين:

من الكتب النافعة في هذا الباب كتاب صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن رأفت الباشا، وهو نفسه مؤلف كتاب صور من حياة التابعين، ويتميّز أسلوبه بالحيوية والصدق، فتشعر وأنت تقرأ أنك ترى الشخصيات تتحرّك أمامك.

وللنساء نصيب كذلك، فقد ألّف المؤلف ذاته صور من حياة الصحابيات والتابعيات، وهي مفيدة ومؤثرة، لا سيما في زمن تحتاج فيه النساء إلى نماذج يُقتدى بها.

عن أثر التوبة وحديث العهد بها:

حين دخل عبد الله بن عمر رضي الله عنه على السيدة عائشة رضي الله عنها، يستأذنها بدفن أبيه عمر بجوار صاحبيه، وجدها تبكي تأثرًا بوفاته.

---

1 – " البداية والنهاية " لإبن كثير

2 – " الكامل في التاريخ " لإبن الاثير

3 – الكتاب متاح في الموقع الالكتروني الخاص بالشيخ محمد حسين يعقوب عبر منصة جوجل بإذن الله

فالمرأة حين تقرأ عن رجلٍ عظيم، تتأثر بصدقه وقوته ومحبته لله، كما يتأثر الرجل، وإن اختلفت الطبيعة. ونحن اليوم بحاجة إلى مثل هذه القراءة؛ لأن فيها إحياء للقلوب، واسترجاعًا لتلك اللحظة التي كانت فيها النفوس مُقبلةً على ربها، والقلوب لم يُدنسها شيء.

سؤال فقهي عن صلاة الجنازة والمغرب :

سُئِل : عن رجل دخل في صلاة جنازة دون أن يعلم أنها جنازة، وظنها صلاة المغرب، فلما لم ير الإمام يركع، تعجّب!

وهذا يُذكرني بما حكاه الإمام ابن الجوزي عن رجل دخل في الصلاة، فسمع الإمام يقرأ:

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ}، ثم سكت الإمام يُفكر، فلم يُكمل الآية. فطال السكوت، فما كان من المأموم إلا أن ركله في ظهره وقال:

"أما أنا فأذهب إلى السوق! قاتلك الله، ولا أدري أين يذهب هؤلاء!"

وإن كانت نكتة، فهي تدلّ على غفلة بعض المصلين أو جهلهم.

مسألة الأَمَة في الإسلام وتهذيب النفوس المتوحشة:

سُئل عن معنى "الأَمَة"، وهل كانت المرأة تُسترقّ كما يُشاع؟

فالجواب أن الأمة هي المرأة التي وقعت في الرق بسبب الحرب أو السبي، وقد كانت من نتاج الغنائم المشروعة في الجهاد. وكان يُطلق على الرجل المسترق "عبدًا"، وعلى المرأة "أمة". وكان يُملك كما يُملك المال، ولكن ليس هذا تملكًا ظالمًا أو عبثيًّا، بل هو من نُظُم الإسلام في تهذيب النفوس المتوحشة.

ففي الجاهلية، كانت النفوس إذا حاربت سَفَكت الدماء بلا ضوابط، وأهانت النساء، واعتبرت العدو لا يستحق الحياة. فجاء الإسلام بمنهج وسط: لا يُقتل الجميع، ولا يُطلَق الجميع، بل يُسبى من فيه صلاح، ثم يُربى ويُعلَّم، ويعيش في بيت المسلم، فيرى نور القرآن والسُّنة.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

"عجب ربك من قوم يُدخلون الجنة في السلاسل."

أي: كانوا في البداية أسرى، ثم أسلموا فدخلوا الجنة، فانظر كيف تحوّلت نفوسهم من العداء إلى الإيمان.

العبيد في أحكام الإسلام :

وكان من عدل الإسلام أن الأمة التي تلد من سيدها، تُعتق بعد موته.
وكان العبد يُعتق بكفارات كثيرة : كمن يحنث في يمينه، أو يقتل خطأ ، أو يظاهر امرأته... فيُطالب بعتق رقبة.
وكان النبي ﷺ يعامل الأسرى حسب أحوالهم. فثمامة بن أثال، أحد زعماء بني حنيفة، لما أُسر، لم يُجبره النبي على الخدمة، بل ربطه في المسجد ليسمع القرآن ويتأمل، فأسلم مختارًا.
أما غيره، ممن لا يصلح معه إلا الحزم، فكان يُؤخذ للخدمة والتربية، فينكسر في نفسه الكِبر والعناد، ويتأدب.

الشدة تهذّب الكِبر:

إن من الناس من لا ينكسر إلا إذا نزلت به شدة، فيُذل لله، ويعرف قدره.
قال الأعمش رحمه الله:"يد الله فوق عباده، فمن طأطأ لها عاش في كنفه، ومن أشَر بها قصمه الله."
وكان المعتمد بن عباد –أحد ملوك الأندلس– يعيش في الترف، حتى إنه كان يصنع الطين من المسك لتمشي عليه زوجته.
فلما جاءت النكبة وسُجن، صارت بناته يعملن خيّاطات في السوق.
فمن لم يعرف قدره طائعًا، كُسِر قهرًا.
ومن لم يتأدب بالقراءة في سير السلف، أدّبته الحياة بخشونتها.

أثر قراءة التاريخ في كسر الكِبر وتزكية النفس:

اقرأ في سيرة العز بن عبد السلام، الذي كان يمرّ على ستة وثلاثين بابًا فقهيًّا قبل أن ينام كل ليلة.
اقرأ عن المجد ابن تيمية، جد شيخ الإسلام، الذي لما سُئل عن مسألة، أجاب عنها من ستين وجهًا، ثم قال: "إن شئت، أعدتها عليك!"
أي أنه لا يتكلم من حفظ لحظي، بل من رسوخ علمي عميق.
كانوا يقولون: " لُيّن الحديث للمجد ابن تيمية كما لُيّن الحديد لداوود."
فماذا يقول الشاب اليوم إذا حفظ متنًا في الفقه، وأصبح يقول: "وأنا أرى، وأُرجّح، وأقوّي..."؟!
إن الطالب الذي يقرأ سير العلماء الكبار، يخجل من نفسه، ويتأدب.
ولو صلى في الليل ركعات، وظن نفسه من العُبّاد، ثم قرأ عن زين العابدين، الذي كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، لانكسر قلبه، وسأل الله القبول والستر.

في قصص السلف ما يُعلّمك كيف تُخاطب الكبار، وكيف تتواضع عند العلماء.
نور الدين زنكي، السلطان المجاهد الزاهد، لما قيل له: "نخشى أن تموت فيضيع الإسلام"، بكى، وكتب إلى الفقيه الذي أرسل إليه الرسالة يوعظه، ويقول له:
"إنّ الأمر لله، وقد جعل الله لِدينِه رجالًا غيري."
فقال الفقيه لأصحابه:
"انظروا إلى كلام الأمير، كيف صار كلامه مثل كلام العلماء! وانظروا إلى كلام الفقيه، صار يشبه كلام الأمراء!"
التوبة من الانتكاسة:
سألت الدعاء، وذكرت أنك تبت من انتكاسة، بسبب وقوعك في كبيرة وإصرارك عليها، وتسأل الله المغفرة. فإليك نصيحتي ؛ ثم يستمر الشيخ حفظه الله و يقول :
إن من أول طريق التوبة هو الشوق إليها، وهذا لا يكون إلا باستقذار الذنب واحتقاره في النفس.
تأمّل كيف عبّرت عن حالك فقلت : "كبيرة وإصرار"، وهذا هو مفتاح التوبة ؛ أن ترى المعصية قبيحة، وأن تحتقر النفس التي سوّلت لك الإصرار عليها.
كنا قد تحدّثنا سابقًا عن اسم الله البرّ، وكيف أن البرّ يصنع لعباده ما يحبّون، حتى في حال معصيتهم.
انظر إلى حالك: عصيته، وطلبت منه الستر، فسترك. ألم يكن الله قادرًا على أن يفضحك؟ بلى، ولكنك حين طلبت الستر وأنت تعصيه، سترَك لأنه يعلم أن في قلبك بقية حياء.
هذه القذارة التي أبعدتك عن محبوبك، هي التي إن عرفتها، عرفت طريق الرجوع.
وهنا يبدأ الشوق، قال تعالى:
﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: **118**]
فحين تضيق بك الدنيا وتستشعر أن لا ملجأ لك إلا إلى الله، فاعلم أن الله يتوب عليك .
صحبة الصالحين وقطع ما يوصلك بالماضي :
بعد الشوق إلى التوبة واستقذار الذنب، عليك بالصحبة الصالحة .
لا تظن أنك ستثبت وحدك؛ النفس ضعيفة، والفتن خطّافة، ولا يعين على الثبات مثل أخٍ صالح يذكّرك بالله إذا نسيت، ويشدّ على يدك إذا وهنت .

اقطع صلتك الماضية ، ولا تقل: " أصدقائي القدامى طيبون "، بل اقطع كل خيط يربطك بالمعصية.
حتى شريحة الهاتف التي تحوي أرقامهم، استبدلها ، عوّضهم بإخوة المسجد، وإن لم يكونوا مثاليين، فإنهم خير لك ممن يبعدك عن الله، ولو بكلمة أو نظرة ؛ واستحدث الطاعات .
ابدأ بعبادات خفيفة تثقّل قلبك وتطهّره : الذكر، والصلاة على وقتها، وقراءة القرآن ولو قليلاً .
كل هذا يُصلب عود التوبة فيك ويعينك على الطريق .

ثالثًا: الدعاء لصاحب الكبيرة والتوبة بصدق

قيل لبعض السلف: "إذا قلتَ لأخيك: ادعُ لي"، فقال: فلستم بإخوان!
أي أن الإخوة الحقيقيين يدعون لبعضهم دون أن يُطلب منهم.
فينبغي لكل أخ أن يدعو لإخوانه، لا سيما من وقع في ذنب أو كبوة.
تقول في دعائك:
"اللهم اغفر لصاحب الكبيرة، اللهم رده إليك ردًّا جميلاً"، وإن لم تكن تعرفه، فذاك أدعى للإخلاص.

رابعًا: نصيحة لمن وقع في العادة السرية

نصيحتي لك أن تبدأ بـ:

استقذار الذنب، واستشعار أنه يحرمك من القرب من الله.
الاطلاع على أضراره النفسية والجسدية :
تُضعف المني، وتؤثر على الخصوبة .
تؤثر على النسل : كم من طفل وُلد مصابًا بأمراض خلقية بسبب ضعف بذرة الأب .
قد تسبب الضعف الجنسي في المستقبل .
تُفسد التركيز، وتُضعف الإرادة .
تُصيب الوجه بشحوب وصفرة .
قد تنذر بأمراض عضوية، كداء السل – والعياذ بالله.
الزواج المبكر إن أمكن.
الصيام الصحيح، وليس مجرد امتناع عن الطعام ، لا تُثقل معدتك ليلًا، ثم تقول "صعب عليا الصيام".
العبودية في المسجد، والمكث بين الصلوات، ومجالسة الصالحين.

قطع الأسباب : الهاتف ، النظر ، الخلوة ، الفراغ .

خامسًا: الخلاف بين المشايخ – موقف طالب العلم

يقول السلف : "إذا تناطح الكبشان، فالصغار تتهرس تحتهم".

بمعنى: لا تدخل نفسك في معارك الكبار، فستُفتن وتضيع.

كثير من الخلافات بين العلماء لا تراها إلا مُضخّمة من أتباعهم.

يدخل أحدهم يكتب في الإنترنت: "أنا لا أسب الشيخ فلان، لكن أسب الشيخ علّان... حسبه الله".

تطاول مذموم!

نصيحتنا [1] :

عف لسانك.

خذ الحق بدليله.

انتفع بعلم العالم وإن أخطأ.

لا تنشر خطأه، فالله يحاسب، والعلماء يرد بعضهم على بعض بأدب.

دع المسائل المعقدة لأهل العلم الكبار.

وكما قال بعض الحكماء:

" إذا خاض السفهاء فاسكت، وإذا خاض العلماء فاسمع، وإذا خاض الجهّال فانسحب ".

جزاكم الله خيرا

و شكر الله لفضيله الشيخ على ما قدم وجعله في ميزان حسناته .

---

1 – الشيخ ينصح عليك أن تكون منصتاً جيداً ؛ وأقول وبالله التوفيق : لا للتعصب ولا للتشدد بل الدين الإسلامي دين لين سهل لكن أغلب الناس إلا من رحم ربي يأخذ الدين لا من القلب ولا العقل بل يحمل الدين على أنه ليس منزل من عند الله وكأن الذي يتعصب ويتشدد هو الذي أنزل الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله بينما النهاية قال الجنيد رحمه الله : "علمنا مضبوط بالكتاب والسنة" فلا تكن هكذا .

(2)

باب

تأمل جيداً ما هي أهمية السيرة النبوية الشريفة

من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وآله وسلّم.

اللهم صلِّ على محمد، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

هذا هو المجلس من مجالس السيرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الحقيقة، أيها الإخوة، أعلم أن كثيرًا من إخواننا قد تاقت نفوسهم لسماع وصف خُلق النبي صلى الله عليه وسلم، وكنتُ عازمًا على ذلك، إلا أن أحد إخواني اعترض عليّ برأي راجح عندي، إذ قال: "لقد ذكرتَ في اللقاء الفائت الشوق إلى الشريعة، فكيف يشتاق المرء إلى الشريعة؟"[1]

قلنا آنذاك إن من فوائد السيرة أنها تُشوِّقك إلى الشريعة ؛ تشعر أن نفسك تودّ أن تعيش كما عاش أجدادك، في زمن كانت الشريعة فيه واقعًا حيًّا.

تخيل، على سبيل المثال، دار الأرقم.

وبالمناسبة، أحد الإخوة حدثني أنه قضى الأسبوع الماضي وكأنه يعيش في تلك الدار، يتخيلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيها، وحوله أصحابه.

أيها الإخوة، تمتعوا، وتعلموا، واعلموا أن من هذا العلم ما هو فرضٌ على كل مسلم [2]، فمن لم يعمل به فقد يأثم، وإذا أثم فإنه سيُحاسب، ومن نوقش الحساب عُذّب، نسأل الله عز وجل أن يعافينا وإياكم.

---

1 – أعلم بارك الله فيك أن الشريعة الصحيحة هي نور الإيمان والعقيدة ومنبع من منابع الانضباط المحكم لسيما أنها الطريق الواضح لمعرفة الإسلام معرفة دقيقة جداً قال الله في محكم التنزيل : {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }{١٨ الجاثية} لديك الكثير من الاحكام والاركان والمعاملات والشروط لديك شريعة متكاملة ؛ قال الله عز وجل في كتبه الكريم : {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} (المائدة:48) رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية، قال: "الشرعة " : ما ورد في القرآن، والمنهاج: ما ورد في السنة" وقال قتادة: شرعة ومنهاجًا، الدِّين واحد، والشريعة مختلفة ؛ لذلك أعلم أن الدين ليس بهِ نقص . (انتهي)

2 – أريد أن أوضح لك نحن في زمن الفتن الشديدة ويجب أن تتمسك بالدين بشدة ولا تاخذ بكلام الجهلاء والمروضين ، لا تنصت إليهم حتي لا تركن إليهم وتكون معهم أينما كانوا ، بل تمسك بارك الله فيك .

لا سيما وأن العلماء يقولون: إن السيرة تجمع أصول العلوم كلها [1] ؛ فهي ترجمة لحياة من بلّغنا هذه الشريعة، ترجمة حياة النبي عليه الصلاة والسلام، الذي جسّد الإسلام في واقع الحياة، وطبّقه بكل تفاصيله.

فتخيَّل لو قيل لك: "أخبرني عن ترجمة سفيان الثوري"، فكيف إذا قيل لك: "أخبرني عن ترجمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم"؟!

إنها ترجمة الإسلام نفسه.

لذلك، لا بد أن نحيا هذا الدين، لا أن نُبقيه مجرد قواعد ونظريات، بل أن نجعل له تطبيقًا عمليًّا في حياتنا.

فلنتفق هذا الأسبوع على أن نعيش مع دار الأرقم، ونتأمل كيف آوى إليها الصحابة، وكيف كان القرآن يتنزّل.

فمن تأمل ذلك استشعر لذة الشريعة، واشتاق أن يُتلى عليه القرآن، وأن يعيش تلك الحياة الإيمانية، فيُعظّم شرع الله في قلبه، ويرغب أن يُحكَم به في نفسه وأهله ومجتمعه.

كيف يستعد المرء لذلك؟

وجدتُ هذا السؤال وجيهًا، فقلت لنخصص هذا المجلس أيضًا لهذا الموضوع، دون أن نخرج عن السيرة، بل هو من فوائدها.

نحن الآن في الفائدة التاسعة من فوائد قراءة السيرة، وهي أمران:

- تجهيز القلب
- وتعلُّم مقاصد الشريعة ومحاسنها

أما تجهيز القلب:

---

1 – أعلم رحمك الله أن الشيخ يوضح لنا عظمه السيرة النبوية وأهميتها في حياة كلاً منا ، وأنظر كلام أجدادنا : فكان زين العابدين بن علي بن الحسين يقول: "كنا نُعلِّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نُعلِّم السورة من القرآن". وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص: "كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه، ويقول: يا بَنِّي هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها". وقال ابن الجوزي: "رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يُمزج بالرقائق والنظر في سيرة السلف الصالح، وأصلح سيرةٍ سيرة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم". وقال أيضا: "وأصل الأصول العلم، وأنفع العلوم النظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال الله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}(لأنعام:90). وكان الزهري يقول : "علم المغازي والسرايا علم الدنيا والآخرة" .

فالله عز وجل خلقك على الفطرة، وهي الإسلام.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه".[1] ولم يذكر "يمسلمانه"، لأن الأصل هو الإسلام.

هذه الفطرة تدفعك لحبّ الله، وحبّ شريعته.

ولذلك نقول إن من غرائب الأمور أن ترى جمعًا غفيرًا من المسلمين يرفعون شعار "نريد أن نُحكم بما أنزل الله"، لكنهم حين تُعارض الشريعة مصالحهم أو عاداتهم، يبدأون بالتنصُّل منها![2]

فالفطرة تقول: نريد دين الله، لكن تلوث الفطرة يدفع إلى الهروب منه.

لذلك، نحتاج إلى قلبٍ نقي، يعود إلى الفطرة الصافية بعد أن تلوثت.

وقد ذكرنا هنا حديث الغفلة:

"تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير، عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء."[3]

شبّهنا القلب بالكوب أو بالخشبة: تأتيه الفتنة، تضربه، فينحرف عن مساره.

فإن تاب، عاد القلب إلى استقامته، كما يقول أهل الصنعة: "نستعدل القطعة المعوجّة".

هذا الاستعدال اسمه في الشريعة: رياضة القلب.

فالقلب له حجب تحول بينه وبين الله، وله ميولٌ فطرية. ونحن نحتاج إلى إزالة تلك الحجب ، وتعديل تلك الميول.

خطورة هذا الموضوع أن أمراض القلوب، إذا لم تجتهد في علاجها وتركتها، فإن الله إن أراد بك خيرًا استخرجها لك، لكنها تكون قد استفحلت، فيكون الألم أشد.

من الأفضل إذًا أن تُنقي القلب أولًا بأول.

ولعلنا ذكرنا هنا أو في "الهداية" الآية المرعبة في سورة آل عمران، حين قال الله تعالى:

"إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ"

---

1 – حديث صحيح مشهور رواه البخاري ومسلم في الصحيحين

2 – و هكذا عادات وتقاليد البشرية الذين يحبون حب الدنيا أكثر من القرب إلي الله وحب الأخرة .

3 – عن حذيفة بن اليمان عن الرسول صل الله عليه وسلم أنهُ قال : {تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سَوداءُ ، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى يصِيرَ القَلْبُ أبيضَ مثْلَ الصَّفا ، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخَرُ أسودُ مُربَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يَعرِفُ مَعروفًا ، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه} صحيح أخرجه مسلم (231) والبزار (2844) بنحوه مطولا، وأحمد (23280) بنحوه .

هذه الآية تصف ما حدث في غزوة أحد حين التفّ خالد بن الوليد على المسلمين، فتراجعوا، وقُتل منهم سبعون، وجرى كل رجل منهم لا يلتفت إلى أحد.

قال الله: "ولا تلوون على أحدٍ" أي لا تلتفتون، لا إلى ابن، ولا إلى أب، ولا إلى صديق.

قال بعض العلماء: "إذ تصعدون" أي تصعدون إلى الجبل، أو تنطلقون مسرعين بلا وعي.

لكن ما السبب؟

الصحابة خير الناس، خيرة الخلق بعد الأنبياء، فما الذي جرى؟

يقول بعض المفسرين (ورجحه ابن القيم في زاد المعاد): إن الباء في "بغم" للمقابلة، أي أن الله قابل غمَّهم بغمٍّ آخر؛ عقوبةً وتأديبًا لهم، وتحكمًا كما في قوله تعالى:

"بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"

فهل يُبشر المنافقون؟! لا، بل تحكمًا وتوبيخًا.

قال الله تعالى:

"فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"

أي أن الله عاقبهم بالغم، ليطهّر قلوبهم، ويُهيّئها لما هو أعظم.

والعجيب أن هذا الغم لم يكن إلا لمجرد مخالفة يسيرة، حين عصى بعض الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلوا من جبل الرماة ظنًّا أن المعركة قد انتهت.

وهنا ينبغي أن نقف مع أنفسنا وقفة محاسبة :

هل نحن، في واقعنا، نُعظّم أمر الله ورسوله كما عظّمه الصحابة؟

إن مجرد مخالفة أمرٍ واحد جلب لهم الغم!

فكيف بنا وقد تركنا أوامر كثيرة، وأعرضنا عن سنن، وتهاونا في الفرائض؟ [1]

أيها الإخوة، إن القلب إذا لم يُهيّأ لاستقبال الشريعة، فلن تثمر فيه الآيات ولا الأحاديث.

تخيّل قلبًا كالأرض الصلبة؛ تُسقى بالماء فلا تنبت.

كذلك القلب القاسي، لا ينفع معه علم ولا موعظة حتى يُطهّر من أمراضه، وتُزال حُجبه.

---

1 – أقول وبالله التوفيق ، معلقاً علي كلام شيخنا أن الآن ومع مرور الوقت سوف يزيد التهون أكثر فقد تم ومازال هناك اختراعات وموامرات أشد وأغلظ مع الانشغال بالمال والاولاد وحب الدنيا وهوي ما بعده هوي ؛ فإذا لم نرجع إلي الله فهذا هو الخسران المبين بعينه . (انتهي)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب." (1)

فصلاح القلب هو الأساس.

وإن من أعظم ما يُصلح القلب: التأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها تُعلّمك كيف كان يتعامل مع الناس، وكيف كانت عبادته، وتوكله، وخشيته، وزهده، وحُسن خلقه، وصبره، وعدله.

بل إن السيرة تُريك الإسلام حيًّا على الأرض.

أيها الإخوة الكرام ،

إن القلب يتلوّث بالنظر المحرّم، والاستماع إلى الغيبة، والحسد، وحب الدنيا، والانشغال بالشهوات.

فإذا لم تُنقِّ قلبك من هذه الأدران، فسيكون كالمريض الذي لا تقبل أعضاؤه العلاج.

فكيف السبيل إلى تنقية القلب؟

المحاسبة والمراقبة: راقب قلبك، واسأل نفسك كل يوم: ما الذي دخل قلبي اليوم؟ حب مال؟ كِبر؟ حسد؟

الاستغفار والتوبة: قال الله تعالى:

"وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا"

القرآن: فهو شفاء لما في الصدور. لا تقرأه فقط، بل تدبّره وتأمل معانيه.

قال الحسن البصري رحمه الله:

"إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيان، لا علم لهم بتأويله، وما تُدبِّره إلا باتباعه."

فلا يكفي أن تقرأ، بل لا بد أن تتبع، وتتأثر، وتعمل.

أيضًا من أسباب صلاح القلب: الصحبة الصالحة.

فالمرء على دين خليله، وكما يُقال: "الصاحب ساحب"، فإن صاحبتَ أهل الذكر والإيمان، أعانوك على إصلاح قلبك.

ثم بعد ذلك، يأتي التعلُّم.

---

1 – حديث صحيح أخرجه البخاري (52)، ومسلم (1599)

نعم، لا بد من تعلُّم مقاصد الشريعة، وأن تُدرك لماذا شرع الله هذا الأمر، ولماذا حرم ذاك.
فإذا عرفت الحكمة، اطمأن قلبك، وثبت قدمك، وامتلأ وجدانك بحب هذه الشريعة.
وما أجمل أن نربط بين التعلُّم والإيمان، وبين الفقه والخشية.
قال تعالى:
"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"
فالعلم الذي لا يُورث الخشية، علمٌ ناقص، وربما يكون حجة على صاحبه لا له.
أيها الأحبة،
إننا لا نطلب فقط معرفة قصة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تفاصيل المعارك، ولا الأنساب والسير، بل نطلب أن تُغيّر هذه السيرة حياتنا، أن تُخرجنا من الظلمات إلى النور، من الغفلة إلى اليقظة، من الكسل إلى الهمّة، من الجهل إلى البصيرة، ومن الدنيا إلى الآخرة.
فلنُقبل على سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم بقلب خاشع، وعقل واعٍ، ونية خالصة، عسى أن يفتح الله علينا من أنوارها، ما يُغيّر به حالنا، ويصلح به قلوبنا، ويهدينا به صراطه المستقيم.
اللهم اجعلنا من المتبعين لسنة نبيك، المحبين له، المقتدين به، السائرين على نهجه، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
ثم تأملت قوله تعالى:
"فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ"
وسألت نفسي: ما معنى "الباء" هنا؟ قال العلماء: هذه الباء للمقابلة، أي جزاءً لما فعلتم.
بمعنى: أنكم تسببتم في غمٍّ لأحد، فابتُليتم بغمٍّ مثله، جزاءً من جنس العمل.
ولكن السؤال: في من فعل الصحابة غمًّا؟
في النبي ﷺ!
فما جرى في غزوة أحد، يا إخوة، كان في حقيقته نصرًا من الله للنبي ﷺ.
انتبه جيدًا لهذا المعنى !
وهؤلاء الذين نتحدث عنهم هم الصحابة، ولم يكونوا متعمدين!
النبي ﷺ قال لهم:

"لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير"

أخرجه البخاري (**3039**)، ومسلم (**1811**).

ولكنهم نزلوا حين ظنوا أن المعركة قد انتهت.

يقول الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

"فنظرنا يوم أُحد إلى النساء، وقد حسرن عن ثيابهن، حتى بدت خلاخلهن."

(ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" وقال: بإسناد صحيح).

وهذا دليل على هول ما حدث. النساء اللائي كنّ في مؤخرة الصفوف، خرجن مسرعات، وقد شمرن عن ثيابهن حتى ظهرت خلاخلهن (أي الزينة في أرجل النساء كالخلخال)، فهرعن لجمع الجرحى.

وبالمناسبة، حين شمرت المرأة ثوبها ظهر خلخالها، ونحن الآن – مع الأسف – نرى حال النساء كلهن كأنهن في ساحة حرب، كلهن مشمرات، تبرّج جاهلي!

وقد نهى الله تعالى عن التبرج، فقال:

"وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى"

سورة الأحزاب، الآية **33**

إذا كانت هذه المرأة – لمجرد أنها شمرت ثوبها – نزل في شأنها قرآن، فما بالنا بما نراه في واقعنا الآن من التبرج الصريح؟

القصد، أيها الإخوة، أن الصفوف انكشفت حتى ظهرت النساء، مما يعني أن المشركين قد انتصروا ظاهرًا.

قال الصحابة: "النبي ﷺ قال لنا: لا تنزلوا إلا إذا رأيتمونا نُهزم"، فلما رأوا الهزيمة حصل التأويل.

إذًا، هل ما حدث كان معصية؟ نعم، في الظاهر هو عصيان، لكنه كان معصية فيها تأويل.

ورغم ذلك، انتصر الله لنبيه ﷺ!

فما بالك بنا نحن، ونحن نرى تلاعبًا بأوامر الله ورسوله!

أحاديث تُوضع في غير موضعها، ويُتلاعب بها لأغراض دنيوية، ألا يُعدّ ذلك تلاعبًا؟

ومع ذلك، فالله بحلمه يمهلنا، لكن هذه الإمهال لا يعني الرضا، بل هو ابتلاء، وقد يُفضي إلى سؤال عظيم ؛ نسأل الله عز وجل أن يعفو عنا، وأن يرفع درجتنا .

أيها الإخوة، الأمر عظيم، ويتطلب دراسة وفهمًا .

وسنن الله لا تتبدل:

"وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"

🔷 سورة الأحزاب، الآية **62**

إذا أتيت إلى الله بقلبٍ مريض، فإنه سيطهّره،

لكن الطهارة تكون بطريقتين:

في الآخرة: تكون الطهارة بالعذاب.

في الدنيا: تكون بالطُّهر عبر البلاء والشدائد.

لذلك، ما حدث للصحابة كان لتمحيصهم.

قال تعالى:

"وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ"

🔷 سورة آل عمران، الآية **141**

أي أن ما حدث في أُحد كان تطهيرًا، لأن في القلوب بعض الشوائب، فأراد الله أن يستخرجها.

فلو لم تُخرج أمراض قلبك اليوم، ربما يُخرجها الله منك ولكن بشدة وابتلاء.

فيا إخوة، إذا أردت تعديل القلب، فلا بد له من رياضة.

وقد ذكرتُ هذا الأمر سابقًا في هذا المسجد، وقلنا إن رياضة القلب تكون بأربع وسائل.

اذكرها واحفظها جيدًا، فهي مما ذكره الإمام ابن قدامة رحمه الله في كتابه "مختصر منهاج القاصدين"، تحت عنوان: "رياضة القلوب".

الأربع وسائل هي:

1 – مقدّمة

2 – وشرط مسبق

3 – ومعتصم

4 – وحصن

فانتبه لها جيدًا، فإنها أساس في تأهيل القلب.

◈ أما المقدّمة: فهي ذِكر الآخرة تفصيلًا، وليس إجمالًا.

حين تذكر الآخرة بتفصيل، ينكشف الحجاب عن القلب، ويبدأ يستقيم ويتأهّل لأن يُبصر.

وأقول لك صراحة: ابن قدامة لم يقل "تفصيلًا" حرفيًّا، لكني أضيفها من عندي لأن هذا هو المفتاح الحقيقي.

لماذا؟ لأننا – غالبًا – نذكر الآخرة بإجمال.

يعني مثلًا:

– هل تتوقع أنك ستموت؟

↩ نعم، كلنا سنموت.

– هل تتوقع أنك ستُبعث وتُحاسب؟

↩ نعم، نعلم هذا.

– هل تؤمن بالجنة والنار؟

↩ نعم، نؤمن.

لكن السؤال الأهم: هل تتصور ذلك حقًّا؟

هل استقرّ في قلبك هذا التصوّر وكأنك تراه؟

الإجابة: في الغالب لا.

◈ تعال نأخذ مثالًا على أهمية التفصيل:

كان الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يذهب إلى الحدادين، فينظر إلى النار وهي تنفخ على الحديد، فيبكي!

ولماذا يبكي؟ لأن الله تعالى قال:

"نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ"

◈ سورة الواقعة، الآية **73**

أي: أن نار الدنيا تذكِّر بنار الآخرة.

وهنا قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

إن الناس بدون نار كأنصاف أموات، فالله جعل نار الدنيا سببًا للتذكر.

كنا نقول دائمًا للإخوة: خذ مثلًا بسيطًا من حياتك اليومية، عندما تكون وحيدًا في المنزل، وتريد أن تقلي بيضتين في زيت ساخن...

حين تضع البيض، الزيت يبدأ "يطرطش"، أليس كذلك؟

تخيّل أن نقطة زيت ساخن سقطت على يدك...

بماذا شعرت؟ بالألم الشديد!

فماذا تتخيل عن حميم جهنم؟

والحميم هو الماء المغلي جدًّا، الذي يشربه أهل النار.

قال تعالى:

"يُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ"

❖ سورة إبراهيم، الآيتان **16**–**17**

أي: يشربه مضطرًا، ولا يستطيع بلعه!

❖ في يوم من الأيام، مرّ رجل بجوار عطاء السلمي رحمه الله – وكان من العباد الخائفين – وكان هذا الرجل يحمل شعلة نار لإضاءة الطريق، فصدمت الريح الشعلة فأصدرت صوتًا...

فما كان من عطاء السلمي إلا أن أُغشي عليه من شدة الخوف!

لماذا؟ لأنه تذكّر نار الآخرة.

هذا، مع أنهم من قرون الخير، الذين فهموا مراد الله ورسوله خيرًا منا، ومع ذلك كانوا يرتجفون من الخوف.

فماذا عنا نحن؟!

نحن نحتاج إلى تفعيل هذه المشاهد في قلوبنا.

❖ شاهد آخر:

حين رأت امرأة ولدها الضائع، فجرت وأخذته وضمته إلى صدرها، وأرضعته من شدّة الشوق والحب، فقال النبي ﷺ لأصحابه:

"أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟"

قالوا: لا والله، ما كانت لتطرحه.

فقال ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها."

✓ صحيح، رواه البخاري (**5999**) ومسلم (**2754**)

فالنبي ﷺ لم يُضِع هذا الموقف، بل استثمره لتربية الصحابة، ولغرس الإيمان برحمة الله.

وأنت أيضًا، إذا وقعت في موقف فيه عبرة، فلا تضيع تلك اللحظة.

مثلًا: إذا طُرحت نقطة زيت مغلي على يدك، وتوجّعت، فافتح قلبك للمشهد...

هل تخيلت لو أنك شربت هذا الزيت؟!

فإن الحميم الذي في جهنم أسخن منه بأضعاف!

◆ بل إن أهل النار إذا قُرِّب منهم الحميم، قال الله تعالى:

"وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ"

◆ سورة الكهف، الآية **29**

أي أن الماء المغلي لا يُروِي، بل يُشوِي!

نسأل الله العافية.

فلننتقل الآن من وصف النار إلى وصف الجنة، كي يتحرك القلب بين الخوف والرجاء.

كنا في زيارة لمدينة الإسماعيلية، وهي مدينة جميلة ذات خُضرة وهواء لطيف، فمررنا بمكان تحيطه الحدائق من كل جانب، فقلت في نفسي:

هذا مما زرعه البشر، وتحمّل به الناس، فكيف يكون حال جنةٍ غرسها الله بيده؟!

أتعلم ما معنى أن الله هو من غرس الجنة؟!

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال لرجل:

"ازرع لي فسيلات"،

قال: "على أن لا تموت منهن نخلة!"

فغرسها له النبي ﷺ بيده الشريفة، فما ماتت واحدة منها.

(رواه ابن سعد في "الطبقات الكبرى"، وإسناده حسن كما قال ابن حجر في "فتح الباري").

فإذا كان هذا غرس النبي ﷺ، فما بالك بالغراس الذي يغرسه رب العالمين؟!

يا أخي، عندما تعلم أن الله هو من زرع الجنة، وأنه أعدّها بيده، هل لا تهيم شوقًا إليها؟

قال النبي ﷺ:

"في الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر."

✓ صحيح، رواه البخاري (**3244**) ومسلم (**2824**)

فكل ما في الدنيا من جمال – مهما بلغ – لا يُقارن بجمال الجنة.

فهل نشتاق إليها؟ وهل نعمل لها؟

القلب الصحيح هو الذي يتذكر الآخرة بالتفصيل، لا الإجمال.

أما التذكّر المجمل (نعم، سنموت، وسنُحاسب) فهذا لا يحرك قلبًا.

إنما التفصيل: أن تتخيل لحظة الموت، وسكراته، ثم القبر، وظلمته، ثم البعث، والنشر، والحساب، والمرور على الصراط... إلخ.

❗ هذا هو الذي يطهّر القلب سريعًا، ويُعيده إلى فطرته.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" أن "دواء القلب في أربعة أمور":

1 – قراءة القرآن بالتدبر

2 – خلاء البطن (الصيام)

3 – قيام الليل

4 – والتضرع في الأسحار

ومن أعظم هذه الوسائل: القرآن، وذكر الآخرة تفصيلًا، لا مجرد كلام.

وأذكّرك بقول الله تعالى:

"إِنَّمَا نُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"؟ لا، بل قال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"

🔻 سورة البقرة، الآية **185**

فالطريق إلى الله ليس بالعذاب فقط، بل بلذّة الطاعة، وحلاوة القرب، لكنك تحتاج إلى أن تُنقّي القلب أولًا.

وتلك هي الرياضة الحقيقية للقلب.

استلقِ قليلًا، وتأمل!

لو كنت قد ذكرت لك اليوم أنني أريد أن أتحدث أمامكم عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم، لكنت قلت لنفسي: سأخبر إخواني بذلك ، هل استلقي أحدكم قليلًا على ظهره في جو هادئ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كيف كان يمشي مع الصحابة، وكيف كان خلقه صلى الله عليه وسلم؟ أتمنى أن تكون ثمار هذا التأمل بعد أن نقرأ صفته عليه الصلاة والسلام.

قد تتأخر مثل هذه الدروس أحيانًا، وهذا من تقدير الله عز وجل؛ ليتهيأ لها القلب بشيء من الشوق والعبودية، حتى يتصفى.

إذا تليت عليك صفته، تأخذ إيمانًا يصل إلى النجوم.

ذكر الآخرة بالتفصيل

عندما تفكر في الموت، لا تقل فقط "كلنا نموت" وتكتفي بذلك، بل افصل الأمر وتعمق فيه.

لقد قلت هذا الكلام من قبل، وأنا أعلم أنه مكرر لديكم، لكني أعدكم أني سأكرره كثيرًا، لأن الأمور العظيمة لا تتقرر إلا بعد التكرار واللحاح.

عليكم أن تذكروا دومًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمل على إزالة الجاهلية حتى آخر لحظة في حياته، كان يجتهد لإزالة آثارها من جذورها.

ذكر الآخرة والتأمل

أيها الإخوة، أنت تعلم أحيانًا أن هناك من يتجرأ على الله عز وجل، لا يذكر الآخرة حقًا، ولا يتذكرها، وهذا من أخطر الأمور.

كان أحد الإخوة يقول لي إنه لأول مرة يدخل الجامعة اليوم، وكان من عجب أن يكون درس ذكر الآخرة لهم نصيبًا أعظم من أي درس آخر.

اذكر دائمًا أنك ستموت وحدك، وأنك ستُحمل وحدك، وأن المصير إما إلى الجنة أو النار.

الموت بين الراحة والقلق

الموت قد يكون نعمة، يكون مريحًا في بعض الأحيان.

ورد في بعض الآثار أن أهل الجنة، بعد دخولهم، يتذكرون وصف ملك الموت حين قبض أرواحهم.

تخيل أنك في الجنة جالس مع صاحبك، تتحدثان، وفجأة يأتي ملك الموت ليقبض روحك. إنه "الموت الجميل" بحق.

- وصف ملك الموت

هل تذكر رائحة ملك الموت؟ وهل تذكر نوره الذي يشع منه؟

عندما يأتي ليقبض الروح، يضع يده على الرقبة (مكان الترقوة والحلقوم)، وهو الموضع الذي تُشد منه – – الروح.

يطمئنك ويقول: لا تخف، فإن الله قد رضي عنك.

رحلة الروح

كان لنا خطب في حلقات "الدار الآخرة" التي ذكرت فيها رحلة الروح عند خروجها من الجسد.

روى البَرَاء بن عازب في مسند أحمد حديثًا أن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا، تخرج روحه.

وأنت محاط الآن بالملائكة، كما جاء في بعض الأحاديث: إذا اجتمع القوم على طلب العلم، تحفهم الملائكة، ويبلغ ذلك السماء.

– قبض الروح

حين يأخذ ملك الموت الروح، لا يتركها في يده سوى طرفة عين، ثم يأخذها إلى السماء.

إذا كانت الروح صالحة، يُكفنها في مسوح من الجنة، ويوضع معها قطعة حرير من الجنة.

نسأل الله أن يجعل خاتمتنا خيرًا، وأن يزيّن أرواحنا بكفن من الجنة.

– استقبال الملائكة للروح

عندما تصل الروح إلى السماء، يستقبلها الملك برائحة طيبة ويقول: رضي الله عنك، روح من هذه؟ ويُعرَّف باسم صاحبه.

هذه الروح محبوبة، وتُدعى له بالبركة والرضا.

– طمأنينة الروح

تسمع هذا الكلام فتطمئن، وكأنك في الجنة تجلس وتتحاور مع صاحبك.

– الروح والعودة إلى الجسد

عندما تعود الروح إلى الجسد، أول ما يقوله الإنسان: "ربي أقم الساعة"، فيسأل: هل قامت الساعة أم لا؟

الإنسان يكون مرعوبًا من قيام الساعة.

نسأل الله العافية، فهو أرحم الراحمين، وخير الستّارين.

تخيّل معي المشهد

عندما يخرج الملك الموت الروح مضطربًا مرعوبًا، فهو يعلم أنه ذاهب إلى أيامٍ سوداء، فيخرج منها كأنما النبي صلى الله عليه وسلم شرح لهم هذا المشهد وقال:

تخيل أن ملك الموت يحمل الروح، وفجأة يمر أحدٌ ما، فيلعنه قائلاً: من هذا؟ فيجيبه: هذه روح فلان الخبيث!

فكيف يكون حال ذلك الخبيث؟ في الدنيا، ربما تكون الريحة غير مستحبة ؟!

تخيل لو كنت تعمل في مكان ما، ومر بك أحدٌ تحمل رائحة غير طيبة، كيف ستكون ردة فعلك؟ ربما تود لو غسلت يديك، أو ابتعدت عنه.

فكيف بالملائكة الذين يقفون على أرواح الناس ويشمونها؟

– الملك والرحلة إلى السماء

تخيل أن هذا الملك يطرق باب السماء، فيفتحه له ملك آخر، ويقول له: "لا، هذا عليه لعنة الله"، ويرمي الروح في السجن.

ومن يهن الله فلا مكرم له.

تخيل أنك تقف على سطح منزل أو جامع، وتنظر إلى السماء، فإذا نزل شخص من السماء حتى الأرض، لا يلاقيه أحد إلا بالعنة.

التفكر في حال النفس بعد الموت

يا أخي، بعد هذا المجلس، قم وتذكر نفسك، وستجد نفسك نشيطًا للعمل، حتى وإن أردت النوم فأنت مدعو للعمل.

حديث عن عمر رضي الله عنه

روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لا يحب أن ينام في مجالس العلم، فقالوا له: "يا أمير المؤمنين، تنام في مجلسنا؟ هذا ليس من المروءة."

فأجابهم:

"أنا أعلم أن النوم هنا لا يليق، وماذا أفعل إن نمت بالليل ضيعت نفسي، وإن نمت بالنهار ضيعت الرعية."

ذكر الآخرة، النفخ في الصور، وحالة الفزع

حين ينفخ في الصور، كما حدث لسيدنا موسى عليه السلام، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تُخَيِّروني على موسى ؛ فإن الناسَ يُصْعَقون ، فأكونُ أولَ مَن يَفِيقُ، فإذا موسى باطشٌ في جانبِ العرشِ ، فلا أدري أكانَ ممَن صُعِقَ فأفاق قبلي ، أو كان ممَن استَثْنَى اللهُ عزَّ وجلَّ ."

✓ أخرجه أبو داود (4671) واللفظ له، وأخرجه البخاري (2411)، ومسلم (2373) مطولاً

تخيل الفزع الذي أصاب موسى عليه السلام! فكيف بالناس العاديين؟

شرط مسبق: عقد مع الله بعدم المعصية

عليك أن تعقد النية والعزم أن لا تعصي الله بعد اليوم، تخلّص من كل ما يشغل قلبك من المعاصي، كالسجائر والأسماء الفاسدة التي تحفظها على هاتفك، ولا تتعامل معها.

تنظيف الهاتف وحياتك من المعاصي

قم بمسح أرقام غير ضرورية، ولا تسمح لأي شيء أن يشتت تركيزك أو يُغريك.

عزم التوبة والرجوع إلى الله

إذا أخطأت، فبادر بالتوبة.

قال الله عز وجل في كتابه الكريم :

" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (سورة البقرة، الآية **222**)."

- المعتصم: الواسطة والرشد في الدين

المعتصم هو الذي تعتصم به في أوقات الشدة ومعناه المتمسك.

قال ابن قدامة رحمه الله:

"المعتصم هو الرجل الذي يهديك ويرشدك من أهل السنة."

أهمية التمسك بالعالم الصالح

كن متصلاً بعالم صالح تثق به، يكون مرشدك ومرجعك، تتحدث معه بصدق وأمانة.

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله:

"كنت أفرح إذا حضر مجلسي الكثير من الناس، وأحزن إذا قلّ."

أهمية وجود شيخ صالح

يجب أن يكون لك شيخ قريب تُفضي إليه، لا تخجل من إخباره بعيوبك، فهو كالطبيب الذي يعالجك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الرجل الذي طلب الرخصة في الزنا:

"هل ترضاه لأمك؟ قال لا. قال: والناس لا يرضونه لأمهاتهم."

✓ صحيح، رواه أحمد بإسناد صحيح

– تنبيه على فتنة المعاصي

من أكبر الفتن التي تواجهنا في زماننا هذا، انتشار المعاصي بين الناس، خاصة بين الشباب.[1]

– قصص من سير الصحابة

تذكّر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه وتوبته، وكيف كانت نصيحة العلماء واضحة، وأن الأخذ بحديث واحد غير مضبوط قد يؤدي إلى التشويش.[2]

– تعايش مع الشيوخ الصالحين

ليس شرطًا أن يكون الشيخ مشهورًا، قد يكون طالب علم نافع لك، فالتواصل والتعلم هو الأساس.

– رياضة القلب : الخلوة والتأمل

تعود أن تخلُو بنفسك، لا تتحدث، تتأمل أسماء الله الحسنى، وتميّز بين ما هو ثابت وما هو غير ثابت، وركز على أسماء الله التي اتفق عليها العلماء، مثل "التواب".

بقيتَ أربع سنوات في الجامعة، فما معنى أن أخبرك اليوم بأن الله ساق إليك هذه الكلمات؟ وهل تقوم وتؤثر فيك آثار أسماء الله الحسنى عندما تجلس مستر خياً تفكر فيها؟

حدثني أخ من الإخوة، قال:

كنت قبل التزامي أتمنى دخول الجامعة، وأحسب أنني سأصبح رجلاً جامعياً وأحصل على شهادة معيّنة، لكنني لم أنل هذه الشهادة، فحزنت.

---

1 – أقول حفظكم الله ، أن ما نعاني منه كثرة الفتن بيننا الشباب حيث انتشار الفسق واشباه الرجال وهؤلاء الذين لا يخافون علي أعراضهم ، أصبحت الموضة والفن والشهرة والرقص هم أهل القدوة للشباب الا من رحم ربي ولا حول ولا قوة إلي بالله ، أصبحت الثقافة المنتشرة هي السب والشعار هو الانحراف في الفطرة والليعوذ بالله .

2 – أعلم رحمك الله ، عندما تستمع الي شيخ لا تتعصب له ولا تتحيز فإنه من الممكن أن يخطأ فهو ليس بمعصوم وأعلم من الذي يتحدث وكيف يتحدث وتحرر من كلامه ولا تقول كما قال أهل الشرك مع اختلاف الصيغة " هذا ما وجدنا عليه شيخنا " بل تحرر وابحث قبل أن تلقي بنفسك إلي التهلكة " وانتمي إلي الشيخ ولا تقدسه " . (انتهي)

ولكن بعد التزامي رأيت فضل الله العظيم عليّ بعدم دخولي الجامعة. لماذا؟

قال لي: لأنني كنت أحب الأمور السيئة، كنت مدخناً مدمنًا، أحب السجائر والمخدرات.

فلو دخلت الجامعة، مع أن الحمد لله في الوقت الحالي الإخوة ينتشرون والدعوة فيها، ورأينا فيها أموراً عظيمة، فإن بؤر الفساد لم تزل موجودة.

هل أنت جامعي؟ إذاً أنت زعلان، تريد أن تترك الجامعة؟ هناك بؤر فساد!

سمعتُ من أخ يقول لي: في المدرجات هناك من يتعاطى المخدرات، وفي أخرى توجد علاقات غير مشروعة، وفي أخرى زنا، وهكذا.

فهل هذا موجود؟ نعم، موجود.

إنه يقول: إذا جلست أفكر في نفسي بخصوص الجامعة، فإني أرى أنني لو دخلتها كنت سأضيع.[1]

فكر كيف جُلبت إلى الجامعة؟ وكيف أثر فيك ذكر أسماء الله الحسنى، وكيف أن هذا أثر في إيمانك ورفعك إلى السماء؟

هناك أربعة أشياء ينبغي للإخوة أن يحفظوها، حفظاً جيداً، ثم نعمل على رفع الحجاب.

هل تعلم كيف نرفع الحجاب؟ لديك ربع ساعة نرفع فيها الحجاب إن شاء الله.

ذكر ابن القيم رحمه الله لعشرة أسباب هي أحجبة القلب

هي عشرة أحجبة تُغشى بها القلب فلا يرى الحق، وعلينا رفعها ليبصر القلب بوضوح بعد أن يستقيم القلب.

سأل عامر الشعبي شيخ الإسلام: كيف حصلت هذا العلم؟

قال له: حفظته بثلاثة أمور، وهي:

البكور كبكور الغراب

والغراب يُضرب به المثل في أول من يستيقظ.

---

1 – أعلم رحمك الله : أن التعليم شرط أساسي للتعلم وتهذيب النفس وأن تحمل مسؤولية فكل ما عليك هي البعد كل البعد عن النظر المحرم ولا تقول اريد ان اتمتع بشبابي فكيف ذاك ؛ هل تمتع شبابك بالمعاصي والذنوب هل هذا يسمي تمتع ، بل هو من الشيطان وتذكر أن العدو الحقيقي هو الشيطان والنفس الإمارة بالسوء التي تؤدي صاحبها إلي الهلاك تذكر وتأمل جيداً .

الصبر كصبر الحمار

والحمار يُضرب به في الصبر على المشاق.

نبذ الاعتماد والسير في البلاد

يقول ابن القيم:

إن من طلب العلم يحتاج إلى هذا الجد والاجتهاد.

رُويت قصة عن عبد الرحمن بن أبي حاتم، أن أباه حكاه عن رحلاته في طلب العلم، وأنه تعرض لمخاطر كثيرة كأنه كان سيموت ثلاث مرات لكنه لم ييأس، وأصر على طلب العلم رغم الصعاب.

– الحجاب الأول: الجهل بالله

ينبغي للأخوة أن يطلبوا العلم بجد، وينقلوه بكل جهد.

– الحجاب الثاني: البدعة

قال الإمام مالك رحمه الله:

"من ابتدع شيئاً في الدين فكأنه خانه عليه الصلاة والسلام." [1]

وقال الله تعالى:

{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} [المائدة: 3]

فالدين كاملٌ، ولا نقص فيه. فالبدع ليست من الدين.

– الحجاب الثالث: الكبائر الباطنة والظاهرة

الكبائر الباطنة مثل العجب، الكبر، الخيلاء، ورؤية النفس.

الكبائر الظاهرة مثل السرقة، شرب الخمر، وغيرها.

يقول ابن القيم:

"قد تستوي النفس على العمل الصالح فتجعلها جنداً تسير به، وترى العبد أطوع ما يكون وأزهد ما يكون وهو عن الله أبعد ما يكون، بسبب عدم معالجة القلب."

– الحجاب الرابع: أهل الصغائر

أهل الصغائر هم من يبررون الذنوب الصغرى ويستهينون بها، وقد تجرهم إلى الكبائر.

---

1 - وهو يعني أن من أتى ببدعة في الدين، أي أمرًا لم يكن موجودًا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قصر في تبليغ الدين أو خان الرسالة

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

" اشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّهَا، فَقالَتْ: يا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فأذِنَ لَهَا بنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ في الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ."

صحيح : أخرجه البخاري (**3260**)، ومسلم (**617**).

– الحجاب الخامس: الشرك

الشرك الأصغر كالرياء، والشرك الأكبر الذي يخرج من الملة.

– الحجاب السادس: التوسع في المباحات

الأكل والترف والتوسع في المباحات إذا جاوز الحد قد يقود إلى المحظور.

– الحجاب السابع: الغفلة عن الله والتهاون في محاسبة النفس.

تدخل الفتن على القلب دون أن يشعر.

– الحجاب الثامن: العادات والتقاليد والأعراف التي تعوق التوبة والعمل الصالح.

– الحجاب التاسع : الاستسلام للمعاصي والكسل في طلب التوبة.

إن الشعوب حين تضعف، يُمسك بها المجتمع بشكل سلبي، فتتحول الأجواء إلى بيئة خصبة لبكتيريا الاضيار والفساد، فيُهدَم المجتمع والقيم والأخلاق.

قديمًا، قال بعض مشايخنا: "ألا تقولون تريدون الزواج؟" فكانوا يجيبون "نريد"، ثم يقال لهم: "فلتتزوجوا"، لكن الأمور لم تكن سهلة.

في زمن من أزمان المسلمين كانت هناك نكبات كثيرة، كأنها "البسنة" — حيث جمع فوج منهم ذهب إلى الأزهر وطلبوا تسهيل إجراءات الزواج بدفع مبلغ معين للمأذون مقابل تسجيل عقد الزواج، مع توفير غرفة وحمام للزوجة.

لكن بعض الإخوة يقولون: "أنا أهلي يأكلون وجهي!"، أي أنهم عاجزون عن تحمل تكاليف الزواج، بسبب هذه الأعراف والتقاليد التي تثقل كاهل الشباب.

تجد مثلاً شخصًا متزوجًا ولا يستطيع إقامة فرح، فيضطر إلى اكتفاء بثلاث سماعات يشغل بها أناشيد دينية في البيت، وحضور الإخوة، والنساء تجلس مع النساء، وهذا مقبول لكنه محدود.

ولكن البعض يقول: "هذا لا يكفي، لابد من النادي والراقصة! وإلا فالزواج باطل، وربما لا تُعترف به رسميًا".

هل هذه شروط من كتاب أو سنة؟!

ذكر الشيخ أبو ذر القلموني — رحمه الله — موقفًا له مع شاب كان واقفًا مع فتاة فقال له: "لماذا تقف معها هكذا؟" فأجابه: "هذه خطيبتي".

فسأله الشيخ: "هل خطيبتك من أبوك أم من أمك؟" في إشارة إلى أن الأعراف والعادات قد تسلب الإنسان العقلانية وتبعد القلب عن الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"لا تصح العبودية ما دام لغير الله فيك بَقِيَّة."

لا بد من تطهير القلب دومًا.

الحجاب العاشر: حجاب المجتهدين الذين يصرفون عن السير إلى المقصود

هو أن يعمل الأخ عمله، ثم يزهو به ويتفاخر، وكأن عمله هو الغاية وليس الله.

كثير من الإخوان يعجبون بأبحاثهم ويحكمون على المسائل الكبيرة بأقوالهم، رغم أنهم في علمهم لم يبلغوا رتبة الراسخين.

في كل أمر مضطرب، يحتاج الأمر إلى كلام الراسخين في العلم، الذين يستندون على أدلة صحيحة، لا على رأي عابر.

الناس الصغيرة في العلم قد تزيد وتضيف، فتفسد الأمور، بينما كلام الشيخ يكون مضبوطًا.

تطهير القلب وأهمية العلم الشرعي

قال الجنيد رحمه الله:

"لا يبلغ المرء حقيقة التواضع حتى لا تخطر نفسه بباله."

فجانب العلم يحتاج إلى تطهير القلب أولاً، ثم إلى العلم بمحاسن الشريعة.

قال ابن القيم رحمه الله:

"الشريعة كلها خير وبركة."

وأيضًا قال عز الدين بن عبد السلام:

"الشريعة كلها مصالح، إما درء مفسدة أو جلب مصلحة."

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"الشريعة الإسلامية جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها."

وقال الشاطبي في "الموافقات":

"ثبت أن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الدنيوية والأخروية."

الشريعة: حفظ الضروريات

الشريعة جاءت لحفظ الضروريات، وهي: الدين، العقل، النفس، العرض، المال، والنسل.

فمثلاً، أحكام الحج، العمرة، الصلاة، كلها لرفع النفس والروح.

وقد حسدتنا اليهود على التآمين (الصلاة) لأنها تجمع الجسد والروح.

أما حفظ العقل، فالشريعة حرمت الخمر والمخدرات للحفاظ على العقل، فلا ينفلت.

الرضاعة أيضًا مهمة؛ لأن الشريعة وضعت لها حدودًا لحفظ النسل، وحماية الطفل.

الشريعة تحرم القتل بأنواعه: العمد، شبه العمد، والقتل الخطأ.

عناية الشريعة بحفظ النفس والعقل والنسل

إذا ضربك أحد وضحك عظمك، فهناك حقوق للتعويض حسب الشريعة.

كل هذه الأحكام جاءت لتحفظ النفس، كما تحرم الربا، الذي يفسد المجتمع.

أهل العلم في لجان الفتوى في مصر والسعودية والكويت أجمعوا على تحريم الربا.

الرسالة العظيمة للشريعة وضرورة فهمها والتزامها

الشريعة يا إخوتي جاءت لتحفظ لنا ديننا، وعقولنا، ونفوسنا، وأعراضنا، وأموالنا، ونسلنا، وهي أمان لنا في الدنيا والآخرة.

أريد أن أقول إن هذه عناوين فقط، لأن الموضوع أعمق من ذلك، ويتطلب بحثًا أصوليًا.

ولكن ما أريد أن أوصله إليكم هو أن الله سبحانه وتعالى يرزق القلب الرطوبة التي تجعله يستوعب هذه المعاني.

الله وضع لنا الشريعة رحمةً، وهي تأتي لحماية الضروريات التي لا يستطيع الإنسان العيش بدونها.

الضروريات التي تحميها الشريعة

العلماء قسموا الضروريات لنا وهي :

الضروريات: مثل الدين، العقل، النفس، العرض، المال، والنسل.

الحاجيات: الأمور التي تُيسر الحياة وتُعززها.

التحسينيات: ما يزيد الحياة حسنًا لكنه ليس ضروريًا.
فالشريعة شرعت العبادات لتزكية النفس، كالصلوات، والصيام، والذكر، والقرآن.
العقل كذلك محمي بحرمة الخمر والمخدرات، للحفاظ على صفاء الذهن.
النسل محفوظ عبر حدود الرضاعة، وحرمات الزواج، للحفاظ على النسب الطاهر.
الشريعة تحفظ النفس
حفظ النفس من أهم مقاصد الشريعة، فهي تحرم القتل والاعتداء، وتعاقب على ذلك بما فيه من تعويضات تعيد الحق لأصحابه.
كما تحمي المال، سواء عبر تحريم السرقة أو الربا، لأن المال أساس استقرار المجتمع.
الشريعة بين الحكم والرحمة
قال ابن القيم رحمه الله:
"إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل ورحمة ومصلحة وحكمة."
وهي بهذا تجمع بين الدنيوي والروحي، لتكمل حياة الإنسان.
الشريعة جاءت لحفظ الإنسان ولجلب مصلحته، ونحتاج أن نتعمق في هذا الموضوع لنتشوق أكثر لحكم الله عز وجل.
في بعض الناس يقول لك: «ده واحد عمل محضر عليك وأنت في بيتك ساكت، يعني ممكن أي حد يبليني». الكلام ده في الدين مش صحيح، لأن البينة على المدعي واليمين على من أنكر. مثلاً، لو واحد سرق عربية واحتجز صاحبها، دي جريمة عظيمة، وهذا يسمى حرابة، والشريعة فيها عقوبات شديدة للحفاظ على دماء الناس وأموالهم.
وفي قصة مشابهة، كان في حالة في فرنسا، حيث كان أحد المرضى يحتاج إلى بتر رجله لعلاج خراج، لكنه رفض، ونتيجة لذلك مات، والشريعة تحفظ الإنسان وتحاول أن تمنع الضرر.
أهل العلم المسلمين أضافوا الكثير للعالم، حتى في العلوم والفضاء، حيث المسلمون كانوا من أوائل من درسوا الأرض والفضاء، ولم يُعرف هذا إلا لاحقًا.

في علوم الشرع، نجد أن الشريعة جاءت لحفظ الضروريات الخمس: الدين، العقل، النفس، العرض، والمال. الله عز وجل شرع لك العبادات لترتقي بنفسك، وحرم الخمر لحفظ عقلك، وحرم القتل لحفظ النفس، وغيرها من التشريعات التي تهدف لحفظ المجتمع والفرد.

كما أن الشريعة عالجت موضوعات مثل تحريم الربا، وحفظ الحقوق، والمحافظة على النسل.

الشريعة هي أساس الحفاظ على حياة الإنسان وكرامته وراحته في الدنيا والآخرة.

ومن الجدير بالذكر أن هناك حجاب أو حواجز أمام القلب تمنعه من فهم الشريعة كما يجب، وهذه الحواجز ذكرها العلماء، مثل الجهل بالله، والبدعة، والمعاصي، وغيرها.

وأخيرًا، نصح العلماء بضرورة التمسك بطلب العلم الشرعي بجانب العلم الدنيوي، فالإنسان يستطيع أن يجمع بينهما بالترتيب والتنظيم.

- بعض النصائح العملية لطالب العلم :

التردد على شيخ قريب للسؤال والاستفادة.

تلخيص الكتب بدلاً من حفظها كاملة للحفاظ على الوقت.

التوفيق بين الدراسة الجامعية والعلم الشرعي ممكن، ولكن يحتاج إلى تنظيم.

لا تقلل من قيمة دروس التربيّة والسلوك فهي جزء مهم من العلم.

تكملة الحديث عن الأمور الشرعية والعلمية :

النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما حسدَتْكمُ اليهودُ على شيءٍ ما حسدَتْكم على السلامِ والتأمينِ »[1] ، فمعنى ذلك أن ديننا متكامل في جميع الجوانب الضرورية للحياة.

العقل من أهم ما حرم الله عليه الخمر، ليحفظه الإنسان من الفساد،

ولأن العقل هو مركز الفهم والتدبر.

وحتى بعد التعافي من الإدمان، يشعر الإنسان أحيانًا بأنه غير مدرك تمامًا

بسبب تأثيرات الإدمان على الدماغ.

الشريعة جاءت لترفع هذه الأمة وتطورها ؛ علينا أن ندرس الشريعة ونحبها، فهي خير في الدنيا والآخرة.

---

1 – صحيح أخرجه ابن ماجه (856) واللفظ له، وأحمد (25029) بنحوه مطولاً

ابن القيم رحمه الله قال في «مفتاح السعادة» إن حاجة الناس للشريعة تفوق حاجتهم لأي علم آخر، حتى علم الطب.

فالطب يحفظ الجسم، والشريعة تحفظ الروح والقلب، وإذا لم يطلب الإنسان الشريعة ففساد الروح والقلب سيؤدي إلى فساد الجسد أيضًا.

الشريعة جاءت لتحفظ النفس، فمثلاً تحرم القتل العمد وشبه العمد، وتعطي الأحكام المناسبة للحفاظ على الحقوق.

مثلاً، إذا ضرب الإنسان آخرًا وأظهر العظم نتيجة الضربة، فعند التصالح يدفع المضرور تعويضًا ماليًا كبيرًا، وهذه أحكام تمنع انتشار الظلم والاعتداء.

وهذا كله هو حفظ للنفس وللأموال، ورفع عن الناس الفساد.

– حديث عن العلوم والتقدم العلمي :

العلم في الإسلام لم يكن مقتصرًا على الدين فقط، بل المسلمون أسهموا في علوم عديدة كالفلك والرياضيات والطب والهندسة.

أمثلة على ذلك مثل العلماء الذين اكتشفوا الحساب والعلوم والفلك والطب واللغة ، وهو أمر لم يكن معروفًا عند الكثيرين في العصور السابقة.

أما القنبلة الذرية والعلوم الحديثة، فمهد لها المسلمون بأبحاثهم واكتشافاتهم.

خلاصة:

الشريعة الإسلامية هي شريعة متكاملة جاءت لحفظ مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي أساس صلاح الأمة ورفعها بين الأمم.

الدراسة والتمسك بها يفتح للإنسان أبواب الخير والنجاح في الحياة.

وهؤلاء العلماء الذين يفتون في أمور مثل البنوك والربا، يجمعون في مجالسهم الاقتصاديين والخبراء من علماء الإسلام وغيرهم من المتخصصين، ليقيموا المسائل بدقة.

فمثلاً، إذا قرروا أن بنكًا معينًا فيه ربا أو لا، فهم لا يعتمدون فقط على الفتاوى الدينية، بل على دراسة دقيقة للموضوع من جميع جوانبه.

لذلك، حرم الله الربا وحلل البيع ليحفظ مالك ولا ينتهب منك مالك.

الشريعة جاءت حفاظًا عليك وجلبًا لمصلحتك، ولا بد أن تتعمق في هذه المسائل لتتشوق إلى حكم الله وتطبيق شرعه في حياتك.

أقول لك قصة: كان رجل قد قدم بلاغًا ضد شخص آخر واتهمه بالاعتداء، وتم استدعاؤه للتحقيق.

فقلت له: هل هذا يعني أن أي شخص يمكن أن يُتهم ظلماً؟!

قال: نعم، الكلام في الدين يجب أن يكون بالبينات، واليمين على من أنكر.

الذي يسرق سيارات في الشارع، لا يملكها أصلاً، لكنه يهدد الناس بالسلاح ليستولي عليها.

وهذا فعل حرب ونهب، والشرع يبيح قطع اليد والرجل لمن يعتدي على الناس بهذا الشكل ليحفظ دماء الآخرين.

فالشريعة تحمي الدماء، وتفرض الحدود العادلة، ولا تسمح للظلم والاستباحة.

هذا شأن الشريعة، فهي تحميك في حياتك الدنيا، كما تحميك في الآخرة.

فعندما تقرأ تاريخ الأمم، تجد أن المسلمين هم الذين أحيوا العلوم ورفعوا البشرية.

حتى في عصرنا، لا يزال المسلمون يقدمون علومًا حديثة، ونحتاج إلى الاعتزاز بتاريخنا والعمل بعلومنا الشرعية والدنيوية.

أما عن طلب العلم الشرعي، فهناك من يقول إن الدروس الرقائق مجرد وعظ، وأن طالب العلم يجب أن يتعلم الفقه والأصول والحديث.

وهذا صحيح، لأن العلم الشرعي أصله الفقه والأصول والحديث، لكن الدعاء والوعظ والتربية أيضاً لها دور في تنمية النفس.

مثلاً، الشيخ يعقوب حفظه الله، أنهى كتباً كـ«سبل السلام» و«نيل الأوطار» و«اللمع في أصول الفقه» في سنتين، لكنه أيضاً اهتم بعلم القلوب والتربية.

وعن المذاكرة والجامعة، كثير من الطلاب يشعرون بالحيرة بين المذاكرة الجامعية والعلم الشرعي والتردد على المشايخ.

الحل أن يختار الإنسان شيخًا قريبًا منه يزورّه ويسلم عليه ويسأل ما يجهله، ويكمل قراءة كتبه ويختصر ما يمكن اختصاره.

الشيخ أبو إسحاق الحويني رحمه الله كان يلخص الكتب الضخمة إلى دفاتر صغيرة، ويذاكرها في الأوقات المتاحة كوقت الذهاب والإياب من الجامعة.

أما مسألة التسميات في الدعاء، مثل قول "كرم الله وجهه" لأهل الصحابة، فينبغي الحذر، خاصة مع غلو بعض الفرق.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله إنه من الأفضل اجتناب مثل هذه العبارات حتى لا تختلط الأمور.

وعن الصلاة، إذا فاتت ركعتان من الصلاة، يُقرأ الفاتحة وسورة صغيرة في الركعتين المتبقيتين.

وإذا أدرك المصلي الإمام في الركعة الثالثة، فتعتبر الركعة الثالثة له هي الأولى، والرابعة هي الثانية، ويُصلي فقط بالقراءة الفاتحة.

قال الرسول صلِ الله عليه وسلم :

{ إذا أقيمَتِ الصَّلاةُ ، فلا تَأتوها وأنتُمْ تَسعونَ ، ولَكِن ائتوها وأنتُمْ تمشونَ ، وعليكُمُ السَّكينةَ فما أدرَكْتُمْ فصلُّوا ، وما فاتَكُم فأتِمُّوا } .

صحيح : أخرجه الترمذي (**327**)، وابن ماجه (**775**)، وأحمد (**7649**)

هناك أحد من الإخوة يسأل الشيخ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أحبك الله الذي أحببتني لأجله .

سألني أحد الأخوة: "أنا في بداية الالتزام ولا أعرف ماذا أفعل حتى لا أرجع مرة ثانية، خايف، كيف أتقدم؟"

فقلت له: خوفك هذا هو الخطوة الأولى.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كما يَكرَهُ أنْ يُلْقى في النارِ ". صحيح : أخرجه البخاري (**16**)، ومسلم (**43**)، والترمذي (**2624**)

فهذا الخوف دليل إيمان، والإيمان هو الذي يُنجح التوبة، وهو من أصول الثبات.

الخطوات العملية للثبات:

الخوف من المعصية :

لقد استقذرت الكفر والجهل والمعصية، وهذا بداية التوبة .

تسهيل الطاعات :

لا يعني أن تحمل نفسك فوق طاقتها، ولكن اجعل الطاعات مرفوعة بقلبك .

عندما تصلي، اجعل قلبك يسجد قبل رأسك .

اجعل الاستغفار والتوبة عادة دائمة، وراعِ قلبك .

الصحبة الصالحة:

اختر أصحابًا صالحين يشدون من أزرك، وينصحونك، وابتعد عن من يجرونك إلى المعاصي.

كثرة ذكر الله:

اجعل لك وردًا من الأذكار كالباقيات الصالحات:

سبحان الله

الحمد لله

لا إله إلا الله

الله أكبر

والأذكار المحببة مثل:

سبحان الله وبحمده

سبحان الله العظيم

لا حول ولا قوة إلا بالله

قيام الليل ولو بركعتين:

على قد استطاعتك، فالمهم المواظبة.

كثرة قراءة القرآن :

حاول أن تلتزم بقراءة نصف ساعة إلى ساعة يوميًا، حتى لو كانت دقائق .

الدعاء والتوكل على الله:

اطلب التوفيق من الله دائمًا، وادعوه أن يثبت قلبك على الدين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا مثبت القلوب، ثبت قلبي على دينك".

الهيئة والسلوك في بداية الالتزام:

لا بأس بالضحك والهزار إذا كان في محلّه ولا يضر، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يضحك ويمازح أصحابه.

لكن كن حذرًا من الإسراف في الضحك الذي قد يلهي عن الجدية.

في مواجهة الذنوب والخواطر السلبية :

لا تيأس من رحمة الله، فالله يحب التوابين والمتطهرين.

الذنوب لا تغلب رحمة الله، ولكن المشكلة في عدم المبادرة للتوبة.

يجب أن تحاسب نفسك، وتبدأ التوبة من الآن، كما قال أبو سليمان الداراني [1] :

"لو عذبني قلت إني أحبه، ولو أدخلني النار أخبرت أهل النار أني أحبه".

العلم بالله يزيل الخوف من الذنوب.

أهمية الخطوات الصغيرة في السير إلى الله:

كل خطوة تخطوها نحو الله يُضاعفها الله لك، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".[2]

وحتى سعد بن معاذ رضي الله عنه لما أسلم ومات، قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الملائكة مشوا خلف جنازته، تعبيرًا عن رضاه وفرحه بموت رجل تائب .

جزى الله الشيخ وجميع العلماء خير الجزاء على جهودهم .

---

1 - أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسيُّ الدَّارَانيّ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري وصفه الذهبي بـ « الإمام الكبير، زاهد العصر ». ولد سنة 140 هـ وتوفي سنة 215 ه من أهل داريّا، قرية من قرى دمشق في سوريا

2 – "صحيح" أخرجه الترمذي (2317)، وابن ماجه(3976)

(3)

باب

رحلة عميقة مع أسماء النبي صلِ الله عليه وسلم

أما بعد، فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، فلا زالت مجالسنا تتعطّر بذكر ترجمة رسول الله ﷺ، والسيرة النبوية ما هي إلا ترجمة عملية لحياته ﷺ. فهي جوهر الإسلام وروحه.

لا زلنا نحضُر ونتأمل، وقد شاء الله عز وجل أن يفتح لنا الطريق شيئًا فشيئًا لنقترب من معرفة هيئة النبي ﷺ ووصف خَلقِه وخُلُقِه.

وأحيانًا نرى في الطريق ما يدلّنا على أن الله عز وجل يُمهلنا لعلّنا نكون على قدر المقام، فنتهيّب الحديث عن النبي ﷺ.

أقول لكم: والله إنني أهاب بعض الدروس، أخاف منها حتى يبلغ الخوف حد الجزع! أشعر بالندم بعد إلقائها، حتى أقول في نفسي: ليتني لم أقل هذا الدرس أصلًا.

وهذا ليس من باب المبالغة، بل مشاعر صادقة أنقلها إليكم.

أذكر من ذلك درسين على وجه الخصوص :

الدرس الأول: كان بعنوان السيد الصمد، حين كنت أتحدّث عن تفسير سورة الإخلاص، وأحسست أن المقام كان عظيمًا جدًا، لم يكن ينبغي لي أن أتناول هذا الحديث عن الله عز وجل – السيد الصمد – دون أن أكون في حالة إيمانية تليق بجلال المقام. حتى كتبت بعدها عنوانًا بخط يدي: "غلطة".

وكأنني أخطأت حين تكلمت دون أن أكون في مستوى روحي يليق بالله سبحانه وتعالى.

الدرس الثاني: حديث النبي ﷺ حين جاءه رجلٌ وقال: ((أَتَيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يبولُ، فسلَّمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ حتى توضَّأَ، ثمَّ اعتَذرَ إليَّ، وقال: إنِّي كرِهتُ أنْ أذكُرَ اللهَ تعالى إلَّا على طُهرٍ. أو قال: على طهارةٍ)) [1]

هذا يدلّ على مستوى رفيع ينبغي أن نكون عليه حين نذكر الله عز وجل أو نتحدث عن نبيه ﷺ.

وأيضًا، من المشاعر التي أود أن أشارككم بها، أني حين أستحضر هذا المجلس – "خُلق النبي ﷺ"

1 - أخرجه أبو داود (17)، والحاكم (592)، والبغوي (312) جميعا بلفظه، والنسائي(38) "حسن صحيح"

أشعرأنه مقام رفيع ينبغي التهيؤ له، كما تتحضر المرأة للقاء مهم أو كما يستعد الطالب للامتحان.
فكلما اقترب موعد الدرس، أشعر وكأنني على مشارف الامتحان .
اليوم ظهرًا، خطر في بالي: "اليوم سنتحدث عن الأمجد، الأطهر، الأعظم ﷺ".
وكنت أود أن أسأل الإخوة سؤالًا منذ الأسبوع الماضي:
هل وقعت عظمة النبي ﷺ في قلبك؟
هل شعرت بها هذا الأسبوع بطريقةٍ مختلفة؟
حين قلت: "اللهم صلِّ على محمد"، هل شعرت أن الطعم مختلف عن الأسبوع الماضي؟
هل أحسست أن قلبك أصبح أنقى؟
هذه الأسئلة ليست للجواب الظاهري، بل لقياس الإيمان ومدى تأثير العلم فينا.
أيها الإخوة، حديثنا عن طهارة القلب وسيرة النبي ﷺ ينبغي أن يُثمر إيمانًا حقيقيًا، فهذه ليست مجرد روايات تُروى، بل أعظم محفّزات الإيمان .
فنحن نتحدث عن أحبّ الخلق إلى الله، عن حبيب الله ﷺ. فإذا تحدّثت عنه بصدق، أحبك الله.
فينبغي أن يكون لكل واحد منا "ترومومتر إيماني" يقيس به هل ارتقى بهذا المجلس إلى الله أم لا.
فالصحابة رضي الله عنهم —كما سيأتي
أيها الإخوة الأحبة، لقد وصف الصحابة الكرام النبيَّ ﷺ وصفًا دقيقًا تحليليًا، لأنهم كانوا يعلمون قدره، ويدركون عِظم مكانته .
وإذا كنا نَجلس اليوم لإصلاح القلوب، فما زال يعلَق في خاطري منذ الأمس، حين تحدّثنا عن الموت، ذلك الدرس الذي كان بعنوان: "ذكر الموت"، وقد شعرتُ حينها أنني لا أخاطب أحدًا إلا نفسي وإخواني، أقول: اذكروا الموت.
كما ذكرنا سابقًا، نحن لا نريد أن ننظر إلى ذكر الموت بنظرة تشاؤمية كما يفعل بعض العامة، بل نريد أن نُعيد الأمور إلى أصلها الشرعي.
قال: فإنه ما ذُكر في كثير إلا قلّله، ولا في قليل إلا كثّره. أي أنه يُضيّق على النفس شهواتها في حال السعة، ويوسّع صدرها بالصبر والاحتساب في حال الشدّة.
وفي زمنٍ أصبح فيه كثيرٌ من الناس يقيسون الرجال بمعايير ظاهرية واهية، صارت قواعد الحكم على الناس مضطربة، لا تكاد تثبت على أصل.

فكم من رجلٍ يُوزَن بالكلمات أو بالمظاهر، بينما كانت مقاييس النبي ﷺ أعمق وأصدق.

أيها الإخوة، هي مقاييس الرجال، كما علّمنا إياها النبي ﷺ: أن تزن نفسك بقُربك من الآخرة، وصدقك في مخالفة هواك .

اجلس مع نفسك، وقل: ماذا لو كنتُ الآن في كفني؟ ماذا سأندم عليه؟ أنجِزه الآن ما دمت في زمن المهلة.

كان بعض السلف يجعل قبرًا في بيته، فيدخله ويتأمّل ويقول: "رب ارجعون"، ثم يخرج باكيًا ويقول لنفسه: "ها أنتِ الآن في الأمنية، فاعملي!" – أي: لا زلتِ في الدنيا فاستغلي الفرصة [1] .

أيها الإخوة، قد ذكرنا في اللقاء السابق أن للنبي ﷺ أسماءً عدة، وقد ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "زاد المعاد"، وتوسّع فيها، ولعلّه تفرد بذلك في موضع واحد.

وقد أخذنا منها اسمين عظيمين، وهما: محمد وأحمد، وهما الاسمان اللذان ذُكرا في التوراة والإنجيل.

قال تعالى:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6]

فـ محمد هو الذي استحقّ محامد أهل السماء والأرض، واستوفى صفات الحمد كلها.

وأما أحمد، فهو الذي بلغ الغاية في كل عمل يُحمد عليه، فهو أشد الناس عبادة، وأعمقهم خشية، وأشدهم لله تقوى، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

((إنَّ رهطًا من الصحابَةِ ذهبوا إلى بيوتِ النَّبِيِّ يسألونَ أزواجَهُ عن عبادتِهِ فلمَّا أُخبِرُوا بها كأنَّهُم تقالُّوها أي : اعتبروها قليلةً ثُمَّ قالوا : أينَ نحنُ مِن رسولِ اللَّهِ و قد غَفرَ اللَّهُ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ و ما تأخَّرَ ؟ فقال أحدُهُم : أما أنا فأصومُ الدَّهرَ فلا أفطرُ و قال الثَّاني : و أنا أقومُ اللَّيلِ فلا أنامُ و قال الثَّالثُ : و أنا أعتَزِلُ النِّساءَ فلمَّا بلغ ذلك النَّبِيَّ بيَّنَ لهم خطأَهم و عِوَجَ طريقِهِم و قال لهم : إنَّما أنا أعلمُكُم باللَّهِ و أخشاكم له و لكنِّي أقومُ و أنامُ وأصومُ و أفطِرُ

و أتزوَّجُ النِّساءَ فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي))[2]

فسُمي في التوراة بـ "محمد"، لأن اليهود كانوا أهل علم، فناسب ذلك وصفه الكامل بالصفات العُليا،

---

1 – أقول ولا حول ولا قوة إلا بالله أن النفس اصبحت طاغية علي حق نفسها لذلك جعلت القلب لا يخشع في الصلاة ولا لقراءة القرآن الكريم ولا يخضع تحت رجاء الله والخوف منه والدعاء له ، لابد وأن نرجع عما نحن فيه.

1 - أخرجه مسلم (1401)، والنسائي (3217)، وأحمد (13534) أخرجه البخاري(5063) صحيح

وسُمي في الإنجيل بـ "أحمد"، لأن النصارى كانوا أهل عبادة وزهد، فناسب ذلك وصفه بكمال العمل المحمود.

وقد جاء عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكان من علماء اليهود، فلما نظر إلى وجه رسول الله ﷺ قال : "فلما نظرتُ إلى وجهه، علمتُ أنه ليس بوجه كذّاب."

وقد استدل العلماء بذلك على أن ملامح النبي ﷺ كانت تدلّ على صدقه، وأن ظاهره يُشير إلى باطنه، وهيئته تَشهد لحقيقته ﷺ.

كما قال الله تعالى:﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[محمد: **30**]

وقد بلغ النبي ﷺ الغاية في كل أبواب المحامد، فاستحق أن يُحمد في الأرض والسماء، ولذا أُطلق عليه "محمد" و"أحمد".

فينبغي علينا أن لا ننسى هذه الأسماء، بل نتأمّل فيها، ونفهم معانيها، لأن دراسة أسماء النبي ﷺ وأوصافه تدلّ على محبتنا له، وولائنا له، وارتباطنا به.

وقد كان العلماء يؤلفون في هذا الباب أراجيز تُحفظ، وكان الطلاب يتعلمون نسبه الشريف وأسماءه وصفاته، وكأنهم يحفظون أعظم العلوم.

حتى أن علم النسب، كان علمًا مستقلًا يُدرّس، ويُفنى فيه الأعمار، لأنهم كانوا يرون أن العلم بالنبي ﷺ هو من أبواب تعظيمه، والتقرب إلى الله بحبه.

أيها الإخوة الكرام، قد ذكرنا سابقًا اسمي النبي ﷺ العظيمين: محمد وأحمد عليه الصلاة والسلام، ومن أسمائه كذلك المتوكل، كما يذكر الإمام ابن القيم رحمه الله.

و كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾

إن العبودية هي أعظم المراتب، وأفضلُ المنازل التي يمكن أن ينالها الإنسان، فالعبد هو المستسلم المطيع، كما نقول: الطريق المعبد، يعني الممهّد الخالي من العقبات.

فالعبودية تعني الاستسلام التام لله، والعمل بأمره، والقول له: "حاضر يا رب."

وقد سُمي النبي ﷺ بـ"المتوكل"؛ ليس بمعنى الغلظة أو الشدة أو الصخب، بل بمعنى من توكل على الله في إقامة الدين، ولم يشركه في توكله أحد .

فالتوكل هو اعتماد القلب على الله، مع العمل في الأرض، كما قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: **122**]

وقد وصف ابن القيم رحمه الله علامة التوكل بأنها عدم الاستوحاش؛ أي ألا تشعر بالوحدة أو الخوف وأنت متوكل على الله، حتى وإن كنت بمفردك .

وقد ذكر النبي ﷺ أمثلةً كثيرة على التفرد في القيام بالأمر، وكيف أن المخالفة تضعف القوة، وتضعف المناعة .

فلقد كان النبي ﷺ يقوم لوحده في الأمور المهمة، فلا ينتظر أن يتبعه الجميع .

ومن ذلك، أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن حذافة السهمي برسالة من المدينة إلى أقصى بلاد العراق، مشيًا على الجمل وحده، بدون مراف.

وهذا يدل على عظمة التوكل الحقيقي، وهو ما جعل النبي ﷺ أعظم الناس توكلاً على الله عز وجل.

لقد عانى النبي ﷺ في بداية دعوته من المعاناة الشديدة، والأذى، فقد بقي ثلاث سنوات في أذي، يأكل من التراب وأوراق الشجر، ثم خرج ليجد أن زوجته خديجة رضي الله عنها قد توفيت، وكذلك عمه أبو طالب .

وفي نفس العام، ذهب إلى الطائف يدعو الناس إلى الله، وواجه أذى الناس وتحمل أذاهم بصبر وعزم.

لذلك، كان النبي ﷺ أحق الناس بلقب المتوكل، لأنه توكل على الله توكلاً خالصًا في إقامة الدين، ولم يشرك فيه أحدًا.

وعن هذه العظمة يقول ابن الجوزي رحمه الله فصلًا في ذكر صفات النبي ﷺ.

ومن أسماء النبي ﷺ كذلك: الماحي، والحاشر، والمقفي، والعاقب.

وقد فسّر ابن القيم هذه الأسماء في قوله عن حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه،

حيث قال النبي ﷺ :

" إنَّ لي أسماءً : أنا محمدٌ ، وأنا أحمدُ ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي ، وأنا العاقبُ ، والعاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ. "[1]

قال ابن القيم رحمه الله:

الماحي هو الذي يمحو الله به الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بمحمد ﷺ.

---

1 - أخرجه البخاري (4896)، ومسلم (2354) " صحيح "

فالنبي ﷺ هو الذي قضى على الكفر وبدد الظلام، وأنار الطريق للهداية.
فهو سبب زوال الجهل، وظهور الحق، ونور الهداية للعالمين.
الحاشر : أولُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة، والناسُ يُحشرون خلفه أو على أثره .
والنبي ﷺ قدوة لكل مسلم في القول والفعل .
العاقب هو الذي يختم الله به الأمور، ويختتم به النبوة، فهو خاتم النبيين، ولا نبي بعده.
قال الله تعالى:
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: **40**]
الخلاصة والعظمة في أسماء النبي ﷺ
هذه الأسماء ليست مجرد ألقاب، بل تعبير عن عظمة النبي ﷺ ومكانته الرفيعة عند الله عز وجل، ومكانته في قلوب المسلمين .
فهو محمد المحمود في الأرض والسماء، أحمد الذي بلغ الكمال في العبادة والتقوى، المتوكل الذي توكل على الله توكلاً كاملًا لا يشوبه رياء، الماحي الذي محا الله به الكفر، الحاشر الذي يحشر الناس على يديه يوم القيامة، والعاقب الذي ختم به النبوة، فلا نبي بعده.
أيها الإخوة، بعد أن تعرّفنا على أسماء النبي ﷺ وعظمته، يجب أن نعي حقيقة عظيمة وهي: أن التفرد في الحقّ لا يضعف القوّة، بل قد يكون دليلاً على عظم المنصب، وثبات النفس، وصلابة الإيمان.
لقد رأينا النبي ﷺ يواجه الوحدة في دعوته، ويقف صامدًا رغم معارضة الكلّ، ولم يستوحش وحدته، بل كان أعظم الناس توكلاً على الله، وأقواهم صبرًا.
ومن دروس طلب العلم أن تتعوّد أن تسير وحدك، فلا تنتظر أن يرافقك الجميع، فإن تأخروا عن الدروس أو الاجتماعات، فلا يمنعك ذلك من المضي قدمًا.
كان النبي ﷺ يوصي أصحابه ألا يسألوا الناس شيئًا، فالمسلم الحقّ يعتمد على نفسه، ويتحرّى الرزق والعمل، ولا ينتظر الإذن من الآخرين.
وقد يتحير الإنسان أحيانًا في وحدته، ويشعر بالوحشة، لكن هذا شعور طبيعي، وليس ضعفًا في الإيمان، بل علامة على انس الإنسان بخلقه، وليس انسه بالله.
فالأنس بالله يكون بالاعتماد عليه والطمأنينة بفضله، حتى في وحدتك.
قال ابن القيم رحمه الله:

"علامة الانس بالله عز وجل عند التفرد ألا تستوحش نفسك وحدك."

تخيل معي كيف كان النبي ﷺ يبعث رسولًا واحدًا إلى أقصى الأرض، مشيًا على الجمل، يقطع مسافات شاسعة، بمفرده، يثق بالله وحده.

وكيف كان أعظم الناس توكلاً على الله عز وجل، يتجرّع ألوان البلاء، ويصبر على الشدائد، لا يتخلّى عن مهمته أبدًا.

لقد فقد ﷺ في سنوات الدعوة الأولى أعز الناس إليه، ففقد زوجته خديجة رضي الله عنها، عمه أبو طالب ، لكنه لم ييأس، ولم يتخلّ عن دعوته، بل صبر، وأقبل على الله، وتوكّل عليه توكلًا خالصًا.

وهذا هو سرّ عظمة النبي ﷺ، أنه توكّل على الله توكّلًا لم يشرك فيه غيره، وهذا هو التوكل الحقيقي الذي ينبغي أن نقتدي به.

فلنتعلّم من سيرته، ولنأخذ من ثباته وحكمته وقوة توكله مثالاً يُحتذى به في حياتنا.

لا تقف ساكتًا هكذا، كأنني أتكلم عن شخص جالس معنا، بل نحن الآن ندخل في قلبك عظمته عليه الصلاة والسلام، فهو عظيم جدًا، فإذا ذُكر لا بد أن توقِف ذهنك تمامًا وتقول:

صلى الله عليه وسلم.

قلنا إن أبو أيوب السختياني [1] ، حينما يجلس يقول: "قال رسول الله"، يبكي حتى يرحمه الحاضرون، ويقول: "يا ليتني ما سمعت هذا الحديث" من كثرته تعظيمًا له وشوقًا إليه صلى الله عليه وسلم.

هذه الأمة لا تنفع إلا بهذا؛ فلا يظن أحد أن يكون نافعًا وقلبه خالٍ من هذه المعاني.

كان النبي صلى الله عليه وسلم، عندما يخرج إلى الغار، يصلي وحده أو مع بعض هؤلاء القلة.

فمحى الله سبحانه وتعالى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، صلى الله عليه وسلم.

فهل لا يزال على رقبة البشرية منا؟ نعم، لم يزل في رقبة البشرية أن يحافظوا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الذي أظهر هذا الدين، ومحو الله به الكفر.

ومهما اتبعت الأمة سنته، سيمحو الله بها كل ظلام.

وهذه القواعد هي أصول راسخة لا نقاش فيها.

---

1 - أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني العنزي البصري وقال الذهبي: مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين قال الذهبي: إليه المنتهى في الإتقان ؛ وقال النسائي: ثقة ثبث .

شاهدوا يا إخوتي، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، الذي كان كفرت العرب كلها من حوله أيام الردة، فكل العرب ارتدوا إلا مكة والمدينة وجزيرة البحرين، وهم القلة التي تمسكت بالشريعة.

وكانت الردة مختلفة: منهم من قال لا يدفع الزكاة بعد وفاة النبي، ومنهم من رفض الاعتراف بالنبوة، فكانت مشكلة كبيرة.

فخرج أبو بكر رضي الله عنه وأرسل بعثة أسامة، قائداً لجيش يذهب إلى الروم.

اجتمع الصحابة وقالوا: يا أبا بكر، ليس لدينا عدد كافٍ، والمنافقون يرتبون المكائد، والفرس يدفعون الأموال للمرتدين.

فغضب أبو بكر وقال: "لقد أرسل رسول الله بعثة أسامة قبل أن يموت"، ولن أعصيه حيًا ولا ميتًا، ولا أحل عقدها التي عقدها رسول الله ﷺ.

فأرسل بعثة أسامة، وبدت الرهبة في قلوب المنافقين والمرتدين، فرجع كل منهم إلى مكانه.

فببركة إصرار أبو بكر وتمسكه بشرع الله، كفانا الله قتالهم .

وإليك رفيقي القارئ حوار سيدنا أبو بكر مع سيدنا عمر تعلم أدب الحوار والحكم الصحبيح :

قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقدْ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَها فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ إلَّا بحَقِّهِ، وحِسَابُهُ علَى اللَّهِ فَقالَ: واللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهَا قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: فَوَاللَّهِ ما هو إلَّا أنْ قدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ .

وهكذا يجب أن نتمسك بسنة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله سيمحو الكفر بمن تمسك بسنة نبيه.

وقد قالوا: "هذا السلاح الذي نصر به الأمة ما كانت متبعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم."

انظر إلى نور الدين زنكي، الذي كان يخشاه العلماء، وصلاح الدين الأيوبي، الذي لم يحج خوفًا من هجوم الصليبيين عليه.

وحتى خالد بن الوليد رضي الله عنه، كان الرومان والفرس يخشونه، ويضعون خططًا لمواجهته، لكنه كان يقاتل بشجاعة وإيمان.

وأما نبي التوبة فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض، فكان من قبل الأمم من الصعب عليهم التوبة، أما هذه الأمة فقد جعل الله توبتها سهلة ميسورة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قالَ: "" إن كنَّا لنعدُّ لرسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ في المجلِسِ الواحدِ مائةَ مرَّةٍ: ربِّ اغفر لي، وتُب عليَّ، إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ "" [1]

وكانت توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولًا وأسهل تناولًا، بينما كانت توبة الأمم السابقة أشد وأصعب.

قال ابن القيم رحمه الله: لم تحصل مثل هذه التوبة لأهل الأرض قبله، بل كانت التوبة عند الأمم السابقة أشد وأصعب، فمثلاً توبة بني إسرائيل كانت من أعظم الصعوبات، فقد قتل بعضهم أنفسهم بعد عبادة العجل.

وقد روى عبدالله بن مسعود : الندمُ توبةٌ فقال له أبي أنت سمعتَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ يقولُ الندمُ توبةٌ قال نعم [2].

وأما بني إسرائيل، فكان الرجل منهم يقوم إلى ابن عمه فيقتله، ثم يتوب، وهي توبة شديدة عظمية مليئة بالدماء كما في قول ابن كثير رحمه الله .

وقال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح: 7-8].

فالتوبة عند النبي صلى الله عليه وسلم كانت سهلة ميسورة، فمن قال "تبت" فعليه أن يعزم ألا يعود، وهذه التوبة ليست كالتي كانت عند الأنبياء السابقين، كانت أشد وأعظم.

وأما نبي الملحمة فهو الذي بعث بالجهاد في سبيل الله، فلم يجاهد نبي وأمته مثلما جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يحفظون القرآن كله، لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والغزوات والسفر، ولم يكونوا يجلسون في بيوت هادئة للحفظ، بل كانوا يعملون وينشرون الدين ويدافعون عنه.

فإنك إذا تأملت جهاد النبي صلى الله عليه وسلم، وجهاد أصحابه، وجدت أن لا أحد في التاريخ قاتل وجاهد مثله، فكانت الغزوات متتابعة والجهود مستمرة.

---

1 - أخرجه أبو داود (1516) واللفظ له، والترمذي (3434)، وابن ماجه(3814) " صحيح "

2 - أخرجه ابن ماجه (4252) واللفظ له، وأحمد(3568) صحيح

وتاريخنا يزخر بأبطال عظام، منهم من قاتل في معارك عظيمة .
فهذا التاريخ العظيم الذي ورثناه من أجدادنا يجب أن نحفظه ونتعلم منه.
وأما نبي الرحمة فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، قال تعالى:
{مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: **107**].
وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس رحمة بالناس كافة، مؤمنهم وكافرهم .
فالمؤمنون ينالون نصيبهم الأكبر من رحمته، وأهل الكتاب منهم عاشوا تحت عهده وظله، أما الذين قاتلوه فنالوا عجل العذاب في الآخرة.
وقال بعض العلماء :
" مَن أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث : تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسي ذكر الموت ابتلي بثلاث : تسويف التوبة ، وترك الرضا ، والتكاسل بالعبادة " .
أما "الفاتح" من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعدما كان مغلقًا، وفتح به العيون العمياء، والآذان الصماء، والقلوب الغلف، وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والآذان والأبصار والأمصار، عليه الصلاة والسلام .
هذا ليس كلام عادي، بل كلام ابن القيم رحمه الله الذي غاص في هذه المعاني الداخلية:
"فتح الله عز وجل به العيون"... تعرف مستواك الآن، أيها الإخوة .
والله سبحانه وتعالى جعل لنا توبة سهلة ميسورة، متقبلة، خاصة لمن تابوا حديثًا ودخلوا في بداية الطريق، و تعود للفطرة السليمة، كما كنت عند ولادتك، لأن المعاصي تطفئ الفطرة.
قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: **4**]، فالفطرة هي الأصل الذي خلقنا الله عليه، ولكن الشيطان يطردنا عنها ويبعدنا، والمعصية تُبعدنا عن الفطرة السليمة، فلما ترجع إلى الله، تتألق الفطرة، وتدرك ما كنت عليه من الضلال .
وهذا سبب الندم الذي يحدث، كما حدث في غزوة اليرموك

وساحكي لك وأقول وبالله التوفيق شئ يجعلك في قلب الحدث وأكثر :

في يوم من أيام المواجهة العظمى مع الروم، حين احتشدت الجموع وتكاثرت السيوف والرماح، خرج عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وقد امتلأ صدره عزماً وإيماناً. كان بالأمس من ألدّ أعداء الإسلام، فإذا به اليوم يقف في صفوف المؤمنين، يريد أن يمحو بدمه ما كان من ماضٍ أثقله بالذنوب.

رفع بصره إلى السماء، ثم جذب سيفه من غمده، وكسر الغمد إشارةً أنه لا عودة بعد اليوم إلا إلى الله. اندفع يخترق صفوف الروم اندفاع السيل الجارف، وصوته يجلجل:

"اللهم إنك تعلم أني ما خرجت اليوم إلا لأكفّر عن ما صنعت بيداي بالأمس، اللهم فاقبل توبتي وشهادتي" .

رآه خالد بن الوليد رضي الله عنه، فهاله المشهد، وناداه محاولاً أن يثنيه: "رويدك يا عكرمة! لا تفجعنا بنفسك." لكن عكرمة التفت إليه بعينين تلتهبان يقيناً وقال:

"دعني يا خالد، لقد طالما قاتلت هذا الدين، أفلا أقاتل اليوم دونه حتى أموت؟"

ثم تقدّم ومعه كتيبة من أربعمائة فارس من المسلمين، كأنهم أسود عاثرة لا يهابون الموت، بل يطلبونه طلب العاشق للقاء حبيبه. اقتحموا صفوف الروم اقتحاماً مزلزلاً، فدوّت الأرض تحت وقع سيوفهم، وارتجّت قلوب العدو من بأسهم.

قاتلوا قتال الأبطال حتى سالت دماؤهم زكية على تراب المعركة، فكانوا جميعاً شهداء عند ربهم، وتركوا خلفهم صدىً عظيماً من البطولة والفداء. لقد أحدثوا في صفوف الروم صدمة أربكتهم، وفكّوا الحصار عن المسلمين، وفتحوا باب النصر بدمائهم الطاهرة.

وهكذا كتب عكرمة بن أبي جهل صفحة خالدة في تاريخ الإسلام؛ صفحةً بدأت بالعداوة، وانتهت بالشهادة، وبين السطرين آية ناصعة أن الهداية إذا دخلت القلب غيّرت مساره، وجعلت من أعدى الأعداء واحداً من أعظم الأبطال .

وحشي بن حرب، الذي قال بهذا الرمح " قتلت به خيراً الناس يقصد سيدنا حمزة بن عبد المطلب ؛ وقتلت بها شراً الناس ويقصد مسيلمة بن حبيب الكذاب "، وهذه هي الحسنة التي تمحو السيئة، قال تعالى: {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: **11**].

ففتح الله قلوب هؤلاء بالتوبة، فتبدلت قلوبهم .

وعندما تفتح عينيك بالهدى بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تصبح أنت شخصًا آخر، تخجل مما كنت عليه من ضلال، وتزداد قربًا لله، فتكثر من الأذكار، أكثر مما كان يفعل غيرك.

قال البيهقي في "الدلائل": كان الصحابة يجلسون مع النبي صلى الله عليه وسلم يذكرون الجاهلية فيضحكون، ويبتسم النبي، لأنهم يرون الفرق بين ما كانوا عليه وما أصبحوا عليه .

وأما فتح الأمصار، فقد وصلت بلاد المسلمين إلى حدود فرنسا،

ووقعت معركة بلاط الشهداء عند نهر اللوار.

وهذه الفتوحات والعلوم والمعارف التي انتشرت، يجب أن نتعلمها ونعتز بها.

أما "الأمين" عليه الصلاة والسلام، فهو أحق العالمين بهذا الاسم، لأنه أمين الله على وحيه ودينه، وأمين السماء وأمين الأرض.

وكانوا يسمونه قبل النبوة "الأمين"، وها هم يعارضونه ويقاتلونه، رغم أمانته التي شهد بها حتى أبوجهل.

وكانت صفاته الوسطية عليه الصلاة والسلام: لا كان عابسًا، ولا مقطبًا، ولا غضوبًا دائمًا، بل كان يغضب أحيانًا للحق، ولكنه لم يكن فظًا أو قاسيًا.

وأما "البشير"، فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب، وهو يواسي الناس ويخبرهم بالخير، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً".

وأما "النذير"، فهو الذي ينذر بالعقاب لمن عصي الله تعالى .

قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا} [الإسراء: **1**].

فلا بد أن نعرف أن أعظم وصف يمكن أن يُعطى هو أن تكون عبدًا لله، فلا يقول أحد: "أنا حر"، فلو طلبت الحرية من الله، استعبدك الخلق، وإذا طلبت العبودية لله، صرت حرًا على الجميع.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر"، وسماه الله سراجًا منيرًا.

وقد سماه الله "سراجًا وهاجًا"، فكان نور النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من نور الشمس.

وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه

إنه لفيض من نورٍ أشرق في ظلمات الأرض، وشمعة أضاءت دروب البشرية، هو محمدٌ عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تزينت أخلاقه بجواهر الكمال، وترصعت فضائله بأبهى الحلل.

كان خلقه القرآن يُتلى بحرفيته، وطباعه زهرة في بستان الإنسانية، جمع بين رحابة الصدر ورفق المعاملة، وبين قوة الحزم ورقة القلب ؛ كانت دماثته سر السكينة في النفوس، ونقاء قلبه ينبوع للرحمة لا ينضب، يصغي للضعيف ويعطف على الصغير، ويغفر ويصفح عن من ظلم .

لقد كان صلى الله عليه وسلم مثالًا في العدل، عنوانًا للنبل، وجسدًا حيًا للتسامح، حتى مع أعدائه، يفيض بكرم أخلاقه كغيثٍ نافع، يغسل قلوبًا ظمأى للحق والخير. ولم يكن فيضه الرحماني محصورًا في زمنه، بل امتد عبر القرون، ينبوعًا لا ينضب لكل من استقى من نبع سنته الطاهرة.

قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: **4**)

وهذا وعدٌ إلهي لكل من نظر في كماله الأخلاقي، فكان صلى الله عليه وسلم بحق، أسوة لكل من أراد أن يرتقي بنفسه وينير دربه بنور الإيمان.

هذا سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، أُرسل إلى الخلق وحده، والكفر قد ملأ الآفاق، فجعل يفر من مكان إلى مكان، واستتر في دار الخيزران، وهم يضربونه إذا خرج، ويدمون عقبه، ويشقون السُّلَى على ظهره، وهو ساكت ساكن .

يذهب إلى الطائف، وهناك يخرج إليه عيال صغار ينهالون عليه بالضرب، أعظم خلق الله يمشي على وجه الأرض، عليه الصلاة والسلام، لم يعرف الأرض أعظم منه يرمونه بالطوب، تخيل أن يتسلط عليك طفل صغير، ويرميك بالطوب، ويشتمك، وهو يضربك بالطوب، وهو ساكت ساكن، لا يضطرب .

كما تعلم من خلقتي، سترى أن أعضائه لا تضطرب مع مشاعره، عليه الصلاة والسلام، سترى أعضاءه ثابتة، ومشاعره ثابتة ساكنة، وهو ساكن ساكن.

تخيل هذا المشهد: أبو جهل والناس من حوله، الحاشية جالسين، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ركعة ثم يسجد، فقالوا: أيكم يذهب إلى دار فلان؟ فقد ذبحوا جزورًا، يأتون بسلاء.

تعرف ما هو السلاء؟ هو المشيمة، لما تدخل إلى الطبيبة في ولادة، تقوم وتقول لها: انظري، هذا ما وجدته في الزبالة، منظر مقزز جدًا ، هذه هي المشيمة التي كان يتغذى عليها الولد .

فما بالك بما عملوه للنبي؟ جلبوها، وشقوها نصفين، ووضعوا ما بداخلها على رأس النبي، وهو ساكت عليه الصلاة والسلام، ساكت ساكن.

ويخرج كل عام، يقول: من يؤويني؟ من ينصرني؟ لا يأكل، يقول: من يؤويني؟

ويخرج السنة الثانية، والثالثة، والرابعة، وما توقف عليه الصلاة والسلام .

ثم خرج من مكة، فلم يقدر على العود إلا في جوار كافر، وكان هذا الكافر مطعم بن عدي، الذي قال عنه النبي : لو كان حيًا فستوهبني هؤلاء الأسرى لوهبتهم له وشفعته فيهم .

هذا من باب رد الجميل، لا مدح الكافر.

يقول: لم يوجد من طبعه تنف ولا من باطنه اعتراض، جوّاه السلام الداخلي ، السلام الداخلي هو ما ننشده اليوم .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمل كل هذه المصائب بصبر جميل، ورضا عميق لا يبارحه، لا يجزع ولا يثور، بل يثبت كالجبال في وجه العواصف .

رغم كل ما حل به من جراح جسدية ونفسية، من ضرب، وسفك دم، وتشريد، وبُعد عن أهله وأصحابه، لم يُظهِر إلا مكرمة أخلاقه، وجمال روحه، وصفاء نفسه، وسكينة قلبه .

وهو الذي قال عنه ربه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

فعلاً، كان أخلاقه أعظم ما في شخصه، وكانت شمائله نورًا يهتدي به كل متبع .

لا تغضب إلا لله، ولا تسعى إلا للخير، لا يجزع أمام الشدائد، ولا يذل لغير الله .

كانت سجاياه تتجلى في الرحمة، واللين، والتواضع، والعدل، والصبر، والحلم، والكرم، والصدق، والأمانة.

وكان يحب للناس الخير، ويرغب في هدايتهم، ويحثهم على البر والتقوى، ويشفق عليهم كأنهم أبناؤه.

صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكًا متكبرا، ولا حاكمًا جائرًا، بل كان رسول الله، عبد الله ، الودود، الحنون، الحكيم، الصادق، الأمين.

وكان همه الأول والأخير رضا الله عز وجل، وبناء مجتمع يقوم على العدل والإحسان.

في كلماته وسيرته تجد البلاغة التي تفيض من روحه، والقوة التي تستمد من إيمانه، والعظمة التي تظل شامخة رغم كل الصعاب .

لهذا قال العلماء قديماً وحديثاً: إن سر نبوته لا يكمن فقط في المعجزات، وإنما في أخلاقه الرفيعة التي هدى الله بها البشرية .

فالذي يريد أن يعرف حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يكفيه وصف شكلي أو سرد حكايات، بل عليه أن يتأمل في سيرته العطرة، وفي أخلاقه الرفيعة، وفي ثباته أمام العواصف، وفي حبه الخالص لربه ولعباده .

فكل ذلك كان نورًا منيراً، هادياً، دون أن يحرق أو يؤذي، بل يضيء القلوب والعقول، ويبني الحضارات والقلوب المؤمنة .

صلى الله عليه وسلم، سيد الخلق، ونور القلوب، وجميل الأخلاق، ومثل الرحمة المهداة إلى العالمين .

والسيدة عائشة رضي الله عنها، فينغص عيشها بقذفها. ويُقال عليها أقاويل كثيرة من المنافقين ، ويبالغون في إظهار المعجزات ، فيقوم في وجهه مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وابن صياد، مع أنه أظهر لهم المعجزات، وقام مقام الأمانة والصدق، ومع ذلك يُقال عنه كذاب وساحر .

ثم يعلقه المرض، فيعييه وهو ساكن ساكت فإذا أخبر بحاله، عرف معنى الصبر .

ثم يُشدد عليه في الموت، فتُسلب روحه الشريف .

فلا أحد وصل إلى مثل هذا الصبر، ولو ابتُليت به الملائكة لما صبروا ، هذا آدم عليه السلام، أُبيح له الجنة كلها إلا شجرة واحدة، فلم يصبر عنها، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقول في المباح الذي لم يحرمه الله: "مالي وللدنيا."

ونوح عليه السلام يضج من شدة ما لاقى فيصيح: "لا تزر على الأرض من الكافرين دِيارًا،ارهقوني يا رب أمت الكفار جميعًا يا رب" ونبينا صلِ الله عليه وسلم يقول: "اللهم اهدي قومي، فإنهم لا يعلمون."

وهذا الكليم موسى عليه السلام يستغيث عند عبيد قومه العجل على القدر قائلاً: "إنها إلا فتنتك."

وعيسى عليه السلام يقول: "إن صرفت الموت عن أحد، فصرفه عني."

ونبينا صلِ الله عليه وسلم يخير بين البقاء والممات فيختار الرفيق الأعلى .

وسليمان عليه السلام يقول: "هب لي ملكًا." ونبينا صلِ الله عليه وسلم يقول :

"اللهم اجعل رزق آل محمد قوة."

هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد، فماتت أغراضه وسكنت اعتراضاته، وصار هواه فيما يجري، كما قضى الله تعالى .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وصلِ الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ،

والحمد لله رب العالمين .

(4)

باب

رحلة في معرفة أمهات المؤمنين

وكيف أن نجعل رسولنا ﷺ خير قدوة لنا

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم.

اللهم صلِّ على محمد، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته، كما صلّيت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

وبارك على محمد، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد،

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فما زلنا – أيها الإخوة – نطوف في بستان وحديقة رسول الله ﷺ.

وفي كل مرة أتفقد نفسي وإخواني، وأسأل: هل شعرتم بقربكم من رسول الله ﷺ؟

فهذا هو الغرض من السيرة النبوية – أيها الإخوة – أن تعيننا على محبة النبي ﷺ والاقتداء به.

فقد صح الحديث أن النبي ﷺ قال:

« شَيَّبَتني هودٌ، والواقعةُ، والمرسلاتُ، وعمَّ يتَساءَلُونَ، وإذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ »[1]

وفي بعض الروايات: أن الآية التي شيبته هي قول الله تعالى:

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود: **112**].

قال بعض السلف: ما نزل على النبي ﷺ في القرآن شيء أشد عليه من هذه الآية.

نحن نحاول – أيها الإخوة – أن نُقيم أنفسنا على الاستقامة، لا على الهوى.

وقد قيل: إن النبي ﷺ ما قال إن الذي شيّبه من سورة هود هو قصص الأقوام الهالكين، بل قال:

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} [هود: **112**].

وهذه الآية نظير قوله تعالى:

{وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: **102**].

كيف يُمكن أن تحقق هذه الاستقامة في زمان تضطرب فيه الفتن وتتكالب الشهوات؟

إنك بحاجة لأن تُخاصم نفسك، وتفارق هواك.

---

[1] - أخرجه الترمذي (3297) واللفظ له، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (1180)، والحاكم (3314) صحيح

وقد سمعت أثرًا عجيبًا رواه الشيخ يعقوب – حفظه الله – في أحد الدروس، أن رجلًا من السلف جاءه مريدٌ يريد طلب العلم، فقال له: "يا بني، إن هذا الطريق لا يُقطع بالمسافات، ولكن فارق نفسك خطوة، ثم ائتني."

والله، تذكرت ذلك وأنا أسمع الشيخ يقول:

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}.

نعم، مناط الاستقامة هو مفارقة النفس.

أن تبتعد عن هواها.

أن تنتصر على ضعفها.

ومن معاني الاستقامة – أيها الإخوة – أنك تُقيم الصلاة، وتُحسن العمل.

قال الله تعالى:

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ} [هود: **114**].

تأمل قوله:

{أَقِمِ الصَّلَاةَ}

لم يقل: "صلِّ"، بل قال: "أقِم".

والعرب تقول: "أقام الشيء" أي: أعطاه حقه ومستحقه.

فالإقامة تعني أن تؤدي الصلاة كما ينبغي، بخشوعها، وتمامها، وأركانها، لا مجرد حركات.

موضوع الاستقامة – أيها الأحبة – ينبغي أن يُعتنى به أشد العناية.

فكثير من الناس اليوم يروغون عن الطريق.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، استقاموا على الأمر والنهي، ولم يروغوا روغان الثعالب".

والثعلب يُضرب به المثل في المراوغة والخداع.

فأنت مطالب بأن تكون ثابتًا مستقيمًا، لا تميل مع الأهواء، ولا تتلون، بل تسير إلى الله بثبات.

وقد قال النبي ﷺ:« تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سَوداءُ ، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى يصِيرَ القلبُ أبيضَ مثلَ الصَّفا ، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخَرُ أسودَ مُربَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يَعرِفُ مَعروفًا ، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه »[1]

فالذنوب تُضعف الاستقامة، وتُعطّل المسير، وتجعل الإنسان يترنّح، لا يثبت.

أما الذي قلَّت ذنوبه، أو تاب منها، فإنه يسير إلى الله بثبات، واستقامة، وثقة.

نسأل الله أن يقيَنا وإياكم السيئات، ويجعلنا من أهل الاستقامة.

وختامًا، أقول لكم: "أقم الصلاة"، وليس مجرد "صلِّ".

فإقامة الصلاة باب الاستقامة، ومنطلق الصلاح، وسبيل النجاة.

صَلِّ صلاةً تامة... تُوصلك إلى النجوم!

لهذا – أيها الإخوة – يحزنني كثيرًا عندما نرى بعض المصلين إذا جاؤوا متأخرين، يُسرعون فقط ليدركوا الركعة، فيقفون حيثما اتفق، دون أن يعتدلوا في القبلة، أو يُحسنوا موقفهم. تجده واقفًا منحرفًا، لا يدري أين يضع وجهه، ولا كيف يسجد، أو يركع. فكيف يأتيه الخشوع؟!

ليست القضية أن تُؤدى الصلاة أداءً شكليًّا، وإنما القضية أن تُقيمها بحقها.

صلاةٌ واحدة فقط... نعم، ركعتان خالصتان، يُمكن أن ترفعك إلى السماء، بل إلى النجوم!

ما الدليل على أن ركعتين فقط قد تكون سببًا في الوصول إلى الجنَّة؟

اسمع القصة [2] :

في غزوة اليرموك، قالوا : وخرج جرجة أحد الأمراء الكبار من الصف ، واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجة : يا خالد ، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ، ولا تخادعني ، فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا . قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه

[1] - أخرجه مسلم (231) والبزار (2844) بنحوه مطولا، وأحمد (23280) صحيح
[2] - كذا ذكره ابن جرير بأسانيده

، فقال لي : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين . ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين . فقال جرجة : يا خالد ، إلام تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، عز وجل . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية وتمنعهم . قال : فإن لم يعطها ؟ قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجة : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم ، وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ، ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا . فقال جرجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ؟ قال : بالله لقد صدقتك ، وإن الله ولي ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد ، وقال : علمني الإسلام . فمال به خالد إلى فسطاطه ، فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى به ركعتين ، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية ، عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام ، فركب خالد وجرجة معه ، والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم ، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف ، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء ، وأصيب جرجة ، رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد ، رضي الله عنهما . (انتهى)[1]

كانت سببًا في أن يختم الله له بالشهادة، ويُكتب في ديوان أولياء الله.

لهذا – أيها الأحبة – أوصي نفسي وإياكم بالاهتمام بالصلاة.

الصلاة ليست عماد الدين فقط، بل هي بوابة الثبات، وسبب الاستقامة.

قال الله تعالى:

{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود: **120**].

[1] - البداية والنهاية {ص:546-548}

فإذا كان الله يُثبت قلب نبيه ﷺ بذكر أنباء الرسل، فكيف يكون حالنا إذا تدارسنا سيرة رسولنا ﷺ؟
إنها طوق النجاة، وباب الثبات، وزاد الطريق.
وقبل أن نبدأ ، تذكَّر قوله تعالى:
{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: **123**].
الغفلة تعني النسيان.
لكن الله لا ينسى.
{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: **6**].
كل ما تفعلونه مكتوب، موثَّق، حاضر أمامك يوم القيامة.
أدنى درجات المحبة والاتباع
ذكر ابن القيم رحمه الله أن من أراد أن يتبع رسول الله ﷺ بحق، فعليه أن يعرف حاله في كل شيء:
كيف كان يلبس؟ ماذا كان يأكل؟ كيف كان سلاحه؟ كم عدد أزواجه؟ من كتَّاب الوحي؟
هذه الأمور ليست معلومات سطحية، بل هي مفاتيح للالتحام برسول الله ﷺ، لتشعر بالقرب منه، وتذوق الشوق إليه.
أحد الإخوة في الأسئلة الماضية، ذكر كتابًا مختصرًا وقال:
"كل نسب النبي في صفحة واحدة!"
وأقول له: "أنا لا أريد أن أجلس مع النبي في صفحة... بل أُريد عمرًا كاملًا معه".
نعم، نحن لا نعمل في جامعة مفتوحة، بلا منهج، ولا مقرر، ولكن بيننا غيابٌ وحضور، والتقصير ظاهر، والتفريط بيّن، فلا بد أن نشعر بثمرة هذا العلم.
لقد جفَّت قلوبنا، كما جفَّ العلم عندنا.
لكن كل درس عن رسول الله ﷺ فرصة أن تُجدد حبك، وولاءك، وارتباطك.
احلم برسول الله ﷺ!
نعم، اجعل كل لقاء، كل درس، بوابة لرؤيته، حتى نلقاه في الفردوس الأعلى بإذن الله.
وصلنا في اللقاء السابق إلى الحديث عن أولاد النبي ﷺ.
وأردت أن أنبه الأخ الذي سأل عن الاختصار:
كلام السلف أبرك من كلام الخلف.

سمعت شيخًا يقول:

"لو أنكم اختصرتم كلام السلف وعلَّقتم عليه، لكان أفضل من تأليف كتب كثيرة؛ فإن على كلامهم نورًا."

كتاب زاد المعاد لابن القيم، كُتب في سفر، على مركب، من رجل واحد.

ومع ذلك خرج في أربعة مجلدات عظيمة.

وكان بخط دقيق، فكيف لو كُتب بخط كبير؟

أي كم هائل من العلم والإلهام والتوفيق، بارك الله فيه لأنه كان صادقًا، وكان من أهل الولاية – نحسبه كذلك والله حسيبه.

نعم، نقرأ للمُعاصرين، وننتفع بعلمهم، لكن إن أردت أن تتذوق بركة المعرفة، فابدأ من حيث بدأ السلف.

من شمائل النبي ﷺ: صبره على أقرب الناس إليه...

في لحظة تأملٍ في سيرة النبي ﷺ، نقف عند أقرب الناس إليه نسبًا، فنتألم كيف أن كثيرًا منهم لم يكونوا معه على الإيمان ، فالنبي ﷺ له تسعة أعمام وهم [1] ، ولم يُسلم منهم إلا حمزة بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما.

أما الباقون، فمنهم من عُرف بعداوته الشديدة، كأبو لهب، واسمه عبد العزّى، الذي قال الله فيه: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: **1**].

ومنهم من وقف في الظل، لكنه لم يُسلِم، ومنهم أبو طالب، واسمه عبد مناف، الذي كان سندًا للنبي ﷺ في دعوته، لكنه مات على الكفر، فقال فيه النبي ﷺ:

« لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ، فيُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي منه أُمُّ دِمَاغِهِ» رواه البخاري(**6564**)، ومسلم (**210**).

وهكذا، سبعة من أعمامه في النار، واثنان فقط أسلموا!

أليس هذا ضغطًا نفسيًّا رهيبًا؟ لا يتحمّله إلا من آمن بالربوبية الكاملة، والقدر النافذ، والتسليم التام لله عز وجل.

---

[1] - **فذكر ابن هشام في سيرته أنهم تسعة:** العباس، وحمزة، وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير، والحارث، وحَجْلاً، والمقوّم، وضرار، وأبو لهب واسمه عبد العزى.

أما عماته ﷺ، فكنّ ستًّا:

صفية (أم الزبير بن العوام) – أسلمت.

عاتكة – قيل إنها أسلمت.

أروى – صحح بعض العلماء إسلامها.

برّة.

أميمة.

أم حكيم (البيضاء).

وأما أُسنّ أعمامه، فهو الحارث، وأصغرهم العباس رضي الله عنه.

وكان من أبناء عمومته من آذى النبي ﷺ أشد الأذى، ومنهم أبو سفيان بن الحارث، ابن عم النبي ﷺ، وتربه وصاحبه في صغره.

وقد كان الناس يظنون أنه أول من سيؤمن به، فإذا به يكون من أشد الناس عداوةً له!

لكن الله شرح صدره للإسلام، فأسلم بعد فتح مكة، وحَسُن إسلامه، وصار من المجاهدين في سبيل الله.

تأمل هذا الصبر النبوي!

كلّما واجهت مشقةً أو صعوبةً، فتذكَّر:

أن نبيك ﷺ احتمل من أجل أن يصلك هذا الدين.

إنه ﷺ لم يحتمل الألم فقط، بل الدماء، والحصار، والفقد، والتكذيب، والتخوين...

وكل ذلك ليصل إلينا هذا الدين صافياً.

"إياك أن تفرط في دينك، فهو دينٌ بُذل فيه دمٌ، لا درهم!"

زوجات النبي ﷺ: أمّهات المؤمنين

ونصل الآن إلى الحديث عن زوجاته ﷺ، وهنّ أمهاتنا، كما قال تعالى:

{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6].

وأولاهن شرفًا، وأعظمهن منزلة، وأرفعهن قدرًا: خديجة بنت خُوَيلد رضي الله عنها.

قال عنها ابن القيم في زاد المعاد:

"كانت أول من آمن به ﷺ، وواسته بنفسها ومالها، وأرسى الله دعائم نبوته بها."

تزوجها النبي ﷺ قبل البعثة، وكان عمرها أربعين سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وكل أولاده منها إلا إبراهيم، فهو من مارية القبطية رضي الله عنها.

وكانت خديجة امرأةً عظيمة القدر، ذات عقلٍ راجح، ونُبلٍ بالغ.

ولذلك خصّها الله بأوسمة لم تُعطَ لغيرها:

قال النبي ﷺ:

« أتاني جِبريلُ فقال : يا رسولَ اللهِ ! هذهِ خَديجةُ قد أَتَتْكَ معها إناءٌ فيهِ إدامٌ أو طعامٌ أو شَرابٌ ، فإذا هيَ قد أَتَتْكَ ، فاقرَأ عليَها السَّلامَ مِن ربِّها و مِنِّي ، و بشِّرْها ببَيتٍ في الجنَّةِ مِن قصَبٍ ، لا صَخبَ فيها و لا نَصبَ »[1]

فأيّ شرفٍ هذا!

الله يُسلِّم على خديجة!

وجبريل عليه السلام يُسلِّم عليها!

وهذا يحدث –كما في الحديث – وهي تخدم النبي ﷺ في البيت، تحمل له الطعام، تسعى لقضاء حاجته، تفديه بروحها ومالها.

ولم تُعطَ هذه الخصوصية لامرأةٍ أخرى.

السيدة خديجة رضي الله عنها ، فكان لها مقامٌ فريد، وحُبٌّ لا يُجارى.

فلما تُوفيت خديجة رضي الله عنها، تزوّج رسول الله ﷺ بعد موتها بأيام قلائل من سودة بنت زمعة القرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها. وهنا نلفت النظر إلى هذه المسألة، وهي: أن النبي ﷺ تزوّج بعد خديجة مباشرة، لا لفقد صبر أو استعجال، ولكن لأن النبي ﷺ كان يعيش مع امرأة صالحة تعينه وتواسيه وتُسكّنه، وقد فَقَد هذا المعين.

يقول العلماء في تراجم السيرة: لما توفيت خديجة خشي الصحابة على رسول الله ﷺ من شدة حزنه عليها ، إن النبي عليه الصلاة والسلام كان عملاقًا في خُلقه، قويًا في نفسه، راسخًا في توكله، ومع

[1] - أخرجه البخاري (3820)، ومسلم (2432) صحيح

ذلك... خديجة شيء آخر. حينما تقرأ سيرتها، وخاصة عند وفاتها، تشعر بوجع داخلي، وربما تجلس تلك الليلة كلها متألما ولا تدري لماذا.

فكيف كان حال من عاشرها؟ كيف صبر على فَقْدها؟ هذا لا يكون إلا بمدد من الله عز وجل، وثبات من التوحيد، ورسوخ في التسليم لأمر الله.

ووالله يا إخوة، حينما آتي لألقي هذا الدرس عن السيرة أشعر بسعادة عظيمة، كأنني أعيش بين "لا إله إلا الله" في درس التوحيد، و"محمد رسول الله" في السيرة. من يعيش بين الشهادتين، كأنه يعيش في جنة! نسأل الله أن يُمتّعنا بالتوحيد، وأن يُرزقنا حب النبي ﷺ.

رغم الحزن، خرج النبي ﷺ إلى الطائف يدعو إلى الله، فضُرب وأوذي، ثم رجع إلى مكة يدعو في أسواق الحجيج من جديد... هكذا هو سمت الرجال لا شيء يُوقفهم. لا الحزن ولا النصال لا يتوقف عند شيء، بل يواصل الطريق.

ذكر ابن القيم – رحمه الله – تشبيهًا عجيبًا: قال إن الغزالة (الظبي) أسرع من كلب الصيد، لكنها تكثر من الالتفات، فكلما التفتت تأخرَت، حتى يدركها الكلب فصاحب الهمّة لا يلتفت، بل يمضي مستقيمًا.

ولذلك، فإن رسول الله ﷺ لما حزن، زوّجه الله سُلوى، فالزواج يفرّج الأحزان .

الشاهد: أن رسول الله ﷺ لما ماتت خديجة، تزوج مباشرة، لأن من اعتاد وجود امرأة صالحة تُسكّنه لا يستطيع العيش من دونها. فالمؤمن إذا فارق امرأته الصالحة، فَقَدَ سكونه. قال تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} [الروم: **21**].

فمن هنا نتعلم درسًا: لا ينبغي للرجل أن يعيش بلا امرأة، خاصة إن كانت صالحة، تعينه على دينه ودنياه لكن عندنا اليوم من يعيب ذلك، فإذا تزوج رجل بعد وفاة امرأته، قالوا: "ما هذا؟! لَمَ تبرد بعد!" وهذا خلاف الهدي النبوي.

وفي هذا السياق، روى ابن المسيب أن أحد طلابه غاب، فلما سأله عن السبب، قال له: "توفيت زوجتي". فقال له ابن المسيب: "هلّا أعلمتنا حتى نُعزيك ونقف معك؟ وهل تزوّجت؟". قال: "ومن يرضى بي على درهم أو درهمين؟". قال: "أنا"، ثم زوّجه ابنته.

وهكذا فعل النبي ﷺ، فعَقَد على سودة وعائشة، ثم بَنى بسودة، وأرجأ عائشة حتى بلغت، وبنى بها بعد بدر، في السنة الثانية من الهجرة كانت عائشة هي الصدّيقة بنت الصدّيق، المبرّأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ.

ومن هنا، نعلم لمَ نُخاصم الرافضة (الشيعة)، ونشتدّ عليهم، فهم يطعنون في عرض أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ ، كيف نتصالح مع من يطعن في الطاهرة المبرأة؟! لا، والله هم قد فعلوا ما لا يفعله اليهود، فهم أفتك بأهل السنّة من كل عدو، وما فعل بنا بشّار الطاغية إلا مثالًا على ذلك نسأل الله أن يُهلكه ويجعل عليه العار والنار والشنار.

ولا يغرّنّكم من يقول: "إنه ملحدٌ"، فالناس لا تسجد له لأنه لا يؤمن بالله — بل لأنه نصيريّ، وهذه الطائفة الضالة لا تُظهر عقيدتها لأحد، فهي من العقائد الباطنية السرّيّة، ومن أصولهم أنهم لا يُفشونها حتى لأقرب الناس، ومن كشفها بغير إذنٍ قُتل.

النصيرية يعتقدون أن الإله يحلّ في إمامهم، حتى بلغ بهم الكفر والضلال أن يعبدوا بشارًا ويقولوا: "هو الله"!

وهذه عقيدة شركية خبيثة، ومن عظيم التوحيد أن تعلم –كما ذكر الشيخ عبد المعبود حسن رحمه الله– : لما تفاخر كل قومٍ بإلههم، قال هذا: أعبد المسيح، وقال ذاك: أعبد عزيرًا، وقال الآخر: أعبد الشمس، فكلٌ قدّم ما عنده فلما سأل المشركون رسول الله ﷺ: ﴿صِفْ لنا ربكَ﴾، نزل الوحي يصف رب العالمين بصفات الجلال والكمال، فاندهشوا لهول ما سمعوا، ولم يجدوا مدخلًا للطعن، فهابوها.

نعود إلى سيرة الحبيبة الطاهرة، عائشة بنت أبي بكر الصدّيقة بنت الصدّيق، حبيبة رسول الله ﷺ، عائشة التي نزل عذرها من فوق سبع سموات، واتفقت الأمة على كفر من رماها.

وقد عرضها جبريل على النبي ﷺ قبل أن يتزوجها، جاءه بثوبٍ من حرير، فكشفه له وقال: "هذه زوجتك في الجنة"، كما في الحديث المتفق عليه.

وقال الإمام الذهبي: "وهو أثر صحيح، وإن رغمت أنوف الروافض".

تزوجها رسول الله ﷺ في شوال، وكان عمرها ست سنين، وبنى بها في شوال أيضًا، في السنة الأولى من الهجرة، وعمرها تسع سنين وقد بيّن العلماء أن هذه السن –في تلك البلاد والأزمنة– كانت مؤهلة للزواج بدنيًا ونفسيًا، فلا يُقاس ذلك بزماننا بل إن الله جل وعلا أقرّ في كتابه نكاح من لم تحض إذا بلغت، فقال:

﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: 4]، أي لهنّ عدة، والعِدّة لا تكون إلا بعد عقدٍ شرعي.

وقد بنى بها رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأةٍ غيرها.

وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نسائه، بل أفقه نساء الأمة.

قال الأحنف بن قيس: "سمعت خطب الخلفاء والملوك، فما سمعت أفصح ولا أبلغ من كلام عائشة رضي الله عنها".

ولم تكن عالمة بالفقه فقط، بل كانت ذات باعٍ في الطب، كما قال لها عروة بن الزبير: "يا خالة، أعجب من علمك بالفقه والنسب، فلا عجب، ولكن من أين لك الطب؟"، فقالت له مبتسمة: "يا عُرَيّة، كان الناس يصفون لرسول الله ﷺ، فكنت أُعِدّ له الدواء"، أي أنها كانت تحفظ ما يوصف له.

ثم تزوّج رسول الله ﷺ من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقد ورد أن النبي ﷺ طلّقها، ثم راجعها بأمر من الله، حيث نزل جبريل عليه السلام وقال له: "راجع حفصة، فإنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في الجنة".

فلما بلغ عمر الخبر، قال: "لا يُبالي الله بعمر بعد اليوم"، فرحًا بعودة حفصة إلى بيت النبوة.

تأمّل في همّة عمر! لم يعتمد على عبادته أو نسبه، بل كان يبحث عن ما يرضي الله عز وجل من كل طريق، حتى تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، فلما سُئل: "لِمَ تزوّجتها؟"، قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلُّ نسَبٍ و صِهرٍ ينقطع يومَ القيامةِ إلا نسَبي و صِهْري)[1]

انظر إلى حسن الاتباع والاقتداء!

ويا لجمال ما قاله إخوة يوسف عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾، تمسكنوا ليكفّل الله لهم التوبة، وهذه رسالة لنا: تواضعوا، والتجئوا إلى الله، وتوسلوا إليه بأحوالكم.

ثم تزوّج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها، المعروفة بـ"أم المساكين"، وتوفيت رضي الله عنها بعد شهرين فقط من دخولها عليه ﷺ.

ثم تزوّج أم سلمة، هند بنت أبي أمية، المخزومية، وكانت من أعقل نسائه وأرجحهن رأيًا، وآخر من مات من أمهات المؤمنين، وقيل: إن آخر من مات منهن صفيّة.

---

[1] - أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (21/67) صححه الألباني

ثم تزوّج زينب بنت جحش، بنت عمته أميمة، والتي أنزل الله فيها قوله تعالى:
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: **37**]
وكانت تفتخر على بقية نساء النبي ﷺ فتقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات!"
وتزوّج جويرية بنت الحارث، فأسلم بسبب زواجها من النبي ﷺ مئةٌ من قومها، وكان زواجه بها بركة عظيمة على قومها.
ثم تزوّج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة إلى الحبشة، وتزوّجها النبي ﷺ وهي هناك، فكانت بذلك كرامة لها.
ثم تزوّج صفيّة بنت حيي بن أخطب، سيدة بني النضير، من نسل هارون عليه السلام، فهي بنت نبي، وزوجة نبي، وعمة نبي!
ولما عيّرها بعض زوجات النبي ﷺ بيهوديتها، بكت، فدخل النبي ﷺ عليها وقال: "ما يبكيك؟"، فقالت: "قالوا لي: يا بنت يهودي!"، فقال:
"وما يضيرك؟! فإن أباك نبي، وعمك نبي، وزوجك نبي!"
وكان صلى الله عليه وسلم حانيًا عطوفًا، حتى إذا أرادت صفيّة أن تصعد على بعير ولم تستطع، وضع صلى الله عليه وسلم ركبته لتصعد عليه، مسهّلاً لها الأمر وإذا بكت، مسح دمعها بيده الشريفة فمن مثلك يا رسول الله؟!
وكان ﷺ قد استملح صفيّة بنت حُيَيّ رضي الله عنها، وكانت قد وقعت في سهم دُحية الكلبي حين قُسِّم السبي، فجاء ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ وقال: "يا رسول الله، إنها ابنة سيدهم، وقد وقعت في سهم فلان، وأنت أولى بها يا رسول الله." — إشارةً إلى مكانتها ونسبها الشريف.
وهنا فائدة تربوية عظيمة، وهي ما يتعلق بمسألة التكافؤ في النكاح، إذ قد يظن بعض الإخوة أو الأخوات أن طلب الزوج أو الزوجة بمستوى علمي أو اجتماعي معين أمر منكر أو تكبّر، وهذا غير صحيح؛ فقد نصّ الفقهاء على اعتبار التكافؤ في الدين، وأما غيره، فليس بمانع ولا شرط.
وقد يقع التحفّظ من فتاة تقول: "أنا معي شهادة دكتوراه، فهل يجوز لي أن أتزوج بمن هو أقل مني علمًا؟" — والجواب: نعم، ما دام الدين والخلق قائمين، فليس العبرة بالشهادات، بل بالديانة والاستقامة.

فعاد النبي ﷺ وأخذ صفيّة رضي الله عنها، فصعد فيها النظر وصوّبه، فرأى جمالًا وأدبًا، وكانت من أجمل نساء العالمين، فاستملحها وبنى بها في الطريق، دون إعلان خاص أو احتفال، بل في بساطة وسكينة.

فلمّا رجع بها وأقبل بها على الناس، قالوا: "إن وضع عليها النقاب فقد تزوّجها، وإن لم يضع فقد اصطفاها لنفسه من السبي"، فوضع عليها النبي ﷺ النقاب، فدلّ ذلك على أنها أصبحت زوجته.

رأت ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فاغتاظت، وقالت: "يهودية! بنت يهودي!"، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لها: "اتقِ الله، فقد أسلمت." فسكتت رضي الله عنها.

ثم تزوّج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، وكانت آخر من تزوّج من النساء عقد عليها في عمرة القضاء، وقبرها بـ"سَرِف"، قرب مكة، وتوفيت في زمن معاوية رضي الله عنه.

وقد قيل أن من أزواجه ريحانة، لكن الصحيح عند أهل العلم أنها كانت من إمائه، وليست من أمهات المؤمنين والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لما اشترى جارية، سمّاها ريحانة، وقال: "لأتأسى بالنبي ﷺ".

ويُروى أن النبي ﷺ احتجم على كاهله بدينار، وهذا مبلغ كبير في وقته، وقد احتجم الإمام أحمد بدينار كذلك، فقيل له: "ولِمَ ذلك؟" فقال: "أتأسى بالنبي ﷺ."

وهذا من جملة الاستقامة، أن تقتدي بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله حتى في دقائق الأمور.

قال ابن القيم رحمه الله: "فهؤلاء هنّ نساؤه المعروفات اللواتي دخل بهن وأما من خطبها ولم يتزوّجها، أو وهبت نفسها له فلم يقبلها، فعددهن نحو أربع أو خمس."

وقال بعضهم: "هن ثلاثون امرأة"، ولكن هذا القول منكر عند أئمة السيرة والحديث.

وممن وهبت نفسها له: امرأة قامت في مجلس النبي ﷺ، وقالت: "يا رسول الله، وهبت نفسي لك."، فنظر إليها ﷺ، وسكت، فلم يقبلها، فقام أحد الصحابة وتزوّجها.

وهنا وقفة عظيمة: بعض النساء قد تخجل من عرض نفسها للزواج، أو يخجل وليّها من أن يطلب لأحد بناته الزواج، والحق أن هذا من تمام النُبل والمروءة.

فقد عرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة على رسول الله ﷺ

وينبغي أن نروّج لسوق الزواج، ونيسّر أسبابه، ونتعامل معه كعبادة عظيمة، لا كمعاملة تجارية أو تفاوض اقتصادي.

ويقول النبي ﷺ:

"إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(انظر)[1]

لكن كثيرًا من الناس يردّون الخاطب لأسباب دنيوية: "أين غرفة النوم؟ والسفرة؟ وأين النيش؟"

والنيش هذا – بالمناسبة – عدوّي من سنين! لا فائدة فيه ولا جدوى، إلا أن يكون معبئًا بكريستالات الغبار!

ثم نعود إلى زوجاته ﷺ:

كان له أربع إماء (سراري) يتسرّى بهنّ:

مارية القبطية: أهداها له المقوقس ملك مصر، وهي أمّ ولده إبراهيم.

ريحانة.

جارية جميلة وقعت له من بعض السبي.

جارية وهبتها له زوجته زينب بنت جحش.

تأمّل في هذه السماحة النبوية! زوجته تهب له أَمَة، حبًا ووفاءً ورضًا.

وهنا لمحة أخرى من التاريخ:

رابعة الشامية، العالِمة العابدة، لما تزوّجها أحمد بن أبي الحواري، وفي ليلة الزفاف، قالت له:

"لقد خطبت لك امرأة من الزقاق خلفنا!"

يا الله! ما هذا السمو! ما هذه النفوس التي زهدت في الدنيا، وعاشت للآخرة؟!

قبل أن نُختم ، نُجيب عن سؤال ورد من أحد الإخوة– والسؤال كان:

في الدرس الماضي قلتَ إن "الثورات السلمية بدعة"، فهل هذا صحيح؟

أقول وبالله التوفيق:

نعم، قلت ذلك، وأكرر القول، لكن مع البيان والتفصيل.

---

1 ـ **قالوا بعض أهل العلم والحديث أن هذا الحديث لم يقوله النبي ﷺ** ولم يثبت عنه وهو معلول فيوصف لنا إذا جاء رجل يبلغ الستون من العمر إلي بنت تبلغ العشرين ، فقد يتم رفضه بسبب التكافؤ في فرق العمر ؛ وأيضا إذا شخص وهو ذو دين وخلق ولكنه مريض مرض مذمم فمن الممكن أن يتم رفضه بسبب شئ معلوم فيه ؛ والنهاية أن هذا الحديث فيه تنازع واختلاف فهو من حيث السند أما من حيث المعني والمتن فقالوا شاهداً "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ؛ ومنهم من حسنة مثلا الترمذي والألباني ولكنه فيه نزاع من حيث السند ويخالفه أحاديث أخري (والله أعلم)

يا إخوة، نحن لا نتكلم من منطلق الحماسة أو الحوادث الجارية، بل نتكلم من منطلق الشريعة.
ديننا الحنيف بيّن كيف يُنزع الحاكم إذا وقع في الكفر، وبيّن من الذي يقوم بذلك، ومن الذي له الحق في الخلع والعزل.
الشريعة لم تُوكل هذا الأمر إلى عامة الشعب، بل جعلته من صلاحيات أهل الحل والعقد.
ومن هم أهل الحل والعقد؟
هم العلماء الصادقون، وأمراء الصدق، ممن جمعوا بين الفقه والبصيرة.
إذا ظهر من الحاكم كفر بواح، لا لبس فيه ولا تأويل، عندها يجتمع أهل العلم، ويتداولون في الأمر، ويصدرون فتوى بوجوب خلعه، ثم يُكلّفون من الأمراء من يتولى ذلك، ويشترط أن يكون لديهم بديل مؤهل لإدارة البلاد، وإلا تُترك الأمور حتى لا تتحوّل إلى فوضى.
وهذا ما حصل في التاريخ: حين قُتل قطز على يد بيبرس، قاموا مباشرة بمبايعة بيبرس، حتى لا تظل الأمة بلا سلطان، وحتى لا تُنتهك البيعة ويُفقد الأمن.
وهذا – للأسف – ما لم يُراعَ في أحداث سوريا وليبيا، حتى خرجت الأمور عن السيطرة، وصارت البلاد مهددة بالتقسيم.
ألم تسمعوا أن ليبيا الآن يُخطط لها أن تُقسم إلى دولتين: دولة في الشمال، وأخرى في الجنوب، وعاصمتها "سِرت"؟!
فما أعظم شريعتنا، وما أرحمها، وما أحكمها!
لذا، إذا اجتمع أهل الحل والعقد، وقالوا: فلان يُخلع، وكان لهم بديل شرعي وأهل للقيادة، أُخرج الحاكم ونُصّب من بعده الخليفة الجديد.
لكن ماذا عن وسائل الضغط؟
هل تُباح؟
نقول: إن وُجدت وسائل سلمية لا تؤدي إلى الفوضى ولا إلى الدماء، يمكن استعمالها، بشرط ألا تُقابل بالقمع والقتل.
أما إن خرج الناس سلمًا، والحاكم واجههم بالرصاص والدبابات، فلا يُقال عندها: "اعتصموا بسلميتكم"، فهذا عبث، بل إهلاك للناس.

وقد قال ابن حزم رحمه الله:

"إذا استلزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استعمال السلاح، أُخرج السلاح، ولو قُتل من أهل الحق طائفة."

وهذا أدنى من مسألة خلع الحاكم.

واليوم، ما الذي جرى؟

قُتل في ليبيا أكثر من ستين ألفًا من الناس!

ولو لم يواجهوا الطغاة بالسلاح، لأُبيدوا إبادةً تامة.

ثم يأتيك من يُنادي من الغرب: "اعتصموا بثورتكم السلمية!"، وهو نفسه يدعم من يضرب الناس بالدبابات!

ولهذا، كان تأخر بعض الضباط في الجيش عن الانشقاق في سوريا وليبيا سببًا في إطالة أمد النزاع، بينما لو خرجوا مبكرًا، لتمكّن الشعب من حماية نفسه.

وعليه، فإن القول بأن الثورات السلمية هي الحل، قول لا يُوافق الشريعة، ولا الواقع، ولا التراث الإسلامي.

واليوم، حتى العلماء والدعاة، ممن يُراعون فقه الواقع والفقه السياسي، ينادون بأن السلاح ضرورة إذا لم يوجد مَن يُنظم الأمور، ويحكم البلاد، ويمنع الفوضى والحرب الأهلية.

نسأل الله عز وجل أن يُصلح حال بلاد المسلمين، وأن يحكم لهم أمرهم برجلٍ صالحٍ يُحكّم شرع الله، وأن يقصم طاغية الشام، ويهلك كافرها، إنّه القادر على كل عظيم.

جزاكم الله خيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(5)

باب

رحلة فن أختيار المهمه لكل صحابي

علي أرض الواقع

الحمد لله على نعمة الإيمان، والصلاة والسلام على من بُعث بالهدى واليقين، محمدٍ سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحياة الطيبة... غاية القلوب المؤمنة

ما تزال هذه المجالس الطيبة، التي نسأل الله عز وجل بإخلاص أن يبارك فيها، هي من أعظم أبواب الخير، ومفاتيح القرب من الله جل جلاله فإن ثمرتها كما نرجو هي الإيمان، والإيمان وحده هو الذي يهب المرء حياةً طيبة.

نعم، الحياة الطيبة ليست في وفرة المال ولا في سلامة الأبدان فقط، بل هي شعور يسكن القلب، أن داخلك طيب... أن فكرك طيب، وسعيك طيب، وهدفك سامٍ أن تشعر أن روحك منوّرة بطاعة الله، تشتاق للقائه، وتطمئن بذكره.

📖 قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

سورة النحل، الآية **97**

كأن الله سبحانه وتعالى يفتح لك باب رجاء لا يُغلق: اعمل صالحًا، وكن مؤمنًا، تُهدى إليك هدية ربانية: حياة طيبة.

أي حياة تلك التي تُذكر فيها أسماء الله، ويُتلى فيها كلامه، ويُصلّى فيها على نبيّه؟ كيف لا تطيب؟!

الشوق إلى لقاء الله

📖 قال الله تعالى:

﴿مَّن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾

سورة العنكبوت، الآية **5**

قال أهل العلم: لو لم يضرب الله للمحبين أجلاً، لتصدّعت قلوبهم شوقًا.

تأمل هذا المعنى... هل شعرت يومًا أن قلبك يشتعل شوقًا إلى الله؟ أنك لا تريد من الدنيا شيئًا إلا أن تنظر إلى وجهه الكريم؟ هذه هي الحياة الطيبة، وهذه هي الغاية، أن يصبح همّك الأول: "يا رب، متى ألقاك؟"

قال النبي ﷺ:

((ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَن رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً))[1]

نعم، الإيمان يُذاق، له طعم، له أثر... إذا ذقته مرة، لن تتركه بعد ذلك أبدًا تشعر وكأن الدنيا كلها لا تساوي سجدة واحدة في حضرة الله.

جنة الدنيا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة."

قيل له: وما هي؟

قال: "العبودية."

العبودية الصادقة لله هي جنة القلب في الدنيا... حين تسجد، فيفيض قلبك بالسكينة، وتناجي ربك كأنك بين يديه، هذه الجنة في الدنيا، وهي الطريق إلى جنة الآخرة .

دخلت في بيت رسول الله ﷺ، عرفت أسرته وأعمامه وخالاته، ثم ماذا؟ هل تغيّرت؟ هل أصبحت ترى الدنيا بعينه؟ هل أصبحت كأنك تسير معه في طريق النور؟ هل غيّر فيك هذا العلم شيئًا؟ إننا لا نريد علماً بلا أثر.

يا إخوة الإيمان، أنتم صمّام أمان هذا الواقع، أنتم ضمانة الأمة، لعل الله ينظر لعبودية أحدكم، فيحفظ بها الأمة كلها فلا تستهينوا بخطواتكم نحو الله، فرب خطوة رفعت قدرًا، ورب دمعة فتحت بابًا، ورب نية صادقة كانت عند الله أعظم من جبال الدنيا!

ثم انظروا كيف حوربت شعائر الإسلام! اللحية – وهيئة النبي ﷺ وسنته – أصبحت مستهدفة، لا لأنها شعر، ولكن لأنها شعار، ومظهر يدل على انتماء، فحُوربت، وهُوجمت، وحوصرت، ولو أن أحدًا خالفها، لاشتدت عليه المعارك.

ثم قِس على ذلك: حين تصبح السنة محاربة، تدخل إلى ساحة العقيدة ولهذا قال الأئمة: إن من عقيدتنا المسح على الخفين، رغم أنه فرع فقهي، لكن لما أنكره أهل البدعة، أصبح من العقيدة إثباته، لأنه أصبح شعارًا لأهل السنة.

---

[1] - رواه مسلم (**34**) أخرجه الترمذي (**2623**)، وأحمد (**1779**)، وابن حبان (**1694**)صحيح

وكذلك سنة اللحية، حين أصبحت تُحارب من أجل أن تُمحى، دخلت في باب العقيدة، لأن حفظ الشعار حفظ للدين، ولأن خالفوا المشركين أصل من أصول الإسلام، كما قال النبي ﷺ: ((خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ؛ وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ))[1]

نريد من هذه المجالس أن تخرج منها عارفًا بمقدار رسول الله ﷺ، لا أن تحفظ عشرين حديثًا وتنسى أثرها! أن تسير على الأرض وأنت تحمل في قلبك حبه، وتحيا في نور سنته، وتنتظر لقياه في الفردوس الأعلى.

قال ابن القيم رحمه الله: "من له أدنى همة لمعرفته ﷺ، ينبغي أن يتعلم هذه المقدمة، فهي مفتاح للسير إليه"، فابدأ بها، واقرأ سيرته، وتعلّم عن مواليه، عن أحبابه، عن خدمه، لترى النور في كل وجه أحبّ رسول الله ﷺ.

منهم زيد بن حارثة، حِبّ رسول الله ﷺ، اعتقه وزوّجه مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة، الحِبّ ابن الحِبّ ومنهم: أسلم، وأبو رافع، وثوبان، وأبو كبشة، وشُقران، ويسار، وصالح، ورباح، ومدعم، وكركرة، وكان بعضهم من نوبة مصر، وكان كركرة يحرس ثقل النبي ﷺ، أي أمواله وأماناته.

ومنهم من غلّ – أي خان – في خيبر، فغلت عليه الأرض، واشتعل عليه قبره نارًا، جزاءً وفاقًا، كما جاء في الصحيح.

واعلم يا أخي أن النظر إلى اليوم الآخر ليس فقط في الخوف من النار، بل في الوقوف بين يدي الله، في الحساب، في أن تُسأل عن كل صغيرة وكبيرة، فيقال لك: لمَ فعلت؟ فإن كنت ممن صدق في التوبة، سترك الله، وكلمك سرًا، والناس حولك لا يسمعون، فقط يرون وجهك يتلألأ، أو يسودّ، بحسب ما يكون في صحيفتك من نور أو ظلمة.

يا إخوة الإيمان، لا تجعلوا هذه الدروس تمر دون أثر عيشوا مع النبي ﷺ، عيشوا معه في بيته، ومع أصحابه، وخُدّامه، ومواليه، لتكونوا له في الآخرة من الجيران.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة، وأن يُحيينا على سنّة نبيّه ﷺ، وأن يُميتنا على ملّته، وأن يحشرنا تحت لوائه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وأنت جالس ترى حركاتٍ من الناس، لكن الله الستّير سبحانه وبحمده يستر عباده، فلا يُسمَع لهم

---

[1] - أخرجه البخاري (5892)، ومسلم (259) صحيح

صوتٌ، ولا تُكشف ذنوبهم، ولا يُفضَح سترهم... بينما آخرون يتفشّى ذنبهم، وتنكشف عوراتهم أمام الخلق، فتكون الفضيحة، نسأل الله عزّ وجل أن يسترنا وإياكم بستره الجميل.

هذه نظرة ينبغي أن تُسكِن النفسَ وتزجرها، غير أن ثمة نظرةً أخرى أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: {من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآتٍ} [العنكبوت: 5]، نظرة قد لا يلتفت إليها الكثيرون: يا هذا، إنك إن متّ فإنك تُقبل على حبيبك...!

يقول عبد الرحمن بن مهدي : سمعت سفيان يقول : ما بلغني عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حديث قط إلا عملت به ، ولو مرة . [1]

قال خالد بن نزار الأيلي : قال سفيان : الزهد زهدان : زهد فريضة ، وزهد نافلة

فالفرض : أن تدع الفخر والكبر والعلو ، والرياء والسمعة ، والتزين للناس .

وأما زهد النافلة : فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال ، فإذا تركت شيئا من ذلك ، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله .[2]

وأما من موالي رسول الله ﷺ: "أنجشة" الحادي، وسيأتي ذكره في الحديث عن الحُداة، و"سفينة بن فروخ"، واسمه الحقيقي "مهران". فهل تعرفون لماذا سُمّي "سفينة"؟ قال رجلٌ له كما في "مسند الإمام أحمد": ما اسمك؟ قال: لا أخبرك باسمي، ولكن أخبرك بما سمّاني به رسول الله ﷺ، فقد سماني "سفينة". أترون هذا الاعتزاز؟ هو لا يعتز باسمه الحقيقي، بل بالاسم الذي أطلقه عليه النبي ﷺ...!

جَلَسْتُ إِلى سَعِيدِ بنِ المسَيّبِ، فَحدَّثَني: أنَّ جَدَّهُ حَزْنًا قَدِمَ علَى النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: ما اسْمُكَ قالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قالَ: بَلْ أنْتَ سَهْلٌ قالَ: ما أنَا بمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أبِي قالَ ابنُ المسَيّبِ: فَما زَالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعْدُ .

أيها الإخوة... نحن في مجالس نترجم فيها الإسلام عملاً، لا نقف عند النقل السردي، ولا نكتفي بذكر المواقف، بل نستلهم منها الأثر... العلم يُقرع بالعلم، وحديث يُقابل بحديث، ولكن إذا أردت أن تصل إلى القلوب، فاجعل للمعلومة أثرًا.

---

[1] - سير أعلام النبلاء "للذهبي"ج7 ص243

[2] - سير أعلام النبلاء "للذهبي"ج7 ص243

نحن في هذه المجالس نعيش مع رسول الله ﷺ، مع حياته، مع مواليه، مع خدامه، مع من أحبّوه وتفانوا في خدمته ، مجالسنا ينبغي ألا تمرّ دون أثر. اسأل نفسك بعد كل مجلس: ماذا فعلت؟ ماذا تغيّر في قلبي؟ ماذا حملت معي من النور؟ ماذا تركت خلفي من الظلمة؟

اللهم اجعلنا ممن يُحبون نبيك ﷺ، ويهتدون بهديه، ويحيون بسنته، ويُبعثون تحت لوائه، واحشرنا في زمرته، واسقنا من يده الشريفة شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

أيها الإخوة، ينبغي أن نعلم هذه المعاني ونتربى عليها... فها هو "سفينة"، رضي الله عنه، ما الذي حدث له؟! رجل يسأله: "ما اسمك؟"، فما كان جوابه؟ قال له: "والله، لا أُخبرك باسمي، لكني أخبرك بما سمّاني به رسول الله ﷺ... ما عاد لي اسمٌ غير الذي سمّاني به رسول الله ﷺ!".

انظر إلى العاطفة المشبوبة...! هكذا نريد أن نكون، إخوةً في التوحيد، توحيد مشبوب بالحب، مشبوب بالغيرة، مشبوب بالوفاء، ليس فقط في "لا إله إلا الله"، بل في الشطر الثاني أيضًا: "محمد رسول الله".

أن تسمع شيئًا عن ربك، فتضطرب روحك... تسمع شيئًا عن نبيك، فتمتلئ نفسك شوقًا وغيرة.

أتدرون من هو الذي تجلى فيه هذا المعنى؟ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حين دُعي للتحقيق أمام القاضي المالكي ابن مخلوف، وكان بينه وبين بعض العلماء كابن الزملكاني وغيرهم خلافات... سألوه عن مقالاته في الفقه والعقيدة، فقال القاضي: "ما تقول يا أحمد؟ جاوب". فبدأ ابن تيمية خطبته: "إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره..."، فقاطعه القاضي: "ما جئنا بك لتخطب، اختصر، ليس عندنا وقت".

فما إن سمع ابن تيمية ذلك حتى اضطرب وارتفع صوته وقال: "أتمنعونني من أن أُثني على الله، وأن أحمد الله؟!".

قال الذهبي رحمه الله في ترجمته —كما في رسالته المطبوعة ضمن مجموعة الشيخ بكر أبو زيد —:

"فاضطرب، وارتفع صوته، وكانه تهته من شدة انفعاله".

هذا هو التوحيد المشبوب، التوحيد الذي يسكن الجوارح، فإذا مُسّ شيء من حرمته، ثار القلب دفاعًا عن ربّه، وعن نبيّه ﷺ... هذا هو الغَيرة في الإيمان.

وهكذا ثمامة بن أُثال، رضي الله عنه، لما أسره الصحابة وربطوه في المسجد وإليكم بالقصة :

بَعَثَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ برَجُلٍ مِن بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ له: ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بسَارِيَةٍ مِن سَوَارِي المسْجِدِ، فَخَرَجَ إلَيْهِ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَ: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِندِي خَيْرٌ يا مُحَمَّدُ؛ إنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وإنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ علَى شَاكِرٍ، وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ المالَ فَسَلْ منه ما شِئْتَ، فَتُرِكَ حتَّى كانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ له: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: ما قُلتُ لَكَ: إنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ علَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حتَّى كانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِندِي ما قُلتُ لَكَ، فَقَالَ: أطْلِقُوا ثُمَامَةَ. فَانْطَلَقَ إلى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المسْجِدَ، فَقَالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، يا مُحَمَّدُ، واللَّهِ ما كانَ علَى الأرْضِ وجْهٌ أبْغَضَ إلَيَّ مِن وجْهِكَ، فقَدْ أصْبَحَ وجْهُكَ أحَبَّ الوُجُوهِ إلَيَّ، واللَّهِ ما كانَ مِن دِينٍ أبْغَضَ إلَيَّ مِن دِينِكَ، فأصْبَحَ دِينُكَ أحَبَّ الدِّينِ إلَيَّ، واللَّهِ ما كانَ مِن بَلَدٍ أبْغَضُ إلَيَّ مِن بَلَدِكَ، فأصْبَحَ بَلَدُكَ أحَبَّ البِلَادِ إلَيَّ، وإنَّ خَيْلَكَ أخَذَتْنِي وأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَمَرَهُ أنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ له قَائِلٌ: صَبَوْتَ! قَالَ: لَا، ولَكِنْ أسْلَمْتُ مع مُحَمَّدٍ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَا واللَّهِ، لا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.[1]

ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل .[2]

هكذا نريد أن نربي أنفسنا، على غيرة مشبوبة لله ولرسوله، فإذا ذُكر النبي ﷺ، فاض القلب بالصلاة عليه، واهتزت الروح شوقًا إليه، ﷺ.

تكون الثقة بالشريعة أعظم من الثقة بالنفس... إن لم أكن أستطيع أن أحمل التراب، فإذا أمرني معصومٌ من الله أن أحمله، فعلت!

و هذه الثقة النبوية، تجعل الرجل ينهض ما لا تطيقه الجبال، لماذا؟ لأنه يحمل أمرًا نبويا، يحمل تكليفًا من رسول الله ﷺ.

---

1 - أخرجه النسائي (189) واللفظ له، وأخرجه البخاري (462)، ومسلم (1764) باختلاف يسير. صحيح

2 - السيرة النبوية (ابن هشام) ج 2 ؛ ص 639

وهكذا نحن، نثق في شرع الله أكثر من ثقتنا بأنفسنا لو قال لنا ﷺ: "أنتم تستطيعون"، فوالله إنّا نستطيع، وإن ظنّ الناس العجز فينا فكيف لا نثق ونحن أمة خير البرية؟!

ومن مواليه ﷺ: زيد بن حارثة بن شراحيل ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن ، فولدت له أسامة .

ومنهم أسلم ، وأبو رافع ، وثوبان ، وأبو كبشة سليم ، وشقران واسمه صالح ، ورباح نوبي ، ويسار نوبي أيضا ، وهو قتيل العرنيين ، ومدعم ، وكركرة ، نوبي أيضا ، وكان على ثقله صلى الله عليه وسلم ، وكان يمسك راحلته عند القتال يوم خيبر .

وفي صحيح البخاري أنه الذي غل الشملة ذلك اليوم فقتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إنها لتلتهب عليه نارا) وفي "الموطأ" أن الذي غلها مدعم ، وكلاهما قتل بخيبر ، والله أعلم

ومنهم أنجشة الحادي ، وسفينة بن فروخ واسمه مهران ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة ؛ لأنهم كانوا يحملونه في السفر متاعهم ، فقال : (أنت سفينة) قال أبو حاتم : أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال غيره : أعتقته أم سلمة .

ومنهم أنسة ، ويكنى أبا مشرح ، وأفلح ، وعبيد ، وطهمان وهو كيسان ، وذكوان ، ومهران ، ومروان ، وقيل : هذا خلاف في اسم طهمان ، والله أعلم .

ومنهم حنين ، وسندر ، وفضالة يماني ، ومابور خصي ، وواقد ، وأبو واقد ، وقسام ، وأبو عسيب ، وأبو مويهبة .[1]

ومن النساء: سلمى أم رافع ، وميمونة بنت سعد ، وخضرة ، ورضوى ، ورزينة ، وأم ضميرة ، وميمونة بنت أبي عسيب ، ومارية ، وريحانة .[2]

نقول هذا لإخواننا الذين يختارون لأبنائهم وبناتهم أسماء غريبة لا تمتّ لماضينا بصلة! أين نحن من هذه الأسماء الطيبة التي تربط الخلف بالسلف، وتذكّرنا بأيام الله؟!

---

1 - زاد المعاد لإبن القيم الجوزية ج1 ؛ ص112

2 - زاد المعاد لإبن القيم الجوزية ج1 ؛ ص113

وهنا فائدة تربوية عظيمة، إذا نظرت إلى هذا العدد من الخدم والموالي والفرسان حول النبي ﷺ، قد تظن أنهم خدم لملكٍ جبار، أو طاغية متغطرس يستكثر بهم على الناس! لكن الحقيقة أنهم جميعًا كانوا يعملون كل واحد له مهمة لا بطالة، لا فراغ. لأنه كما يقول أهل التربية: "المعسكر الذي تكثر فيه البطالة، تكثر فيه المشاكل".

وصدقوني، من أسباب المشاكل الأسرية والاجتماعية والزوجية، الفراغ انشغل، أشغل أهل بيتك بالخير، كلٌ له مهمته. فإذا دخلت البيت وسُئلت: "أين كنت؟"، قل: "كنت أقرأ، كنت أشتغل، كنت أخدم الدين...".

وهذه أيضًا فائدة دعوية: إنك لا تدري في أي مضمار ستنجح. لذلك التصق بأحد أهل العلم، من يوجّهك كما التقط البرزالي الإمام الذهبي، وقال الإمام الذهبي وهو الذي حبب إلي طلب الحديث، فإنه رأى خطي، فقال: خطك يشبه خط المحدثين [1] ، فصار الذهبي من أعلام الحديث كما التقط الإمام الشافعي أبا يعقوب البويطي، وقال عنه الإمام الشافعي: ليس في أصحابي أحد أعلم من البويطي، وكانت المسائل تأتي الشافعي فيحيلها على البويطي ليجيب عليها [2]

وكما قيل للشافعي وهو شاب: "اذهب فاطلب الفقه لتكون سيدًا"، فصار إمامًا.

أيها الإخوة، كلنا فينا خير، وكلنا نستطيع أن نخدم هذا الدين، لكننا فقط نحتاج من يوجّه الطاقات، كما فعل النبي ﷺ، شغّل كل صحابي في ما يحسن كل خادم من هؤلاء، كل تابع، كان على ثغر.

فهل آن الأوان أن يكون لكل واحد منا موضع قدم في ميدان الدعوة؟ أن يكون له نصيب من خدمة هذا الدين؟ أن يصير أحدنا سفينة، يحمل أمانة الأمة، حين يقول له الحبيب ﷺ: "احمل، فإنما أنت سفينة".

والنبي ﷺ كان أميًا، أي لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وقد برز عنده خصوصية في الحفظ، لم يكن لها مثيل، كما في قوله ﷺ: « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {لَا تُحَرِّكْ به لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}، قالَ: كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بالوَحْيِ، وكانَ مِمَّا يُحَرِّكُ به لِسَانَهُ وشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عليه، وكانَ يُعْرَفُ منه، فأنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي: لا أُقْسِمُ بيَومِ القِيَامَةِ: {لَا تُحَرِّكْ به لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به، إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ} قالَ: عَلَيْنَا أنْ نَجْمعهُ في صَدْرِكَ، {وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} : فَإِذَا أنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ،

---

1 ـ الذهبي: " معجم الشيوخ "

2 ـ سير أعلام النبلاء

{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} : عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ، قالَ: فَكانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وعَدَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ. {أَوْلَى لكَ فأَوْلَى} تَوَعُّدٌ » [1]

والحديث في هذا المجال عظيم، فقد كان النبي ﷺ يسمع القرآن من قارئٍ يُقيم الليل، ويستمتع بسماع القرآن بصوت جميل، وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره، حتى إنه أحيانا كان يذكر آية نسيها من سورة معينة وهذا دليل على أن أميته ﷺ كانت مدحًا وليست نقصًا، لأن الأمية هنا تعني عدم القدرة على القراءة والكتابة، وليس نقصًا في المعرفة أو الحكمة.

وعن كمال النبي ﷺ، هناك روايات تشير إلى أنه فقد بعض أسنانه، فعن أنس ابن مالك قال: " أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ كُسِرَت رَباعيتُهُ يومَ أحدٌ ، وشُجَّ حتَّى سالَ الدَّمُ على وجهِهِ ، فقالَ : كيفَ يُفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم ، وَهوَ يدعوهم إلى ربِّهم ، عزَّ وجلَّ فنزلت : لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ." [2]

أيها الإخوة، إذا كان الشيء لله، حتى وإن لم يكن محببًا للناس، فهو حسن بإذن الله بسبب إخلاصه.

من كتب للنبي ﷺ: أبو بكر رضي الله عنه، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وعبد الله بن الأرقم، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع الأسدي، والمغيرة بن شعبه، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان – خال المؤمنين رضي الله عنهم جميعًا – وزيد بن ثابت، وقد كُلِّفوا بهذه المهمة وأخصوهم بها.

وأريد هنا أن أستفيد من فائدة أخرى، أيها الإخوة، وهي أنه عندما تشعر أن هناك أمرًا لا تعرف كيف تقوم به، فلا تجلس تندم وتبكي، بل ماذا نفعل لننجح؟ نأتي بمن يعرف كيف يعمل ذلك.

فالحياء من الله تعالى يجب أن يكون رادعًا لنا، ولا نخجل من طلب المساعدة.

فالتخصص والاجتهاد في مجالك مطلوب، وأن تبذل أقصى جهدك فيما تقوم به، وإن استطعت تفويض بعض الأعمال للآخرين، فلا تتردد.

قال ابن القيم في كلامه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: وزيد بن ثابت كان هو الملزم بهذا الشأن، والعالم الذي يُثير القضايا ويجتهد في جمعها يوميًا .

---

1 - أخرجه مسلم (448) صحيح

2 - أخرجه مسلم (1791) صحيح

أما لماذا اختير زيد بن ثابت وليس عبد الله بن مسعود الذي كان أميرًا في هذا المجال؟ الجواب كما قال ابن القيم: لأن زيد كان مُلزمًا الناس بكتابة هذا الأمر، وهو ما يسميه أهل الحديث "اللزوم"، وهو أن يلتزم الرجل بشيخه ويقدّم قوله على قول غيره حتى ولو كان ولد الشيخ.

وعن زيد بن ثابت ((بُعثَ إلى أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مقتلَ أَهْلِ اليمامةِ فإذا عُمرُ بنُ الخطَّابِ عندَهُ فقالَ: إنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ قد أتاني فقالَ: إنَّ القتلَ قد استحرَّ بقرَّاءِ القرآنِ يومَ اليمامةِ، وإنِّي لأَخشى أن يستَحرَّ القتلُ بالقرَّاءِ في المواطنِ كُلِّها فيذهَبَ قرآنٌ كثيرٌ، وإنِّي أرى أن تَأمرَ بجمعِ القرآنِ، قالَ أبو بَكْرٍ لعمرَ: كيفَ أفعلُ شيئًا لم يفعَلهُ رسولُ اللَّهِ؟ فقالَ عمرُ: هوَ واللَّهِ خيرٌ، فلم يزَلْ يراجعُني في ذلِكَ حتَّى شَرحَ اللَّهُ صَدري للَّذي شرحَ لَهُ صدرَ عمرَ، ورأَيتُ فيهِ الَّذي رأى، قالَ زيدٌ: قالَ أبو بَكْرٍ: إنَّكَ شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهمُكَ، قد كنتَ تَكْتُبُ لرسولِ اللَّهِ الوحيَ فتتبَّعِ القرآنَ، قالَ: فواللَّهِ لو كلَّفوني نقلَ جَبلٍ منَ الجبالِ ما كانَ أثقلَ عليَّ من ذلِكَ، قلتُ: كيفَ تفعَلونَ شيئًا لم يفعَلهُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليَهِ وسلَّمَ؟ قالَ أبو بَكْرٍ: هوَ واللَّهِ خيرٌ، فلم يزَل يراجعُني في ذلِكَ أبو بَكْرٍ وعمرُ حتَّى شرحَ اللَّهُ صدري للَّذي شرحَ لَهُ صدرَهُما: صدرَ أبي بَكْرٍ وعمرَ فتتبَّعتُ القرآنَ أجمعُهُ منَ الرِّقاعِ والعُسبِ واللِّخافِ يعني الحِجارةَ والرِّقاقَ وصدورِ الرِّجالِ، فوجدتُ آخرَ سورةِ براءةٌ معَ خُزَيْمَةَ بنِ ثابتٍ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم)) [1]

والآن، أود أن أقول في كتاباته إلى الرسل والملوك، أن النبي ﷺ بدأ يبعث الرسل إلى الآفاق، وهذا أمر سنأتي إليه بالتفصيل لاحقًا، لكن أريد أن أذكر الفائدة الآن.

فمتى بدأ النبي ﷺ في إرسال الرسل؟ بدأ ذلك في السنة السابعة للهجرة، مباشرة بعد صلح الحديبية، الذي وقع في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية، استقر الهدنة بين المسلمين وقبائل العرب، ولم يعد هناك قتال مباشر.

[1] - أخرجه البخاري (4679)، والترمذي (3103)، وأبو عبيد في ((فضائل القرآن)) (ص281)، وابن حبان (4507) صحيح

لكن أصحاب القضية – أي أصحاب الرسالة – لم يبقوا ساكتين أو هادئين، بل قام النبي ﷺ بإرسال رسائل إلى الملوك الكبار: كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، وغيرهم، يدعوهم إلى الإسلام ويبلغهم رسالة الله عز وجل.

فلا تهدأ القضية، ولا تسكن، ولا تسكت فالأمر لا يخص أحدًا يجلس على العرش أو السلم، بل هو قضية لا تهدأ ولا تسكت.

وانظر يا أخي، في هذا الزمان، تجد بعض الإخوة يقولون: "نريد أن نجاهد في سوريا والعالم كله يموت، فماذا نفعل؟" أقول لهم: اصبروا قليلاً، دعوا أهل العلم يتحدثون، لا تعجلوا في الأمر لابد أن يكون هناك تواصل بين العلماء هنا وهناك، وتنسيق بين الجهات المختلفة.[1]

هنا نتعلم الحكمة، فبعض الأمور تحتاج إلى تهدئة وصبر، لا إلى تعجل واندفاع.

أيها الداعية، لا تهدأ أبدًا في حمل قضية الدين، ولكن لا تكن فقط ناشرًا للأوراق والكتب، بل كن واعيًا لحركة الأمور وفهم تفاصيل القضية.

أما بالنسبة لما يقال عن بعض الفرق والطوائف، فلا تدعهم يغلطون عليك لا تصدق كل ما يقال

---

[1] – أعلق علي كلامي شيخنا حفظه الله وهو الصحيح وأقول وبالله التوفيق يا إخوتي، إن القلوب لتتألم لما يجري في سوريا حينها أو فلسطين الآن وفي كل مكان يُظلم فيه المسلمون، وهذا من الإيمان ورقة القلب، لكنَّ الله تعالى أمرنا أن نزن الأمور بميزان الشرع، لا باندفاع العاطفة.
قال الله تعالى:
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾
وقال سبحانه:
﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
ورسول الله ﷺ يقول:
«إنما العلم بالتعلّم»
والجهاد عبادةٌ من أعظم العبادات، لا يصحّ إلا بشروطه وضوابطه التي يحددها العلماء الراسخون، وأهل الشأن في الأمة، وليس كل من تحرّك قلبه يجوز له أن يتصدر لهذا الباب العظيم.
لذلك نقول لهم برفق:
اصبروا قليلاً، فالاندفاع لا يصنع نصرًا، والتهور لا يجلب إلا الفتنة. دعوا أهل العلم يتحدّثون، فهم أعرف بمآلات الأمور، وأدرى بشروط الجهاد وضوابطه، وأحكم بالنظر في المصالح والمفاسد ولابد من تواصل بين العلماء هنا وهناك، ومن تنسيق بين الجهات المختلفة، حتى لا يتحول العمل إلى فوضى أو فتنة تضيع فيها الأرواح بلا ثمرة.
واعلموا أن نصرة المظلوم ليست دائمًا بالسلاح، فقد تكون بالدعاء، وبالمال، وبنشر الحقيقة، وبمساعدة اللاجئين، وبكل سبيل مشروع.
كونوا على الجادة، تمسكوا بالكتاب والسنّة، اسألوا أهل العلم، واتركوا الأمور الكبار لأصحابها، فالدين لا يُبنى على العاطفة، بل على البصيرة.
قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾

وأخيرًا، لا تستهين بعمل الهدنة مع الكفار في أوقات معينة، فقد كان النبي ﷺ يرسل رسائل هدنة ودعوة إلى الملوك، وهذا من سننه صلى الله عليه وسلم.

والفائدة الثانية ، أن يذهب رسول واحد فيقطع الفيافي والقرى، وهذا أمر عظيم يدل على صدق الدعوة وقوتها، وكيف يواجه الرسول وحده تحديات كبيرة .

ورد في حديث الأخ [1] قوله: "أنا زنيت كثيرًا، نسأل الله عز وجل أن يعافينا وإياكم"، وهذا الأمر أثر عليه، فأصبح ينظر إلى النساء دائمًا، يشتهيهن سواء كانت المرأة التي ينظر إليها تعتبر في حقه "دميمه" أو غير ذلك أصبح لا يقبل أن ينظر أحد إليه، وأحيانًا يبوح بمثل هذه الأمور بالتفصيل لأنه يشعر بحاجته لمشاركتها مع من يثق بهم.

قال: "أحيانًا أمشي آلاف الخطوات في الشارع بحثًا عن امرأة، لعلّي ألتقي بها وأفعل معها ما لا يحمد عقباه وأحيانًا أرتكب هذا الفعل مباشرة بعد خروجي من المسجد."

وأضاف: "أكره أمي، وأريد أن أكون إنسانًا صالحًا، وأنا متفوق جدًا في الكلية، وكنت في السنة الماضية على هذا الحال من الزنا والخيانة، ومع ذلك كنت الثاني على الكلية."

وكتب تحت كلامه: "الذنوب تزيل النعم"، فلاحظ أنه بالرغم من نجاحه ورقيه، إلا أن ذنوبه لم تفارقه.

وهذا أمر يعبر عن حالة كثيرة من الإخوة الذين ربما لم يبوحوا بها، لكنه لسان حالهم.

هنا يرد الشيخ حفظه الله قالاً :

قال ابن الجوزي رحمه الله: "إن من أقبح المعاصي أن لا يشعر الإنسان بعقاب الله، فربما تكون العقوبة خفية، فتكون بترك عبادة أو بنزع لذة من العبادة، وأنت لا تشعر."

فهل تعلم أن من كنت تصلي ركعتين فيها خشوع وقلبك في السماء، أصبحت الآن صلاتك حركات بلا خشوع؟ هل كنت تقوم قبل الفجر بساعة ونصف أو ساعتين، والآن لم تعد تصلي الفجر؟ هذه كلها عقوبات خفية لا تشعر بها.

أريد أن أقول للأخ وللجميع: النعمة نفسها إن لم تكن في طاعة الله، فهي من ضمن العقوبات، أليس كذلك؟ مالك في جيبك، إن لم تكن في طاعة الله، هي عقوبة ينفقها البعض في طاعة الله فتكون بركة، وينفقها آخرون في غير ذلك فتكون عليهم حسرة.

---

1 ـ هنا أخ يسأله سؤال

لا تستغرب إذًا تحول الفطرة، فهذه من أعظم العقوبات التي قرأتها، وهي تحول الفطرة، أي أن الإنسان يتحول إلى حالة يفضل فيها ارتكاب المعصية، ويبدأ ينظر إلى كل امرأة يشتهيها، وقد يصل به الأمر أن يقول: "أنا أكره أمي."

هذه حالة خطيرة، فالمسألة ليست هينة، وهي تحول فطري كبير.

و أن حب الكفاية، أي الاكتفاء بالقليل، في كل شهوة وفي كل باب يقف الإنسان عن التمادي، هو مفتاح النجاح والتغيير.

والمثال على ذلك أن الإنسان قد يكون جالسًا في مكتب فخم، وفي كرسي مريح، لكن لا يتحرك، وهذا يؤدي إلى أمراض، كأن يقول الأطباء: "سبب الإنزلاق هو الجلوس المستمر."

كما يقول العرب: "عمار البيت خراب"، فلو كان البيت مكتوب له أن يدوم **10** سنوات، يبدأ العد التنازلي منذ أول لحظة دخلتها.

فالشاعر يقول:

"دلم الموت وابن للخراب."[1]

والشاهد أن هذا التحول في الفطرة يؤدي إلى أن يمشي الإنسان كذئب، خارجًا عن طور الإنسانية، ينظر إلى النساء بنظرة شهوانية، ويتحول إلى إنسان "يكره أمه ويحب الزانية".

لا أقول هذا ليأس، بل لأقول الحقيقة، لأن كثيرين منهم برداء برودته هذه يتحدثون عن ذنوب بسيطة، وكأنها ليست كبيرة، وهذا غير صحيح.

الذنب الواحد قد يؤدي إلى الخروج من رحمة الله، فقد قال تعالى:

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}

(سورة البقرة: **36**).

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا ." [2]

نسأل الله عز وجل أن يعافينا وإياكم، وأن لا يبتلينا، فهو أرحم الراحمين.

---

1 - ديوان ابو العتاهية دلم الموت وابن للخراب

2 - صحيح البخاري ص 6308

والخلاصة أن لا تهونوا بالذنوب، وأن تتوبوا بصدق.

أما خير تقويم النفس، كما قال ابن الجوزي رحمه الله، فهو: "صوت عزم الإخوة في الهداية."

ولا يكفي أن توبخ نفسك أو تذمها، بل المطلوب هو العزم الصادق، فالذي يخاف من الآخرة قد يمتنع عن الضحك أحيانًا خشية منها، وهذا من أثر خشية الله.

فهل أنت مستعد أن تترك النظرة إلى النساء غير المشروعة، وأن تستقيم على طريق الحق؟

قال شيخنا –رحمه الله–:

إن الشيخ يعقوب كان يوصي في علاج النظر بأن يأخذ الإنسان قطعة من القطن، يضعها على عينه، ويلبس نظارة سوداء، وإذا اضطر الأمر إلى ذلك، فليفعل ذلك.

وهو ينصح أن يكون مع الإنسان في مثل هذه المرحلة أخ شغال معه في الكلية أو العمل، يمسكه ويشدّه إذا حاول أن ينظر إلى شيء محرّم، لأن النظرة المحرمة سبب خطير جدًا.

وأوصى الشيخ بأن يقعد الإنسان تحت قدمي أمه، ويذوب قلبه من الغيظ والحزن تجاه ما أصابه، ولكن يحذر من أن يقع في معصية الأم أو عصيانها، فذلك أشد وأعظم من كثير من الذنوب.

ولا بد من كثرة ذكر الله، خاصة قيام الليل، وكثرة قراءة القرآن، أكثر من مجرد التواجد في المسجد بلا نشاط روحي حقيقي.

وحذر الشيخ من مخالطة أصحاب السوء، ومن النظر إلى التلفاز أو الكمبيوتر أو المجلات التي تظهر الفواحش والعيوب، لأن ذلك يجر الإنسان إلى دروب الشرور.

والمقصود هنا كل ما يُظهر العري أو يفتح للشهوات أبوابها، فحذارِ أن تتعلق بهذه الأمور.

ومن أهم ما يجب أن يقوم به الإنسان هو الإكثار من الذكر، فإن الذكر أعظم الطاعات، قال تعالى:

{وَإِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ} (سورة العنكبوت: **45**)

وقال تعالى:

{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (سورة الجمعة: **10**)

ومن داوم على ذكر الله ربط الله على قلبه، كما قال السلف الصالح: "كثرة الذكر يربط الله بها على القلب."

وينصح الشيخ بأن يخصص الإنسان وردًا يوميًّا مكثفًا من الأذكار مثل:

"سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم."

ويُستحب أن يكون عدد هذه الأذكار متناسبًا مع عدد آيات القرآن التي يقرأها الإنسان يوميًا، فلا يقل عن جزء واحد من القرآن يوميًا، ويفضل جزئين إن استطاع، مع المحافظة على ذلك، لأن حالة النفس خطيرة جدًا تستوجب الإكثار من الطاعات.

وإذا تيسر لك الحج أو العمرة، فاسعَ إلى ذلك، واسأل الله أن يتقبل منك، وأن ييسر لك السفر إلى بيته الكبير، لتجلس هناك وتدعوه بالدعاء واللُجاء والفرار إلى الله، مستشعرًا أن فطرتك قد تلوثت وأنك بحاجة إلى الرجوع إلى أصل الطهارة.

قال تعالى:

{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} (سورة المؤمنون: **97**)

وقوله سبحانه:

{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (سورة فاطر: **28**)

فالرجوع إلى الله هو السبيل إلى إصلاح النفس، وطرد الوحشية التي قد تتسلل إلى القلب، والتي تجعلك تنفصل عن أدميتك.

والدعاء والإلحاح على الله سرّ قوة الروح، قال تعالى:

{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} (سورة الإسراء: **80**)

وأخيرًا، نصح الشيخ أن تبدأ بالتوبة الآن، في هذه اللحظة، وأن تعقد قلبك عليها، وتقول بلسانك: "تبتُ إلى الله."

ونحن جميعًا كذلك، لا تؤجل التوبة إلى الغد، فإن ساعة التوبة هامة جدًا، ونسأل الله أن يجعلها ساعة توفيق وسداد للجميع.

س : في شأن الزواج

بالنسبة لمسألة الزواج، فقد تحدث بعض الإخوة عن اقتراحات لتنظيم التعارف بين الشباب والبنات داخل إطار الأسرة، كي يكون ذلك بأسلوب مناسب يحفظ الحياء ويجنب الإشكالات.

وقد أيد الشيخ هذا الأمر مع التحذير من المبالغة في المدح الذي قد يوقع في خيبات أمل كثيرة، ويؤدي إلى فشل الخطبة في بداياتها.

فالحذر كل الحذر من المبالغة في تصوير الأمور، لأن ذلك يوقع في مفاجآت غير محمودة، كما سمعنا من قصص واقعية عن بعض الإخوة الذين انخدعوا بأوصاف مبالغ فيها، وعاشوا التجارب المؤلمة فيما بعد.

بعض الوقائع والتوجيهات في مجال الأخلاق والسياسة والدعوة

روى لي بعض الإخوة قصة حدثت معهم، حيث جاءهم أخ يتحدث معهم عن أخ صالح، قال لهم: "هذا الأخ ليس أخًا قرانيًّا فقط، بل هو يعيش مع القرآن، ويعيش مع ذكر الله".

وعندما مدحوه وأثنوا عليه، جاء إلى أخو العروس وقال له: "كم تحفظ من القراءات؟" فرد الأخ قائلاً: "أنا أحفظ حفص".

لكن في بعض الأحيان، في الفقر والغنى، يقول البعض: "هذا واحد من أول الإبر للصاروخ" بمعنى أنه جيد في البداية، لكن في النهاية قد يفلس حينها يقال له "مع السلامة".

ولذا، نحذر من المبالغة في المدح، فالأفضل أن تقول: "عندنا أخت، تعال وانظر إليها، إن أعجبتك فخذها."

وفي هذا السياق، ورد في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

" إذا رأى أحدُكم ما يُعجبُهُ في نَفسِهِ ، أو مالِهِ فليبرِّكْ عليهِ فإنَّ العَينَ حقٌّ " [1]

وهذه مسألة خاصة بين الطرفين، ومن ثم المشروع كهذا أمر محمود وأنا أؤيده.

س : السياسة والشريعة

تحدث الشيخ عن أن الشريعة أعظم وأعمق وأشمل مما يظنه البعض، وأنها لا تتنافى مع السياسة أو العلاقات الاجتماعية.

فالنبي صلى الله عليه وسلم بنى الدولة في المدينة وسط يهود ومشركين ونصارى، لكنه حفظ دينه وأقام علاقات صحيحة معهم.

فهذا يدل على حفظ الشريعة مع التعامل مع الواقع.

وعليه، لا ينبغي الانصياع لأقاويل من يشوهون مفهوم الدولة الدينية، أو يروجون لأفكار تضيق الخناق على الأمة، بل على العكس، يجب التمسك بالشريعة مع الفهم العميق للحياة السياسية والاجتماعية.

---

[1] - خرجه ابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (205) صححه الألباني

س : واقعنا ومستقبلنا

أشار الشيخ إلى أن من لا يحكم بما أنزل الله فهو محسوب عند الله، وأن على المؤمنين أن يدفعوا بحزم، مستندين إلى الآيات والحديث الشريف.

و أن ضمان الواقع هو تعظيم الأمر والنهي، والثقة بالله، والاعتماد على العلاقة الوثيقة مع الله عز وجل، وليس الاعتماد على الأشخاص أو المواقف السياسية المؤقتة.

نصيحة للأمة في مواجهة الفواحش

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عن عبدالله بن عمر:

" يا مَعْشَرَ المهاجرينَ ! خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ : لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ ؛ حتى يُعْلِنُوا بها ؛ إلا فَشَا فيهِمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا ، ولم يَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المؤْنَةِ ، وجَوْرِ السلطانِ عليهم ، ولم يَمْنَعُوا زَكاةَ أموالِهِم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا ، ولم يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم ، فأَخَذوا بعضَ ما كان في أَيْدِيهِم ، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم " [1]

يعني: إذا ظهرت الفواحش واستُعلن بها، فتنزل الأمراض والأوبئة، التي لم تكن معروفة في السابق، كالإيدز والسرطان وغيرها.

وعليه، فإن العلاج هو النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، وإخماد المعاصي في النفوس، والدعوة إلى طاعة الله عز وجل.

نسأل الله عز وجل أن يعافينا وإياكم، وأن يرزقنا الثبات على الحق، وأن يردنا إليه رداً جميلاً.

فوائد اخيرة :

1. موضوع التوبة والعزم على ترك الذنوب

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "مدارج السالكين":

«من أعظم أسباب التوبة استشعار العبد لعظم ذنبه وخطورته، وعجزه عن دفعه، وشدة خوفه من عذاب الله، وعزم قلبه على ترك المعاصي والذنوب».

---

[1] - أخرجه ابن ماجه (4019)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (4671)، والحاكم (8623)

وهذا يتفق مع ما ذكرت من أهمية العزم وعدم الاستهانة بالذنب حتى لو كان صغيرًا، لأن الذنوب لا تُجمع فقط بالأعداد بل أيضًا بالعقوبة والمقدار.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: **2**]

أي أن القلب الذي يخاف الله لا يستهين بالذنوب، ويُحرص على التوبة النصوح.

2. تأثير الذنوب على النعم وتحول الفطرة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "الداء والدواء ":

«الذنوب تزيل النعم، وفساد القلب أعظم من فساد الجسد، وأشد فتكا في الدنيا والآخرة».

وهذا يوافق ما ورد في نصك عن "تحول الفطرة"، وأن الذنوب تجعل الإنسان يبعد عن رقة القلب وإحساسه بالله، ويبتعد عن الإنسانية.

قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: **110**]

أي أن باب الرجوع مفتوح، ولكن يجب التوبة والعزم.

6. ذكر الله وأثره على القلب

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: **28**]

وقال ابن القيم رحمه الله:

«الذكر علاج القلوب، ودواؤها، فبذكر الله تطمئن القلوب، ويزول القلق» (مدارج السالكين).

7. الزهد والتواضع في التزويج والاختيار

قال بعض أهل العلم :

"ليس من الضروري أن يكون الزواج بكلفة أو بذخ، وإنما الكفاءة هي المقياس الشرعي الأساسي، والتواضع والصدق من أساسيات الزواج الناجح."

جزاكم الله خيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(6)

باب

رحلة كيف التعامل مع الفتن وضبط النفس

مع هدي الصحابة رضي الله عنهم

الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فلا زلنا مع بعض خصوصيات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليست كلها خصائصه، بل هي بعض ما كان في حياته عليه الصلاة والسلام. أذكركم أن الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "زاد المعاد" أخبر أن من كان له أدنى علاقة ولاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن يمر على هذه التقدّمات.

وقد كان من الممكن أن نسرد ذلك سردًا مطولًا أو نلخصه، لكنني أردت أن أستنير ببركة إخلاص ابن القيم، فقد كان بعض مشايخنا في القديم ينصحون بعدم الإكثار من التصنيف، وخصوصًا ما يتعلق بكتب السلف، لأنها أكثر إخلاصًا وأعظم بركة وأعمق علمًا.

وكما رأيتم، قد دلّنا هذا الموضع على فوائد صالحة، وسبق وقلت إننا لا نتقيد بوقتٍ محدد ولا مقرر معين، ولا أن نحصّر أنفسنا في فترة معينة في السيرة، بل نريد أن يأخذ الأخوة ما يتعلمونه من السيرة إلى سويداء قلوبهم ويسقطوه على واقعهم.

أخطر ما في هذا الزمان، أيها الإخوة، أن أكثر الناس لا يعرفون الطريق إلى الله تعالى تفصيلاً، بل يعرفونه إجمالاً، فإذا جاء شيء يمس التفاصيل، تاه وتوهّم وأعتقد ويجب أن تكون عقيدتنا جميعًا أن هذه الشريعة تصلح ما فسد من الدنيا، وتصلح لها في جميع ميادينها ومجالاتها.

وهذا ما أثار حسد اليهودي، كما ورد في حديث صحيح مسلم حين قال لسلمان الفارسي: "علّمكم نبيكم كل شيء، حتى الخلاء." وكان اليهودي يحسدنا على ذلك.

فالرسول صلى الله عليه وسلم علمنا كل شيء، حتى آداب دخول الحمام والخروج منه.

هذه السيرة هي ترجمة الإسلام وترجمة الدين، لأنها ترجمة من أتى بالديانة عليه الصلاة والسلام.

فقد مررنا على أمراء النبي صلى الله عليه وسلم، ومؤذنيه، وخدمه، ومواليه.

ونحن نقول دائمًا: اكتشف نفسك، اكتشف ماذا تستطيع أن تعمل وهذا الاكتشاف يكون بأمرين، كما ذكرنا سابقًا هذا الكلام قديم، وكان من المفروض أن يكون الإخوة حافظينه، لأن كثيرًا ما يقول الناس: "أنا لا أعرف ماذا أفعل، وأريد أن أفعل شيئًا، ولا أعرف كيف."
كيف يكتشف الإنسان ذاته؟ بشيخ ملازم، يُرافقه ويُرشدَه، ويقول له: "أنت تصلح أن تعمل كذا."
وهذا كان معروفًا في سيرة العلماء الأوائل.
أما اليوم، فالأمور تغيرت، وبعض الناس لا يستفيدون مما كانوا يستفيدونه سابقًا.

قال ابن القيم رحمه الله في أمراء النبي صلى الله عليه وسلم: منهم باذان ابن ساسان، الذي كان ملكًا على اليمن بعد موت كسرى، وهو أول ملوك العجم الذين أسلموا، فكيف كان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا الأمير الأجنبي؟ النبي كان يوجهه وينهاه ويرشده.
- وإليكم القصة وهي مذكورة في سيرة ابن هشام وطبري في تاريخة :
بعث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عبد الله بن حذافة السهمي وهو أحد الستة إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا ، قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقرئ عليه، ثم أخذه، فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: اللهم مزق ملكه .
وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه، ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، فتبسم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ودعاهما إلى الإسلام، وفرائصهما ترعد، وقال: ارجعا عني يومكما هذا، حتى تأتياني الغد، فأخبركما بما أريد، فجاءاه من الغد، فقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله –تبارك وتعالى– سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن
وهذا يدل على أن الشريعة الإسلامية تفهم السياسة وتعرف كيف تُدار الأمور، خلافًا لما يدعيه البعض اليوم عن عدم إمكانية تطبيق الشريعة في السياسة.

فالإسلام يُسوّس الدنيا كلها بالعدل والرحمة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسوس العرب والعجم على حد سواء .

و كانت الدولة الإسلامية قوية، وتكلم الناس من فوق، ودولة الأكاسرة كانت أقوى من دولة الروم.

وقد روى عن عمر رضي الله عنه حين أراد المثنى بن حارثة أن يأخذ جيشًا، فلم يقم أحد للقتال لأن الفرس كانوا دولة صادمة قوية، وكان الجهاد فرض كفاية.

وكان الناس في البداية يظنون أن الجيش كافٍ، ثم دعاهم عمر وخطب فيهم، وخطب فيهم المثنى بن حارثة حتى خرجوا معه.

هذا يدل على قوة الدولة الإسلامية وتنظيمها العسكري والسياسي.

والنبي صلى الله عليه وسلم حين شعر بامتعاض أهل اليمن من حكامهم الأجانب، تعامل مع الوضع بحكمة، فقام بعزل الحاكم وإدارة الأمور بما فيه مصلحة الناس.

وهذا هو إصلاح الدولة بالعدل والتجديد، وهو أمر مستمر كما نرى في عهد عمر رضي الله عنه.

الفتن تصيب العقل، وقد تغيرت النظرة إلى أمور كانت صحيحة في الأصل، وأصبحت فيما بعد تُعتبر خاطئة، ولذلك لا بد من مراجعة الأمور بحكمة ووعي.

إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بحر العلوم العميق، وهو من أشرف خلق الله وأعلمهم، ومن أهل السؤدد والملك والشرف.

ومع ذلك، لما حدثت فتنة الجمل، ونزلت الفتنة بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم، كان هناك تدخل الخوارج الذين زادوا في الفتنة ووقعوا بينهم.

وكان علي رضي الله عنه يود أن يصفي الأمور بعد ضربة أو ضربتين، لكنه اضطر للدفاع عن الحق وعن المسلمين من الفتنة والفتن التي حاول الخوارج إشعالها.

وهذا يدل على أن الحاكم العاقل هو من يعرف كيف "يسوس الناس"، أي يدير شؤونهم بعدل وحكمة، وأن لا يدعي الجميع القدرة على كل شيء، فالتخصص والتكليف المناسب لكل إنسان حسب قدراته هو الطريق لإنتاج مجتمع مستقر.

كما أن الحديث الشريف عن "غربلة الناس" الذي يصف الفتن المنتظرة هو تحذير عظيم لنا، والنبي صلى الله عليه وسلم أمرنا في مثل هذا الزمان أن "نأخذ ما نعرف"، أي نتمسك بما هو واضح من الدين ونتجنب ما يعقد الأمور.

في عهد الخلفاء الراشدين، وُلي الأمر أمراء من الصحابة الكبار مثل معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وكانوا يديرون شؤون المسلمين بحكمة وعدل.

حتى أبو سفيان رضي الله عنه، رغم كونه عدواً سابقاً للإسلام، فقد عُين في مناصب إدارية بعد إسلامه، لما عرف عنه الإخلاص للدين واهتمامه بخدمة الدولة الإسلامية.

ومن الأمثلة أيضًا على تولي الشباب المناصب المهمة، وولى رسول الله «صلى‌الله‌عليه‌وسلم» عتاب بن أسيد ، وعمره ثماني عشرة ، أو إحدى وعشرون سنة أمر مكة ، وأمره «صلى‌الله‌عليه‌وسلم» أن يصلي بالناس ، وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة .

كل هذه الأمثلة تدل على أن الإسلام دين حكمة وتدبير، والسياسة الشرعية أساسها العدل والرحمة، وأن الحاكم يجب أن يكون قدوة في الصبر والحكمة.

– رأي أهل السنة والجماعة في الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما[1] :

الاعتراف بفضل الصحابة جميعًا

أهل السنة والجماعة يقرون بأن جميع الصحابة رضي الله عنهم هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم محفوظون من الخطأ فيما ثبت منهم في الإسلام، ولا يجوز الغلو في أحد على حساب الآخر أو التشويه، فجميعهم رضي الله عنهم أهل للإجلال والاحترام.

الفتنة واقعة تاريخية مؤلمة

الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وأصحابهم كانت من أكبر المصائب التي حلت بالأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد حدث فيها قتل كثير من المسلمين، ووقع فيها الجهل والحسد والتكالب على السلطة، رغم حرص الجميع على الإسلام.

---

[1] – وفي هذا المبحث سوف أضيف بعض كلام أهل العلم مع كلامِ شيخنا حفظه الله وبارك لنا فيه وبعلمه .

تحذير من الغلو أو التشهير

العلماء أهل السنة ينهون عن الغلو في حب أحد الصحابة على حساب الصحابة الآخرين، ولا يحق لأحد أن يسيء إلى أحد منهم، لأنهم جيل التابعين للنبي وأصحابه الكرام.

الفتنة بسبب اختلاف سياسي وليس كفرًا أو خروجًا من الإسلام

العلماء يوضحون أن ما وقع من الفتنة كان خلافًا سياسيًا في تولي الخلافة، وليس خروجًا عن الإسلام أو كفرًا بين الطرفين وعلينا أن نحترم هذا الخلاف ولا نتجاوز حدود الأدب في ذكره.

الحرص على الوحدة الإسلامية

العلماء يدعون إلى عدم تجديد الفتن أو إثارتها، والعمل على توحيد الأمة، والابتعاد عن أسباب الفرقة والاختلاف، والتأسي بسيرة الصحابة في مراعاة مصلحة الإسلام والمسلمين.

مختصر أقوال بعض العلماء:

ابن عبد البر المالكي في كتابه "الاستيعاب" قال:

"الصحابة كلهم عدول، ولا يجوز ذم أحد منهم، وإن اختلفوا في بعض الأمور بعد النبي صلى الله عليه وسلم."

ابن تيمية رحمه الله قال:

"الصحابة كلهم خير أمة أخرجت للناس، ولم يخرج أحد منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كافرًا."

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال:

"لا يجوز الغلو في حب أحد من الصحابة، ولا يجوز ذم أحد منهم."

الشيخ ابن باز رحمه الله:

"نحترم جميع الصحابة، وندعو إلى الوحدة بينهم، وندين الفتنة التي وقعت بينهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم."

عمر بن عبد العزيز :

"تلك فتنة عصم الله منها سيوفنا فلنعصم منها ألسنتنا".

فإن فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكره عاقل، فهم خير القرون وأزكى الأجيال، فقد قال الله تعالى:

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: **100**]،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « خيرُ القرونِ قرْني, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ يأتي قومٌ يشهدونَ ولا يُستشهدونَ, وينذُرونَ ولا يوفونَ, ويظهرُ فيهم السِّمَنُ »[1].

ومن بين هؤلاء الصحابة الكرام، يبرز كل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كركيزتين عظميين في بناء الدولة الإسلامية الأولى، وكل منهما له مواقف بطولية مشرقة في نصرة الإسلام والدفاع عنه.

فأما سيدنا علي رضي الله عنه فهو ابن عم النبي وصهره، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وصاحب الحكمة والفقه والجرأة، وهو صاحب لواء رسول الله في غزوة خيبر، وأول من أسلم من الصبيان، وصاحب النهروان، وذي السيف المسلول، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: « أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي » [2].

فمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكفيه من الفضل أن له شرف الصحبة وفضلها، وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولازمه بعد إسلامه، وكان مشهوراً بالحلم ورجحان العقل مشهوداً له بالفقه، ففي صحيح البخاري عن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أو تر إلا بواحدة

قال: أصاب، إنه فقيه.

وقد وردت أحاديث متضمنة فضائله، منها ما ورد في مسند أحمد، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر معاوية وقال: اللهم أجعله هادياً مهدياً وأهد به" وروى الترمذي نحوه، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وعلى كل فمن اكتحلت مقلتاه برؤية الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار وهو مؤمن به مصدق لما جاء به ومات على ذلك كفاه ذلك فضلاً وشرفاً.

---

1 - جامع العلوم والحكم لإبن رجب ؛ صحيح البخاري ص6695

2 - صحيح مسلم ص2404 ؛ صحيح البخاري3706

وقد تولى معاوية رضي الله عنه زمام الأمور بحكمة، وقد أدّى دورا أساسياً في حفظ وحدة الدولة الإسلامية في وقت كانت الفتن تضرب الأمة من كل جانب.

موقف أهل السنة والجماعة من الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما:

إن أهل السنة والجماعة ينظرون إلى هذه الأحداث بموضوعية وحكمة، مجتنبين الغلو أو الذم في أي من الصحابة رضي الله عنهم فهم جميعًا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفقاء دربه في السراء والضراء، قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

" قوله: ذكر الأحداث التاريخية بالتفصيل في كتابه "البداية والنهاية"، ولكنه أوضح منهج أهل السنة وهو أن ما حدث كان باجتهاد من الصحابة، وأنهم بين مصيب ومخطئ، والمخطئ منهم معذور ومأجور على اجتهاده. "

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم :

قوله: مذهب أهل السنة هو الإمساك عما شجر بينهم، وإحسان الظن بهم، وأنهم كلهم عدول.

وقد جرى الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما خلافًا سياسيًا يدور حول الخلافة والولاية، ولم يكن خروجًا عن الإسلام أو تكفيرًا لأحدهما، وعلينا أن نأخذ العبرة من هذه الفتن، وأن نحرص على الوحدة والصفح والمودة بين المسلمين.

وقد ورد في الحديث الشريف تحذير من الفتن، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم:

« سيأتِي على الناسِ سنواتٌ خدّاعاتٌ؛ يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائِنُ، ويَخَوَّنُ فيها الأمينُ، وينطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ . قِيلَ : وما الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قال : الرجُلُ التّافِهُ يتَكلَّمُ في أمرِ العامةِ » [1].

فلنأخذ مما مضى عبرة، ولنتمسك بما هو واضح من الدين، ونكون على كلمة سواء، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: **103**].

---

[1] - أخرجه ابن ماجه (4036) واللفظ له، وأحمد (7912) صححه الألباني

خلاصة:

لا يجوز الغلو في حب علي أو معاوية رضي الله عنهما، ولا ذم أحد منهما، فهما من أصحاب النبي الكرام.

الفتنة كانت خلافًا سياسيًا مؤلمًا، وليست سببًا لتكفير أو سب صحابي.

الأمة مطالبة بالحفاظ على وحدة المسلمين، والتعلم من دروس التاريخ لتجنب الفتن.

السياسة الشرعية في الإسلام قائمة على العدل والحكمة والمراعاة، وقد كان الصحابة الكرام خير من طبق ذلك.

ودائما نذكر قول عمر بن العزيز عندما قال:

«"تلك فتنة عصم الله منها سيوفنا فلنعصم منها ألسنتنا". »

ونختم بقول جميل وهو الحذرَ الحذرَ أن يقع في قلب أحدٍ منكم شيءٌ عن علي رضي الله عنه وأرضاه أو ريحانتي محمدٍ صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضي الله عنهما كما لا يقع في قلوبكم شيءٌ في حقّ خال المؤمنين، وكاتب الوحي للرسول الأمين، معاوية رضي الله عنه فليكن شعارُكم كشعار شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال في لاميته:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي *** رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلهِدَايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلاَمَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ *** لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ *** وَمَوَدَّةُ القُرْبِ بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ *** لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

استثمار الشباب وضرورة توجيه طاقتهم

أيها الإخوة، الذي نريد أن نستثمر فيه هو شبابنا، فقد كثُر اليوم من يتحدثون عن الشباب ويعترفون بمقامهم ومقدارهم، ولكن كثيرًا منهم يحيد بالشباب عن موضعهم الصحيح، ويضعهم في غير مكانهم المناسب. أما الإسلام فقد تحدث عن الشباب بصدق ووضعهم في موضعهم الصحيح.

هل منكم من في عمره **19** سنة يستطيع أن يقود رحلة سياحية للحج، يعلم الناس أحكام الحج، ويفتيهم؟ هل نتصور أن يُكلَّف شاب في هذا العمر بهذه المسؤولية العظيمة؟ كيف لشركة سياحية أن

تُعهد لشاب صغير مسؤولية إرشاد أكثر من مئة حاج؟ هذه مسؤولية عظيمة تتطلب العلم والخبرة، فلا يمكن أن يُناط بهذا الواجب إلا أهل أهلٍ له.

هذا هو الأصل في الإسلام، تنشئة جيلٍ يستثمر شبابه في الطاعة والعمل، لأنك في هذه المرحلة من عمرك تعيش درة عمرية ثمينة، وهذا ما حدده النبي صلى الله عليه وسلم حين قال:

"لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسألَ عن عُمُرِه؛ فيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِه؛ فيم فعَلَ فيه؟ وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيم أنفَقَه؟ وعن جِسمِه؛ فيمَ أبلاه؟"[1].

فهذه المرحلة لا تحمل فقط عمرًا يمر، بل طاقة كبيرة ينبغي أن تُوجه في الخير، لا تُترك للانحراف أو الفراغ الذي يؤدي إلى الفساد والشطط.

الشباب والفتن: ضابط الشجاعة والضبط

الفتن تحتاج إلى شجاعة ومروءة وضبط للنفس، كما أن معرفتك بدينك وبشريعته هي التي تحفظك وتحفظ مجتمعك. في زمن الفتن، لا بد من الوعي والهدوء، وليس كل من شعر بالظلم أو الغبن يلزم أن يثور وينتفض، بل يجب تقدير الواقع بحكمة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

" أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، قالَ: أيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في الفِتْنَةِ؟ فَقالَ حُذَيْفَةُ: أنَا أحْفَظُ كما قالَ، قالَ: هَاتِ، إنَّكَ لَجَرِيءٌ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ في أهْلِهِ ومَالِهِ وجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، والصَّدَقَةُ، والأمْرُ بالمعروفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، قالَ: ليسَتْ هذِه، ولَكِنِ الَّتي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لا بَأْسَ عَلَيْكَ منها، إنَّ بيْنَكَ وبيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قالَ: يُفْتَحُ البَابُ أوْ يُكْسَرُ؟ قالَ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ، قالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لا يُغْلَقَ، قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ البَابَ؟ قالَ: نَعَمْ، كما أنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا ليسَ بالأغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقالَ: مَنِ البَابُ؟ قالَ: عُمَرُ.[2]

يعني أن الفتن تُفتح بعد موت عمر رضي الله عنه، وهذا ما حصل فعلاً من يوم مقتل عثمان رضي الله عنه إلى الآن، فالفتن مستمرة في حياة المسلمين، وهذا يتطلب منا وعيًا وحكمة في التعامل معها.

---

1 - أخرجه الترمذي (2417)، والدارمي (554)، والبيهقي في (المدخل إلى السنن)

2 - أخرجه مسلم (144) والترمذي (2258) وابن ماجة (3955)

مواقف من الصحابة حول ضبط الفتن

في معركة الخندق، حين تقدم عمرو بن ود الذي كان من أقوى خصوم المسلمين، تصدى له علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسيفه، ووقف كدرع يحمي المسلمين هذا مثال على البطولة والشجاعة في مواجهة الأعداء.

وكانت القصة عندما قال عمرو بن ود قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ، قال : فإني أدعوك إلى النزال ؛ فقال له : لم يا ابن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك ؛ فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي رضي الله عنه . وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .[1]

أيها الإخوة، شبابنا هم زاد الأمة ومستقبلها، فلا نجعلهم ضحية للفراغ أو الشطط، بل نوجههم بالعلم والعمل الصالح كما أن الفتن مهما عظمت، لا بد من مواجهتها بالحكمة والسكينة، مع الالتزام بأمر الله ورسوله، واعتصامهم.

أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الحق، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ومن شمائل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: القوة وضبط النفس

أيها الإخوة، إذا أردنا أن ندرس شخصية من أعظم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف استطاع أن يكون من أشد الناس قوةً وصلابةً في الحق، لكنه في الوقت نفسه أكثرهم ضبطًا لنفسه؟ كيف كان ذلك الإنسان الذي يواجه الفتن ويتصدى لها دون أن ينجر إلى الغلو أو الفوضى؟

سيدنا عمر رضي الله عنه كان يجمع بين شجاعة الأسد وحكمة الراشد، فكان لا يترك مجالًا للفتنة أن تمر عليه دون أن يردعها بحزم وعقلانية ليس فقط بقوته البدنية، بل بضبط النفس الذي كان يتسم به.

---

[1] - السيرة النبوية لإبن هشام ج2 ص225

قصة إسلامه وصبره على الدعوة

عندما دخل سيدنا عمر رضي الله عنه في الإسلام، كان ذلك من أعظم الفتح الذي انفتح على المسلمين روى لنا التاريخ كيف ذهب إلى بيت أخته

وإليكم بالقصة كما قالها ابن إسحاق رحمه الله :

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام ، رجل من قومه ، من بني عدي بن كعب قد أسلم ، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ،

فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال . وأي أهل بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ؛ قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : طه يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في مخدع لهم ، أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ؛ قال : بلى والله ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ؛ فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ؛ قال : لا تخافي . وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك نجس ، على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : طه فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدرا ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر .

القوة الجسدية والعقلية

كان سيدنا عمر طويل القامة، قوي البنية، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم مسكه من ثيابه، وقد قيل إنه كان أطول أحد من صحابته هذه القوة الجسدية لم تكن غلظة بقدر ما كانت عزماً على إقامة الحق.

لكن هذه القوة لم تجعله يتصرف باندفاع، بل كان أقدر الناس على ضبط نفسه فعندما اعتنق الإسلام، لم يتحول من خصم إلى مبغض، بل أصبح من أشد المدافعين عن الدين والناس.

شجاعة لا تعرف الخوف

في غزوة الخندق، كان من الفرسان الشجعان الذين تصدوا لعمرو بن ود، من أقوى فرسان الأحزاب، وكان له موقف بارز في صد عدوان الأعداء.

وفي يوم الحديبية، حينما عرض المشركون بعض الشروط المجحفة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقف عمر رضي الله عنه وقال:

"لسنا على الحق وهم على الباطل"

لكن النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه بالحكمة واللين، وعلّم عمر كيف يكون الصبر والرفق في مواقف الشدة.

ضبط النفس في مواقف الغضب

كان عمر رضي الله عنه شديد الغضب، ولكن مع ذلك عرف متى يضبط نفسه

المقومات التي جعلت عمر عليه رضي الله وسلم نموذجاً للقيادة

الإيمان القوي والتوحيد الصادق: كان عمر حريصًا على معرفة أسماء الله وصفاته، والتأمل في عظمة الخالق، مما زاده ثباتًا في الدين.

الشجاعة في الحق: لا يخاف في الله لومة لائم.

حسن التخلق وضبط النفس: رغم قوته، لم يكن يسفك الدماء بغير حق، ولم يظلم أحدًا.

العدل والرحمة: كان قاضيًا عادلًا لا يميز بين الناس.

الاستماع والنصيحة: كان يستمع لآراء الآخرين ويأخذ النصيحة، وكان يتواضع حتى مع أصغر الصحابة.

الاستعداد للتضحية: كان يهب نفسه للدفاع عن الدين والمسلمين دون تردد.

درس من غزوة الأحزاب: القوة، الشجاعة، وضبط النفس

أيها الإخوة الكرام، حين نعود إلى غزوة الأحزاب – أو غزوة الخندق – لنرى كيف كانت مواقف الصحابة العظماء في أوقات الفتن والشدائد، نجد دروسًا عميقة في القوة والشجاعة وضبط النفس، التي يجب أن نتعلمها ونزرعها في شبابنا.

وهذا يظهر كيف كان الصحابة يتحلون بالعلاقات الإنسانية رغم الظروف السياسية والحربية الصعبة.

وإليكم بحوار ما بين النبي صلي الله عليه وسلم وعبدالله بن عمرو وهو في مرحلة الشباب :

أما عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقد قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنه : "أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عن بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِن رَجُلٍ؛ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، ولَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذلكَ عليه ذَكَرَ للنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَقالَ: الْقَنِي به، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقالَ: كيفَ تَصُومُ؟ قالَ: كُلَّ يَومٍ، قالَ: وكيفَ تَخْتِمُ؟ قالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قالَ: صُمْ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، واقْرَأِ القُرْآنَ في كُلِّ شَهْرٍ، قالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِن ذلكَ، قالَ: صُمْ ثَلَاثَةَ أيَّامٍ في الجُمُعَةِ، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِن ذلكَ، قالَ: أفْطِرْ يَومَيْنِ وصُمْ يَوْمًا، قالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِن ذلكَ، قالَ: صُمْ أفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ: صِيَامَ يَومٍ، وإفْطَارَ يَومٍ، واقْرَأْ في كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً. فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ وذَاكَ أنِّي كَبِرْتُ

وضَعُفْتُ، فَكانَ يَقْرَأُ علَى بَعْضِ أهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بالنَّهَارِ، والذي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ؛ لِيَكونَ أخَفَّ عليه باللَّيْلِ، وإذَا أرَادَ أنْ يَتَقَوَّى أفْطَرَ أيَّامًا وأَحْصَى، وصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهيةَ أنْ يَتْرُكَ شيئًا فَارَقَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عليه."[1]

هذا يوضح أن للشباب حقًا في التمتع بفترة الشباب، ولكن ضمن حدود الطاعة والعبودية لله عز وجل، وهو توازن حكيم بين العبودية والتمتع بالعيش.

وكذلك نرى شبابًا مثل محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية وهو في سن الحادي والعشرين عامًا، فكان قائداً وعالماً وشجاعًا في آنٍ واحد.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغفل عن أهمية تعليم وتوجيه الشباب فمثلاً، عندما وَلى النبي رضي الله عنهما الصدقات على بعض الصحابة، كان لكل منهم مسؤوليات كبرى، منها عتاب بن أسيد الذي كان يقوم بشؤون الإمارة، وعلي بن أبي طالب الذي كان يقرأ على الناس سورة براءة، وعبد الله بن عباس الذي قال عنه عمر رضي الله عنه: "خذوا العلم عن هذا الغلام، الذي لم تستوِ شؤون رأسه"، مع أنه كان من أفقه الصحابة وأعلمهم.

أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الصديق فأقول وبالله التوفيق :

يا شباب الأمة... إذا ذُكر الثباتُ في زمن الاضطراب، وذُكرت العزيمةُ يوم تتزلزل القلوب، فاذكروا أبا بكرٍ الصدّيق، ذلك الرجل الذي حمل همَّ الرسالة وكأنما خُلِق ليكون سندًا للحقّ لا تهزّه العواصف كان ثابتًا يوم اضطرب الناس، قويًّا يوم ضعفوا، واثقًا يوم ترددوا لم يكن الصدّيق قويًّا ببدنه، بل كان قويًّا بإيمانه، عظيمًا بصدقه، كبيرًا بهمّته، فصار ميزانًا تُوزَن به القلوب، ودليلًا يُهتدى به في أزمنة الفتن.

تعلّموا من أبي بكرٍ أنّ القيادة ليست صراخًا، بل صبرٌ وحكمة. وأن النجاح ليس كثرة الكلام، بل صدق العمل. وتعلّموا أنّ أعظم الرجال هم الذين يعرفون متى يقفون، ومتى يثبتون، ومتى يقدّرون الأمور بميزان الحقّ لا بميزان الهيبة أو الشهرة. لقد حمل الصدّيق همَّ الأمة يوم ارتجّت الجزيرة العربية بعد وفاة النبي ﷺ، فلم يتردد، ولم ينتظر تصفيقًا، بل قام بواجبه، فحفظ الدين، وثبّت الصفّ، وأعاد للأمّة اتزانها.

---

[1] - صحيح البخاري ص5052 ؛أخرجه مسلم (1159) باختلاف يسير

أيها الشباب... إن كنتم تبحثون عن قدوة تُعيد إلى قلوبكم معنى الرجولة، فانظروا إلى قلب أبي بكر؛ قلبٍ امتلأ رحمة، لكنه لم يضعف، وامتلأ لينًا، لكنه لم ينكسر. كان دموعُه قريبة، لكن عزيمتَه أبعد ما تكون عن الهزيمة.

إنّ أمّتكم اليوم تحتاج إلى صدّيقٍ في كل بيت؛ شابٍّ صادقٍ مع نفسه، ثابتٍ على مبادئه، شجاعٍ في اتخاذ قراراته، لا يبيع قناعاته بثمن، ولا يساوم على حقّه ولا على دينه. تحتاج إلى شبابٍ يعرفون أنّ الصدق ليس كلمة تُقال، بل طريقٌ طويل يبدأ من داخلك، وأنّ الثبات ليس شعارًا، بل موقفٌ يوم تُختبر القلوب.

فتشبّهوا برجلٍ صنع الله به أمة، وأعاد للأرض ضياءها بعد أن كادت تُظلم... وكونوا أنتم امتدادًا لذلك النور؛ نور الصدق، نور الثبات، نور العزيمة التي إذا سكنت القلوب رفعت صاحبها إلى مراتب العظماء.

وهنا نصل إلى درس مهم من ابن القيم رحمه الله، الذي بيّن أن أعداء الله – منهم الرافضة (الشيعة الإثناعشرية) – يزعمون عزل علي رضي الله عنه، وهذا اتهام باطل وافتراء على الصحابة الكرام إذن فالقوة الحقيقية هي في الحق، والحق هو ما قام عليه عمر رضي الله عنه، الذي قال عندما أسلم: "السن على الحق وهم على الباطل"، وكان قوياً في نصرة الإسلام، متزناً في تصرفاته.

فعندما أراد عمر أن يعلن الإسلام للناس ويقوي دعائم الدين، قال: "لنستعلم بديننا، يا رسول الله"، أي لنعلن الدين وندافع عنه، وهذه القوة مع الانضباط هي سر نجاح الدعوة ونجاح الأمة.

ابن القيم وأدبه في الحوار مع أهل العلم والمبتدعة

ابن القيم رحمه الله يتميز بذكاء فريد في التعامل مع أهل العلم والمبتدعة، فهو يدافع عن الحق بقوة وصراحة، لكنه يزن الكلام ولا يبالغ في الهجوم إلا حيث تستدعي الحاجة، ويعرف كيف يفرق بين أهل العلم الحقيقيين ومن ابتدع البدع.

في كتاباته مثل "زاد المعاد" وغيرها، يحكم ابن القيم بين العلماء بمنتهى الحكمة والاحترام، أما عند المبتدعة فلا هوادة معهم، فهو صارم في كلامه معهم، لأنهم يشوهون الدين ويضرون الأمة، ولكن ذلك كله في إطار تبليغ الحق لا تجريح بغير ضرورة.

التعامل مع الفرق مثل الرافضة (الشيعة الإثناعشرية)

ينبه ابن القيم إلى ضرورة فهم الفرق بين الفرق الإسلامية، حيث لا يجوز إطلاق أحكام عامة مطلقة على جميع أتباع فرقة معينة، بل هناك فرق بين رأس الدعوة (القادة) وبين الأتباع، وبين المتعمدين وبين المغرر بهم.

كما أنه يحذر من التشبه والتقليد الأعمى الذي قد يؤدي إلى تضليل الناس، مثل تشبيه الخميني بعمر بن الخطاب، وهو أمر مردود شرعاً وعقلاً، فمثل هذه المزاعم تستغل لتشويه التاريخ والدين.

الأدب مع المبتدعة وأهل البدع

يورد ابن القيم وأمثاله من العلماء السابقين أقوالاً كثيرة حول كيفية التعامل مع المبتدعة، منها قول الفضيل بن عياض: "مَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، أي يجب أن يكون التعامل معهم بحزم دون مداهنة.

لكن في المقابل لا يعني هذا أنه يجب قطع الدعوة أو الغلظة المفرطة بلا مصلحة، بل الأمر يحتاج إلى توازن، فلا بد من العلم والتثبت، وحسن الأدب مع المخالفين مع بيان الحق، وعدم التصعيد غير الضروري.

نصيحة عملية قالها الشيخ حفظه الله :

1 – لا تحكم على الناس أو الفرق كلها بما يفعل رأسها أو فئة صغيرة منهم.

2 – اعرف الفرق بين من يدعو إلى البدعة وبين من يتبعها بلا علم.

3 – لا تقع في شرك التعميم والغلظة التي تضر بالدعوة.

4 – اتخذ الحكمة في البيان والرفق مع المخالفين في حدود الثوابت.

5 – التفريق بين أهل العلم الصالح وأهل البدع من أساسيات الحفاظ على الدين والشريعة.

6 – احرص على سلامة القلب وصفاء النفس مع قوة التمسك بالحق.

ابن دقيق العيد وأثر الظلم باللسان:

الظلم باللسان (كالغيبة والبهتان) هو من أعظم الذنوب التي تُؤدي إلى النار، لأنها تزرع البغضاء والفتنة بين الناس.

كلما ذم أحدٌ غيره بلسانه، أو نسب له البدعة، قد يؤثر هذا على حياة الآخر ويورث البغضاء بين الناس. (انتهي)

س : نصيحة للشباب بخصوص المكالمات مع الفتيات:

الحديث مع النساء عبر الهاتف أو غيره بدون ضرورة شرعية قد يؤدي إلى مشاكل نفسية وروحية.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ."[1]، ويجب أن يكون بين الرجل والمرأة "حائط صد" يمنع الفتنة.

الزواج هو الحلال الذي شرعه الله لتلبية هذه الحاجة بطريقة سليمة، وتعدد الزوجات جائز بشروط، لكنه ليس سببًا للتهاون في الحلال أو التعلق بالحرام.

1. الفطرة الحنيفة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

" إني خلقتُ عبادي حنفاءَ فاجتالتْهم الشياطينُ فحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطانًا "[2] ؛ أي أن الإنسان خُلق بطبعه وميله الطبيعي نحو التوحيد والإيمان بالله وحده لا شريك له هذه الفطرة هي الأصل التي جبل الله عليها الإنسان.

2. انحراف الفطرة بسبب الشياطين والمعاصي:

ولكن جاءت الشياطين فأجتالت هذه الفطرة وحولتها، فالمعاصي والذنوب تزيغ الفطرة وتبعد الإنسان عن مسارها الصحيح، فيصبح بعيدًا عن توحيد الله.

3. أثر الانحراف على الواقع الاجتماعي:

في المجتمعات التي فتحت أبوابها للرذائل، تجد الرجل متزوجًا لكنه يعيش علاقات محرمة مع نساء أخريات، ويعتبر هذا أمرًا طبيعيًا، حتى إن الزوجة نفسها قد لا تعترض.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

" إِنَّ المرْأَةَ إذا أقبلَتْ ، أقبلَتْ فِي صورةِ شيطانٍ ، فإذا رأى أحدُكُمْ امرَأَةً فأعْجَبَتْهُ ، فَلْيَأْتِ أَهَلَهُ ، فإِنَّ الَّذِي مَعَها مِثْلَ الذي مَعَها."[3]

أي: لا يكفي الزواج وحده لضبط النفس، بل يجب تجنب النظر المحرم حتى لا يتوسع الانحراف.

---

[1] - أخرجه البخاري (5096)، ومسلم (2740)

[2] - أخرجه مسلم (2865)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8017)، وابن حبان (653)

[3] - أخرجه مسلم (1403)

4. الصراع مع الهوى وأهمية ضبط النفس:

كثير من الشباب المتزوج يعاني من أهواء تسيطر عليه مثل العادة السيئة رغم وجود الزوجة، وهذا دليل على ضعف السيطرة على النفس وحاجة إلى الصبر والعزيمة القوية.

5. العزيمة والصبر أفضل وسائل التهذيب:

قال ابن الجوزي:

"ليس في سياط التهذيب أجود من صوت العزم."

فالتفرقة بين من يسارع في الهوى ويهلك نفسه، وبين من يصبر ويمسك زمام نفسه في لحظة ضعف ثم ينتصر على نفسه.

6. التوبة وحماية الفطرة:

مع كثرة الطاعات والتقرب إلى الله، تنقي النفس وتعود الفطرة إلى صفائها ونقائها، أما إذا استسلم الإنسان للمعاصي، فإنه يلوث نفسه روحيًا ويعيش في ذل وهوان.

7. نصيحة للشباب:

أ – ضبط النفس والبعد عن المحرمات شرط لا غنى عنه لاستقامة الدين.

ب – الصبر على الشهوات ومقاومة الوساوس طريق النجاح في الدنيا والآخرة.

ج – الالتزام بالشريعة أمر ضروري لتحقيق السعادة والرضا.

س : الفقه وأصوله:

الفقه الحقيقي يُؤخذ من كتب المذاهب التي تعتمد على الدليل الشرعي والتفصيل في الأحكام مثل:

"المجموع" للإمام النووي

"المغني" لابن قدامة

"المبسوط" للسرخسي

دراسة الفقه تحتاج إلى حفظ المتون والتمكن من فهم أدلتها، مع احترام المذاهب ومناقشة المسائل وفقًا للضوابط الشرعية.

شرح موجز وممتع من كتاب "صور من حياة التابعين" للدكتور عبد الرحمن رافت الباشا

أهمية الكتاب وأسلوبه:

دائمًا أنصح بكتاب "صور من حياة التابعين" للدكتور عبد الرحمن رافت الباشا، لأنه يقدم السيرة بطريقة قصصية تجعل القارئ يعيش الأحداث وكأنها مشاهد حية.

يُبرز الدكتور عبد الرحمن في سردِه التفاصيل الصغيرة التي تُضفي جمالًا على القصة، فتجد القارئ مستمتعًا ومتعلمًا في آنٍ واحد.

مثال من حياة الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

في كتب السير تجد وصفًا مختصرًا مثل:

"خرج ابن مسعود رضي الله عنه ليقرأ على قريش، فاضطروه للضرب حتى عاد لونه أحمر."

لكن الدكتور عبد الرحمن يرسم الصورة بدقة:

"في صباح صافٍ نقيّ، خرج غلام يافع يمشي بخطوات متباطئة نحو المجلس الذي يجلس فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتفوح منهم روائح المسك..."

هذه الطريقة تُشعر القارئ بحالة المكان وروح الصحابة، فتصبح القصة أكثر تأثيرًا وواقعية.

وأيضا قصة اليمامتين وعمرو بن العاص:

في إحدى قصصه، يحكي مصطفي صادق الرافعي في كتابه وحي القلم عن دخول عمرو بن العاص لمصر، وتداخل الأمر بين "اليمامتين" (الأماكن المزدحمة) والنزاعات بين القادة.

في الروايات التقليدية تُختصر القصة بكلمات قليلة، لكن الرافعي يُطيل في الوصف، يُظهر الأحداث بعمق وأبعاد اجتماعية وسياسية، مما يساعد على فهم أوسع.

تعلّم من طريقة السرد:

تعلم كيف تستخدم الألفاظ الجميلة والمعبرة.

عِش تفاصيل القصص وكأنك جزء منها.

من خلال هذا الأسلوب، تستطيع أن تحب الصحابة والتابعين، وتتعلم سيرتهم بطريقة تجعلها حية في ذهنك.

أثر هذا الأسلوب على القارئ:

عندما تتعلم بهذه الطريقة، تصبح سير الصحابة والتابعين ليست مجرد أسماء أو أحداث جافة، بل حياة نابضة وأمثلة تقتدي بها.

يمكن أن تُلهمك هذه القصص في حياتك اليومية، فتذكر مثال عبد الله بن مسعود حين يخرج في الصبح مع الهواء العليل، وتفكر في التزام الصحابة وعلاقتهم بالله.

جزاكم الله خيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(7)

باب

كيف نطبق الشريعة علي منهج الرسول ﷺ
والانضباط علي سيرة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله رب العالمين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وآله، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وأزواجه وذريته وآله كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

في الحقيقة، لا يستطيع المرء أن يمر بما سمع من آيات إلا ويعلق عليها بتعليق: اجتنب المعاصي يا إخواني.

فإن هذه النار المشؤومة التي سمعتم عن هيئتها المشوهة، ما كانت إلا بسبب المعصية ، والله عز وجل لم يزل يلوم الذين يصرون على مخالفته، وهو يؤمنهم من ناحيه التعذيب، لكن إذا كانوا على الصراط المستقيم، قال الله عز وجل:

" مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ "{النساء - (147)}

أي أصلحتم العمل دل ذلك على أننا لم نشكر الله ولا آمنّا حق الإيمان.

فلما عبث المرء في حياته، والآن الإخوة يتحدثون عن الأجازة كوقت فراغ زمان مشايخنا كان بعضهم يقول: "لو حد يبيع وقت، أنا أشتري منه وقت فراغ."

قد تسأل: ما الذي ستفعل به هذا الوقت؟

بالفعل نحن محتاجون لتنظيم الوقت.

لكن علينا أن نعرف أن هذا الوقت هو حياتك، فهل أنت مدرك لذلك أم لا؟

ينقطع المرء في حياته وهو لا يشعر إلا بزفير النفس الأول هو الشهيق، ثم الزفير، فعندما ترى منظرًا مخيفًا تشهق شهيقًا قويًا.

أما النار التي نتحدث عنها، فهي مولعة من الداخل والخارج، وهذا ما يجعلها مرعبة نسأل الله أن ينجينا بعفوه ورحمته.

أتذكر الميثاق الأول:

" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ " {الأعراف-(172)}

هل نتذكر هذا الميثاق؟

لكن عندما يأتي يوم القيامة، سيكون البصر حديداً، والذاكرة حديداً، والقلب كذلك.

في ذلك اليوم، يتندم الإنسان ولا ينفعه الندم.

إخوتي، نحن الآن في فسحة من الزمن.

كان بعض السلف يحفر قبراً في بيته، ينزل فيه ثم يغطيه، ينادي: "رب اعدني! رب اعدني!" ويبكي حتى يبلل قبره، ثم يخرج جالسًا على شفير القبر قائلاً:

"يا نفس، ما تريدين؟ تريدين الرجوع؟ ما تتمنين؟ تتمنين الرجوع؟"

هذه هي أماني أهل النار، أما نحن فأمام فرصة لا يجب أن نضيعها.

أيها الإخوة، ينبغي أن نعزم الآن على التوبة، نسأل الله أن يتوب علينا توبة ترضيه، وأن يجعلها ساعة إجابة وساعة توبة

ثانيًا، أريد أن أبدأ بالحديث عن بعض خصوصيات سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وبالتحديد حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد :

فمنهم سعدُ بن معاذ، حرسه يومَ بدر حين نام في العريش، ومحمد بن مسلمة حرسه يوم أُحد، والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق. ومنهم عبَّاد بن بشر، وهو الذي كان على حرسه، وحرسه جماعة آخرون غير هؤلاء، فلما نزل قوله تعالى: {وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:67]

خرج على الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس.

ثم يكمل قالاً كان بلال على نفقاته، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدَّوسي على خاتمه، وابنُ مسعود على سواكه ونعله، وأذن عليه رباح الأسود وأنسة مولياه، وأنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري.

ويكمل الشيخ حفظه الله قالاً :

نحن نريد أن ننجز ونفيد، وليس هناك شيء اسمه أن "كل الناس يفعلون كل شيء"، أو "كل الناس يفهمون كل شيء"، أو "كل الناس يتكلمون في كل شيء". هذا ما يسعى الإعلام اليوم إلى فرضه؛ أن يقول كل واحد كل شيء، لكي نصل إلى حالة من الفشل في كل الأمور.

أما عن شعراء الإسلام وخطباءه، كان من شعرائه الذين يَذبُّون عن الإسلام: كعبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رواحة، وحسَّان بن ثابت، وكان أشدَّهم على الكفار حسانُ بن ثابت وكعبُ بن مالك يُعيِّرهم بالكفر والشرك، وكان خطيبَه ثابت بن قيس بن شمَّاس.
ومن هنا لا يصح أن نأخذ شريطًا لأنشودة إسلامية ونجدها تُطبل وتستخدم أدوات مثل الطبل أو الدف، ولا يوجد دليل خاص على ذلك، ولكن هناك من يستخدم الدف في الأذان والصلاة.

أما بخصوص الموسيقى، فالاختلاف بين العلماء فيها غير معتبر، أي أن الخلاف فيها ليس له حظ من النظر والغناء من حيث كونه كلامًا، فيه سجال بين أهل العلم، وقد يكون الكلام غير ضار بالعقيدة. فهناك فرق بين إنسان يقول: "اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا صدقنا ولا صلينا" وآخر يقول كلامًا غير مناسب.
وأما الموسيقى التي تُستخدم في الغناء، فهذا خلاف غير معتبر عند العلماء، كما عبّر ابن عبد البر رحمه الله بأن صحت السنة فلا خلاف في ذلك، والمسألة أصبحت إجماعًا على أن مخالفة السنة في ذلك بلا دليل.
أما الأحاديث التي تذكر أن الصحابة كانوا يضربون على العود أو على غيره فهي ضعيفة ولا تصلح للحجة.
وعندنا قوله النبي ﷺ :
{ ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ ولَينزلنَّ أقوامٌ إلى جنبِ عَلَمٍ يروحُ عليهم بسارحةٍ لهم تأتيهم الحاجةُ فيقولون ارجعْ إلينا غدًا فيُبَيِّتُهم اللهُ ويضعُ العِلمَ ويَمسخُ آخرين قِردةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامةِ }[1] والتي توضح تحريم المعازف وهي آلاتُ اللَّهوِ والموسيقا .

[1] - أخرجه البخاري ص (5590)

فلا يجوز سماع المعازف، أيها الإخوة.

وأريد أن أخفف عنكم، وأقول لكم كيف كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يذهب عن نفسه انظروا إلى شعرائه الذين كانوا يذودون عن الإسلام: كعب بن مالك، عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت. وكانوا أشد الناس على الكفار، حيث كان حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعيران الكفار بالكفر والشرك.

هذه من مقتضيات الإسلام العقدية، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث بدعوة مضادة، ليست فقط صالحة في ذاتها، وإنما مضادة لما كان عليه الناس من عبادة النجوم والأصنام وغيرها.[1]

أيها الإخوة، أصل الإشكال اليوم أن الأصول قد ذهبت، وليست الفروع.

من الأصول أن الإسلام كان دعوة مضادة. لما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – كان الناس يموتون في الكفر، وكان منهم من يعبد النجوم، والكواكب، والشعراء، والأصنام ، والجن .

هل حسستم أن أحدًا منهم خالف الآخر؟ لا، لأن كل ذلك باطل، فلم يكن هناك قضية إنكار، لأن كل شيء كان باطلًا.

لكن حين يأتي الحق، ماذا يفعل؟ ينكر عليك، ويقول لك: "أرني الدليل"، وهذا هو الفرق.

علم المناظرة ودراسة الأديان من صلب هذا الدين، ولكن لأهل التخصص، لا لكل من جلس أمام شاشة أو هاتف وبدأ يرد ويجادل.

فالنبي ﷺ لم يكن دينه صلاةً وصيامًا وزكاةً وتوحيدًا فحسب، بل كان دينه قائمًا على الولاء والبراء، على أن توالي من والى الله، وتعادي من عاداه قال الله تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [الممتحنة: **4**].

وقد أنكر النبي ﷺ على من عبد غير الله، وبين ضلالهم، قال الله عز وجل في تحقير آلهة المشركين: { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (**19**) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ } [النجم: **19-20**].

---

[1] – وانتهي كلام الشيخ حفظه الله بأن الأغاني تطبع علي القلب وتُشعل النفس ؛ وبإذن الله سوف أذكر في آخر الكتاب كلام طيب عن هذا الحديث وبالله التوفيق والسداد .

ثم لم يذكر مدحًا ولا تعظيمًا، بل أتبعه بقوله:

{ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ } [النجم: 21-22]

في تهكم وسخرية من منهجهم الفاسد.

لقد واجه النبي ﷺ الكفر مواجهة صريحة، حتى قال المشركون: «لقد سفَّه محمدٌ أحلامنا»، وتمنوا أن يُلين لهم، وأن يداهنهم، فأبى قال تعالى:

{ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } [القلم: 9]، لكن النبي ﷺ ما داهنهم يومًا.

وفي التفسير الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله :

{ وَدُّوا }- أي: المشركون { لَوْ تُدْهِنُ }- أي: توافقهم على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، { فَيُدْهِنُونَ } ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه.

وعن ابن عباس أيضا : ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك .

وقال مجاهد : المعنى ودوا لو ركنت إليهم وتركت الحق فيمالئونك .

وهكذا من صميم هذا الدين أن يُبيَّن فساد العقائد الأخرى، ما لم تكن هناك مفسدة أكبر، كما قال تعالى:{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: 108]، فإن خُشي من السب مفسدة أعظم، كان الكف أولى.

أما إن لم تكن هناك مفسدة، ففضح الباطل واجب شرعي، لأن فيه نصرة للحق ودعوة للهدى.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح:

« مَن بدَّلَ دينَه فاقتُلوهُ »[1] ، وهو دليل على أن الردة جريمة في هذا الدين ،

لأنها طعنٌ في الحق، لا مجرد اختلاف رأي .

وليس هذا كمن يترك الباطل إلى الحق، فمن ترك الكفر وآمن، نُعظِّمه ونفرح بإسلامه، أما من خرج من الإسلام إلى غيره، فقد طعن في دين الله، ولذا فإن الشرع أقام عليه حد الردة.

---

[1] - [أخرجه البخاري (3017)]

وقد أجمع العلماء على هذا الحد، كما نقل ذلك ابن قدامة في "المغني"، والنووي في "شرح مسلم"، وغيرهما.

فمن أبجديات الإسلام: إنكار الشرك، والبراءة من أهله، وفضح الباطل، وإظهار عواره، لا مداراة له، ولا مجاملة.

وهذا كله جزء من الولاء لله، ومن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إن الاستماع إلى الشعر والحداء قد يكون وسيلة لترقية القلب وتهيئته لتذوق معاني القرآن فإن القلب أحيانًا لا يكون في حالة من الصفاء تجعله يتفاعل مباشرة مع آيات الله، فإذا سمع شعرًا يثير فيه الحماسة أو يستنهض فيه الإيمان، رقّ قلبه، ثم إذا تلا القرآن بعد ذلك، وجده أبلغ تأثيرًا في نفسه، وأعمق وقعًا في فؤاده.

فلو أن إنسانًا سمع مثلًا نشيدًا صادقًا يحكي عن مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك، أو في الشيشان، أو غيرها من بلاد الجراح، ثم قرأ بعد ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: **111**]، فإن الآية تهزّه، وتوقظ فيه روح البذل والعطاء لله عز وجل ، فليس الغرض من الشعر مزاحمة القرآن، ولا أن يحل محله، بل أن يكون وسيلة تُعين النفس على التفاعل مع كلام الله.

لكن يشترط في هذا أن يكون ما يسمعه من الشعر أو النشيد مما يخدم الدين، ولا يُضعف العزائم، أو يبعث على اللهو الفارغ فليس الأمر كأُنشودةٍ تُتلى في عرس أو لهوٍ بلا ضوابط، وإنما هو شعرٌ يوقظ النفوس، ويبعث الحمية، ويشحذ الهمم، كما كان يفعل شعراء النبي ﷺ.

تأمّل معي هذا الموقف النبوي العظيم: اشتهر كعب في الجاهلية، ولما بَزَغ فجر الإسلام وقف موقفًا معاديًا، فهجا النبي محمد ﷺ، وتمادى في تشبيب نساء المسلمين، مما دفع النبي إلى هدر دمه. إلا أن كعب عاد إلى رشده، فقدم إلى النبي ﷺ مُسلِمًا تائبًا، وأنشده لاميته الشهيرة التي مطلعها: "بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ" فعفا عنه النبي ﷺ فانظر كيف كان النبي ﷺ ينصت للشعر إذا كان في موضعه، حتى لو جاء من رجل كان خصيمًا له بالأمس.

وإليكم بالديوان والقصيدة الجميلة [1] :

---

1 ـ بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ ... مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا ... إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ
هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً ... لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ
تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلمٍ إِذا اِبتَسَمَت ... كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ
شُجَّت بِذي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحنِيَةٍ ... صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُوَ مَشمولُ
تَجلو الرِياحُ القَذى عَنهُ وَأَفرَطَهُ ... مِن صَوبِ سارِيَةٍ بيضٍ يَعاليلُ
يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت ... ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ
لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها ... فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ
فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها ... كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ
وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت ... إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ
كانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً ... وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ
أَرجو وَآمُلُ أَن يَعجَلنَ في أَبَدٍ ... وَما لَهُنَّ طِوالَ الدَهرِ تَعجيلُ
فَلا يَغُرَّنكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت ... إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ
أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها ... إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ
وَلَن يُبَلِّغَها إِلّا عُذافِرَةٌ ... فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ
مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إِذا عَرِقَت ... عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ
تَرمي الغُيوبَ بِعَينَي مُفرَدٍ لَهِقٍ ... إِذا تَوَقَّدَتِ الحُزّانُ وَالميلُ
ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعمٌ مُقَيَّدُها ... في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ
حَرفٌ أَخوها أَبوها مِن مُهَجَّنَةٍ ... وَعَمُّها خالُها قَوداءُ شِمليلُ
يَمشي القُرادُ عَلَيها ثُمَّ يُزلِقُهُ ... مِنها لَبانٌ وَأَقرابٌ زَهاليلُ
عَيرانَةٌ قُذِفَت في اللَحمِ عَن عُرُضٍ ... مِرفَقُها عَن بَناتِ الزورِ مَفتولُ
كَأَنَّ ما فاتَ عَينَيها وَمَذبَحَها ... مِن خَطمِها وَمِنَ اللَحيَينِ بَرطيلُ
تَمُرُّ مِثلَ عَسيبِ النَخلِ ذا خُصَلٍ ... في غارِزٍ لَم تَخَوَّنهُ الأَحاليلُ
قَنواءُ في حُرَّتَيها لِلبَصيرِ بِها ... عِتقٌ مُبينٌ وَفي الخَدَّينِ تَسهيلُ
تَخدي عَلى يَسَراتٍ وَهيَ لاحِقَةٌ ... ذَوابِلٌ وَقعُهُنَّ الأَرضَ تَحليلُ
سُمرُ العُجاياتِ يَترُكنَ الحَصى زِيَماً ... لَم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكمِ تَنعيلُ
يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِماً ... كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَرِقَت
وَقالَ لِلقَومِ حادِيهِم وَقَد جَعَلَت ... وَرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا
شَدَّ النَهارُ ذِراعاً عَيطَلٍ نَصَفٍ ... قامَت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ
نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَينِ لَيسَ لَها ... لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ
تَفري اللِبانَ بِكَفَّيها وَمِدرَعِها ... مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها رَعابيلُ
يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم ... إِنَّكَ يا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ
وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنتُ آمُلُهُ ... لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشغولُ
فَقُلتُ خَلّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ ... فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ
كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ ... يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ
أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني ... وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ
مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال ... قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ
لا تَأخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم ... أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ =
= لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ ... أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ
لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ ... مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللَهِ تَنويلُ

ومن أبلغ ما قيل في بيان أثر الشعر النبيل وتأثيره، ما نزل في سورة العاديات، تلك السورة المكية التي أقسم الله فيها بالخيل العادية في ساح الوغى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: 1-3].

الضبح: هو صوت أنفاس الخيل عند الجري الشديد، والقدح: ما ينتج من الشرر حين تضرب الحوافر الحصى، فتقدح النار، في مشهد حربي يوحي بالقوة والحسم.

تخيل العربي الذي يحب الخيل ويفخر بها، كيف تهزه هذه الكلمات حين يسمعها، فيشتعل في نفسه الحماس لدين الله، ويتوقد قلبه استعدادًا للبذل والتضحية ، فالعربي بطبعه يحمل صفات خُلقية تؤهله لنصرة الحق، كالكرم، والنجدة، والغيرة على العرض، والاستجابة السريعة للنداء الحق.

نذكر كذلك حين نسمع عن جهاد أهل الشام، وعن المجازر في سوريا وفلسطين والسودان، وكيف تصبر النساء والأطفال على القصف والدمار، يجب أن يُثير ذلك فينا حميّة الدين، وشعورًا بالأخوّة، ودعاءً متواصلاً أن يرفع الله عنهم.

إن من شمائل المؤمن أن يكون على استعداد دائم، فإن دُعي للجهاد لبّى، وإن دُعي للصلاة خشع، وإن دُعي للتضحية استجاب.

وقد رأينا ذلك في رسول الله ﷺ حين خرج الناس مذعورين لصوتٍ هزّ المدينة، فوجدوه قد سبقهم إلى الخطر، وهو على فرسٍ بلا سرج، يُطمئنهم: «لم تراعوا، لم تراعوا».

مازلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُذَّرِعاً ... جُنحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ
حَتّى أَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ ... في كَفِّ ذي نَقَماتٍ قيلُهُ القيلُ
لَذاكَ أَهيبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ ... وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ
مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءِ الأُسدِ مُخدِرَةً ... بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ
يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَينِ عَيشُهُما ... لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ
إِذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ ... أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ
مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضامِرَةً ... وَلا يَزالُ بِوادِيهِ الأَراجيلُ
وَلا يَزالُ بِوادِيهِ أَخو ثِقَةٍ ... مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرسانِ مَأكولُ
إِنَّ الرَسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ
في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم ... بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَموا زولوا
زَالوا فَما زالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ ... عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ
شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ ... مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ
بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ ... كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ
يَمشونَ مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ... ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ
لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ ... قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا
لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ ... ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ

فالاستعداد الدائم، والحماسة المنضبطة، والهمّة الحاضرة، من صفات المؤمن.

ومن هذا الباب يمكن أن تُسمع الأناشيد الحماسية، بشرط أن تكون منضبطة، وألا تطغى على القرآن في التأثير، ولا تضعف حرارة القلب عند تلاوة كلام الله فليس من المقبول أن تدمع العين عند سماع نشيد، بينما إذا تُلي القرآن لم يتحرّك القلب.

ومن جميل ما قيل، أن الإمام الغزالي ربما قصد بكلامه أن هذه الوسائل تهيئ النفس للترقي، لا أن تكون بديلًا عن الوحي.

أيها الإخوة، نذكّركم في ختام هذا المجلس بالدعاء للشيخ الفاضل أبي إسحاق الحويني، فهو من رموز هذا العصر في العلم والبلاغة والغيرة على الدين، فإن لم تستطع أن تعوده، فلا أقل من أن تدعو له بظهر الغيب، أن يشفيه الله شفاء لا يغادر سقمًا، وأن يرفع منزلته في الدنيا والآخرة. [1]

يا إخوة الإيمان، اعلموا أن الفِراسة الحقيقية إنما تكون من زيادة الإيمان وتقوى القلب، لا من الخيالات والأوهام كما يروج بعض المتصوفة ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الفِراسة تكون بحسب قوة الإيمان، ومن أعظم الناس فراسةً رسولُ الله ﷺ، إذ كانت تقواه أكمل ما تكون، فكانت فراسته كذلك، حتى إنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه." فالفراسة إذًا ليست ضربًا من الكرامات المزعومة ولا حِيلاً من الصوفية، بل نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن، جزاءً لتقواه وصدقه .

أما ما يُروى من حكايات وخرافات عند بعض المتصوفة، فباطل مردود كأن يُقال إن رجلًا كان يزني، ثم خرج يعدو مسرعًا، ولم يغتسل، فلما رآه الناس على هذه الحال قالوا للوليّ الأكبر عندهم: هذا الرجل وقع في الزنا وخرج عاريًا، فكان جواب "الوليّ" عندهم: "إن الكريم إذا وهب لا يُسأل عن السبب..." ونحو ذلك من الكلام الفارغ، الذي لا سند له في الشرع، ولا يصدر إلا عن جهل بالدين وتعدٍّ على حدود الله.

---

[1] ـ أقول وبالله التوفيق ويا للأسى الذي ينساب في القلب كلما ذُكِر الشيخ الجليل أبو إسحاق الحويني – شفاه الله ورفع درجته – فقد كان، ولا يزال، من تلك القامات التي تُشعر الأمّة بطمأنينةٍ ما دام صوتها قائمًا، وعلمها متدفّقًا، وحرصها على عقيدة المسلمين لا يخبو. وإنّ الوعكة التي ألمّت به كشفت لنا كم كنّا نتكئ على علمه من حيث لا نشعر؛ فغياب صوته – ولو لحين – كغياب سراجٍ طالما أنار الطريق، فإذا أطبق عليه التعب خيّم في القلب شيء من الوحشة، وشيء من خوف الفقد.

وإنّا إذ نذكره هنا، فإنما نُسجّل حزنًا لا تُخطِئه القلوب، وألمًا يقطر من شعور الأمّة حين يغيب عنها عالمٌ من حُرّاس الحديث، ورجلٌ كان للسنّة درعًا، وللبصيرة منارة. نسأل الله أن يعجّل برفع البلاء عنه، وأن يكتب له من العافية ما يُعيد لطلاب العلم ابتسامهم، وللمجالس بهاءها، وللقلوب سكينتها.

أما أولياء الله الصادقون، فكانوا يرون أن المعصية تحجبهم عن طاعة الله

قال سفيان الثوري رحمه الله: "إني لأعصي الله فأُحرم قيام الليل سنة كاملة." وهذا الذنب – على علوّ مكانته – قد يكون في نظرنا بسيطًا، لكنه عندهم عظيم، إذ إنهم يعرفون قدر ربهم.

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: "إن المعصية تُضعف القلب، وتحجب عن الطاعة." فشتّان بين فراسة المؤمن الناتجة عن النقاء، وبين أوهام الصوفية التي تقوم على الخرافة والغلو.

و هُنا أحد الإخوة يسأل سؤال للشيخ حفظه الله :

وفي خضم الحديث، ورد سؤال عجيب من أحد الإخوة مازحًا: هل أنت مع مرسي أم أبو الفتوح أم أبو تريكة؟! وذاك من باب المزاح لا أكثر.

ثم إن أحد الإخوة قال: الوضع تدهور كثيرًا، والناس بدأت تحمّلنا المسؤولية، وتقول إنكم لم تفعلوا شيئًا! بل وصل ببعضهم أن يواجه أحد الدعاة قائلًا: "الله يخرب بيتكم!"

نعم، الناس ضاقت بها الأحوال، وهذا لا يُنكر لقد تسابقنا يوم دخلنا البرلمان، وقلنا نُصلح ما استطعنا. لكن البرلمان –كما تعلمون – جهة تشريعية، أما الجهة التنفيذية شئ آخر، وإن كتبتَ لهم من القوانين ما شئت، فلن يُنفذوا إلا ما أرادوا، ولن تجد الإصلاح سهلًا في جوٍّ مملوء بالمكر والفساد.

فالسياسة، إن لم تكن منضبطة بالشرع، انقلبت إلى لعب قذر، كما يقول بعضهم. لهذا يجب أن نرجع بالسياسة إلى "النفق الشرعي"، لأن كل حركة في حياة المسلم يجب أن تكون تحت ظل الشرع.

وقد كنا نحتاج إلى موقف صادق مثل بيعة العقبة، وهو يروي لنا جابر بن عبدالله رضي الله عنه :

« أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم لَبِثَ عَشْرَ سِنينَ يَتْبَعُ الحاجَّ في مَنازِلِهم في المَوسِمِ ومِجَنَّةَ وعُكاظَ، وبمَنازِلِهم بمِنًى يقولُ: مَن يُؤْوِيني؟ مَن يَنصُرُني؟ حتى أُبَلِّغَ رِسالاتِ ربِّي وله الجَنَّةُ؟ فلا يَجِدُ أحَدًا يَنصُرُهُ ويُؤْوِيه، حتى إنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِن مُضَرَ، أو مِن اليَمَنِ، إلى ذي رَحِمِه، فيَأْتيه قَوْمُه، فيَقولون: احْذَرْ غُلامَ قُرَيشٍ لا يَفتِنُكَ، ويَمشي بَينَ رِحالِهم يَدعوهم إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ يُشيرون إليه بالأصابِعِ، حتى بَعَثَنا اللهُ عَزَّ وجَلَّ له مِن يَثرِبَ، فيَأتيه الرَّجُلُ فيُؤمِنُ به، فيُقْرِئه القُرآنَ، فيَنقَلِبُ إلى أهلِهِ، فيُسلِمون بإسْلامِه، حتى لم يَبقَ دارٌ مِن دُورِ يَثرِبَ إلَّا فيها رَهْطٌ مِن المسلِمين يُظهِرون الإسلامَ، ثُمَّ بَعَثَنا اللهُ عَزَّ وجَلَّ، فأْتَمَرْنا، واجتَمَعْنا سَبْعون رَجُلًا منَّا، فقُلْنا: حتى متى نَذَرُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم يُطرَدُ في جِبالِ مكَّةَ، ويَخافُ، فرَحَلْنا حتى قَدِمْنا عليه في المَوسِمِ، فواعَدْناه شِعْبَ العَقَبةِ، فقال عَمُّه العبَّاسُ: يا ابنَ أخي، إنِّي لا أدْري ما هؤلاء القَومُ الذين جاءوكَ؟ إنِّي ذو مَعْرِفةٍ بأهلِ يَثرِبَ، فاجتَمَعْنا عِندَه مِن رَجُلٍ ورَجُلَينِ،

فلمَّا نَظَرَ العبَّاسُ في وُجوهِنا، قال: هؤلاء قَومٌ لا أعْرِفُهم، هؤلاء أحْداثٌ، فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، عَلامَ نُبايِعُكَ؟ قال: تُبايِعوني على السَّمعِ والطاعةِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، وعلى النَّفَقةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وعلى الأمْرِ بالمعْروفِ، والنَّهْيِ عن المنكَرِ، وعلى أنْ تَقولوا في اللهِ لا تَأْخُذُكُم فيه لَومةُ لائِمٍ، وعلى أنْ تَنصُروني إذا قَدِمْتُ يَثرِبَ، فتَمْنَعوني ممَّا تَمْنَعون منه أنفُسَكُم وأزْواجَكُم وأبْناءَكُم ولكم الجَنَّةُ، فقُمْنا نُبايِعُه، فأخَذَ بِيَدِه أسْعَدُ بنُ زُرارةَ، وهو أصغَرُ السَّبْعين، فقال: رُوَيدًا يا أهلَ يَثرِبَ، إنَّا لم نَضرِبْ إليه أكْبادَ المطِيِّ إلَّا ونحن نَعلَمُ أنَّه رسولُ اللهِ، إنَّ إخْراجَه اليومَ مُفارَقةُ العَرَبِ كافَّةً، وقَتْلُ خيارِكُم، وأنْ تَعَضَّكُم السُّيوفُ، فإمَّا أنتم قَومٌ تَصْبِرون على السُّيوفِ إذا مَسَّتْكُم، وعلى قَتْلِ خيارِكُم، وعلى مُفارَقةِ العَرَبِ كافَّةً، فخُذوه وأجْرُكُم على اللهِ، وإمَّا أنتُم قَومٌ تَخافون مِن أنفُسِكُم خيفةً فذَروه، فهو أعْذَرُ عِندَ اللهِ، قالوا: يا أسْعَدُ بنَ زُرارةَ أمِطْ عنَّا يَدَكَ، فواللهِ لا نَذَرُ هذه البَيعةَ، ولا نَستَقيلُها، فقُمْنا إليه رَجُلًا رَجُلًا يَأخُذُ علينا بشُرْطةِ العبَّاسِ، ويُعْطينا على ذلك الجَنَّةَ " [1]

هذا هو المنهج: أن تكون البيعة واضحة، والغاية واضحة، والثمن واضح.

وأذَكّركم بما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما تولى الخلافة، فصعد المنبر : " فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوموني ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " [2]

هذه قمة التواضع والصدق، فلو أن أحدًا من بعده جاءه أهل الشورى قائلين: "اترك المنصب"، لتركه، لأنه لم يتشبث به، بل رآه أمانةً عظيمة.

---

1 - أخرجه أحمد (14653) واللفظ له، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) (49/6)، وابن حبان (6274)

2 - السيرة النبوية لإبن هشام ج2 ؛ ص661

بل انظروا إلى موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما تولي الخلافة فقد اختلف الرواة في أول خطبة خطبها عمر لما ولي الخلافة، فقال بعضهم: إنه صعد المنبر فقال: اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقويني، وإني بخيل فسخني. وفي رواية أنه قال: إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم بعد صاحبي. فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن أهل الجزء –يعني الكفاية– والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلن بهم. وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وهمَّ أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر، فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اقرءوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم: إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

وفي رواية تقول : (بلغني أن الناس خافوا شدتي وهابوا غلظتي، وقالوا: لقد اشتد عمر ورسول الله بين أظهرنا، واشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟! ألا فاعلموا أيها الناس! أن هذه الشدة قد أضعفت –أي: تضاعفت– ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، أما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين إليهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يعتدي عليه، حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على خده الآخر؛ حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك لأضع خدي أنا على الأرض لأهل الكفاف وأهل العفاف) .

فانظر كيف أن الخلافة ليست للتشبث والمصلحة، بل مسؤولية شرعية عظيمة.

كان الصدِّيق رضي الله عنه يستفيد من فقه عمر بن الخطاب، فلما عرض عليه أمر، وبيّن له عمر وجه الفقه فيه، قال له أبو بكر: "ألم أقل لك إنك أحق بها مني؟!" فخاطبه بمنتهى التواضع والصفاء، ثم قال: "أنت الخليفة." فصمت عمر حياء، وقال: "لا أستطيع أن أتقدمك." وهكذا كانت الخلافة تُترك لله، لا تتعلق بها نفوسهم، ولا يتشبثون بها كما يتشبث بها أهل الدنيا اليوم.

أما اليوم، فقد انفصلت السياسة عن الدين، ومضينا نحكم الموازين الدنيوية فقط، فتاهت الأمة، واشتد الضيق بالناس، وصاروا يتساءلون: أين الثمار؟ حتى سمعت بعضهم يقول: "الثورة الفرنسية لم تثمر إلا بعد عشرين عامًا، ونحن ننتظر مثلهم!" ولكن هل نحن فرنسيون؟ نحن أمة القرآن! أمة وعدها الله بالتمكين، لا باليأس والشكوى.

يا إخوة، صبرًا قد كتب علينا أن نمضي في هذا الطريق، وسنواجه، ولن تُفتح لنا الأبواب إلا إذا صبرنا. فالله الذي قلب الثورات الملونة إلى نصر للمؤمنين، هو القادر أن يردّ الأمور إلى أهلها.

إن الأمة اليوم في سفينة واحدة، كما في الحديث الشريف: « مَثلُ القائمِ علَى حدودِ اللَّهِ ، والمدَّهِنِ فيها ، كمَثلِ قَومٍ استَهَموا علَى سفينةٍ في البحرِ فأصابَ بعضُهُم أعلاها ، وأصابَ بعضُهُم أسفلَها ، فَكانَ الَّذينَ في أسفلِها يصعدونَ فَيستَقونَ الماءَ فَيصبُّونَ علَى الَّذينَ في أعلاها فقالَ الَّذينَ في أعلاها : لا ندعُكُم تصعَدونَ فتؤذونَنا ، فقالَ الَّذينَ في أسفلِها : فإنَّا نثقُبُها في أسفلِها فنَستَقي ، فإن أخذوا علَى أيديهِم فمنَعوهُمْ نَجَوا جميعًا وإن تَركوهُم غرِقوا جميعًا »[1] ، إن خرقت، غرق الجميع.

اعلم أن وعد الله حق، فلا يستخفّنّك الذين لا يوقنون. قالوا: "استخفّ فلانٌ فلانًا" أي جعله يتبع هواه، أو أوقعه في مذهبه الباطل فإياك أن تُجَرّ، اثبُت على الحق، ولو لم يبقَ أحدٌ غيرك!

فالمطلوب منا أن نكون على يقين، وأن نتحرك بدافع القناعة فإنك إن تكلمت عن الإسلام وأنت متردد، فحديثك يخبو، وتأثيرك يضعف ، أما إذا تكلمت عنه بحيوية ويقين، فإنك تُلهب القلوب.

واذكر عمر المختار، ذلك الأسد الليبي، حين أُسِرَ وسُحب بالسلاسل وجُعل عبرة أمام قومه، يمشون به بين الناس إذلالًا، فإذا به يهتف: "الله أكبر! الله أكبر!" ويمشي ثابتًا، فلما صعد منصة الإعدام، قال مطمئنًا: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: **27-28**].

شنقوه، لكن من بقي في ذاكرة التاريخ؟ عمر المختار. ومن شنقه؟ لا أحد يعرفه هكذا يخلد الله أهل المبدأ، ويمحو آثار الظالمين.

فلنكن مثلهم حين تُذكر كلمة "الإسلام"، نشتعل حماسة، ونتكلم من أعماق قلوبنا .

---

[1] - أخرجه البخاري (2493)، والترمذي (2173) واللفظ له، وأحمد (18361)

المسلمون يدٌ واحدة، لا يجمعهم الحزبيّة، ولا الطائفيّة، بل يجمعهم التوحيد، مع الإنكار على الباطل دون مداهنة.

وسُئل شيخنا حفظه الله : كيف يتفوق الشباب الغربي في العلوم وهم كفار؟ والجواب: لسنا نُقَوِّم الناس إلا على أساس الدين فمهما اخترعوا، يبقى المعيار:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: **13**]. بل إنهم ليسوا أذكى منا.

لقد رأيتُ شابًا في الثانوية العامة صنع جهاز لاسلكي بتكلفة **5000** جنيه، هو ذاته تستورده وزارة الداخلية بمائتي ألف! قال لي: "أنا أجمع القطع قطاعي، ولو توفرت بالجملة، لصنعتُه بأقل من نصف الثمن." وإننا نملك العقول، ولكننا نفتقد التمكين.

أعرف مهندسًا صمّم العلامة التجارية لمنتجات جهينة، تلك الخطوط البيضاء الشهيرة، وكان لا يزال طالبًا، فأخذها أحد المعيدين وكتبها باسمه، فربح منها الملايين، بينما ذُهل صاحب التصميم.

وآخر اخترع لوحة كهرباء ترفع الجهد المنخفض، لتحمي الأجهزة، لكنها سُرقت، ولم تُسجَّل باسمه، بل لم تُسجّل باسم مصر أصلًا!

نحن لا ينقصنا العلم، بل ينقصنا الدعم والثقة. ألم يكن الخبراء الروس يقولون إن تحطيم خط بارليف مستحيل، ويحتاج إلى **360** ثقبًا؟! حتى اكتشف أحد الجنود البسطاء أن الماء على الرمال يفعل فعل الصواريخ. فكان النصر، وكانت أيامًا مشهودة.

فلا تُحقّر من نفسك، ولا تنزل بهمّة أمّتك، ولا تقارن نفسك بالكافر على أساس علمٍ دون إيمان.

فنحن نملك العقول، والإيمان، واليقين، إن صدقنا الله.

سُئِل الشيخ –حفظه الله–: "أنا رجل ملتزم، أحافظ على الصلوات الخمس في جماعة، ومع ذلك أقع في بعض المعاصي، وأرتكب ما لا يليق، فماذا أفعل؟".

فقال –جزاه الله خيرًا–:

يا إخوة، قبل أي شيء، ينبغي ألّا تكون عندنا رسائل سلبية تسيطر على أنفسنا بعض الإخوة يكتب في شكواه: "أنا كرهت نفسي"، "أنا متعقد من روحي"، "أنا إنسان سيء"... لا، والله، لست كذلك. بل أنت رجلٌ طيّب، تسعى إلى الله، وتحافظ على الجماعة، وهذا وحده فضلٌ عظيم لكنك بشر، تقع في ذنب كما يقع فيه كل ابن آدم لا تكن قاسيًا على نفسك.

يا إخوة، ليس المطلوب أن نظل نحمل أنفسنا فوق طاقتها، فتضيق بنا، ونفقد التوازن.

بعض الإخوة إذا ضاقت به نفسه، وانفلت، قد يُخطئ أو يُقبل على الحرام، والسبب أنه كان يضغط على نفسه دون متنفس.

لذا نقول: لماذا لا تُفرّغ طاقتك في شيء مباح يريحك؟ اسمع أنشودة، اقرأ بيتين من الشعر، اجلس مع نفسك في خلوة صادقة... المهم أن تجد لنفسك متنفسًا حلالًا ترتاح فيه.

المسألة تحتاج فقط إلى قليل من النظر، وبعض الترتيب، مع سؤال الله الإعانة ونحن —بإذن الله— سنفرد لهذه القضية مساحة أوسع .

جزاكم الله خيرًا، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

(8)

باب

التمسك بالسنة وعدم التشبه بالمغضوب عليهم ولا الضالين ؛ و الرضا هو مفتاح من مفاتيح السعادة

الحمد لله رب العالمين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وآله، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وأزواجه وذريته وآله كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إذاً، فالعلاقة التي تربطك الآن برسول الله صلى الله عليه وسلم ليست كعلاقة من لا يدري أو لم يقرأ هذا الجزء الذي قرأته أنت وليس من عرف شيئًا أيها الإخوة كمن لم يعرفه فينظر المرء في نفسه: هل تقدم علاقته به صلى الله عليه وسلم أم لا؟

لكن ما عليك الآن هو خطّة طويلة، الأمة التي غُيّبت عن نبيها صلى الله عليه وسلم وعن دينها زمنًا طويلًا تحتاج إلى خطة طويلة تبدأ من الآن، يبدأها الإنسان في تنمية إيمانه وتوطيد علاقته بهذه الشريعة وبالنبي صلى الله عليه وسلم.

أما سوف نتكلم في ملابسه صلى الله عليه وسلم يقول الإمام ابن القيم :

كانت له عمامة تسمى : السحاب كساها عليا ، وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة . وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ، ويلبس العمامة بغير قلنسوة .

وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه ، كما رواه مسلم في "صحيحه" عن عمرو بن حريث قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه) وفي مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (دخل مكة وعليه عمامة سوداء) ولم يذكر في حديث جابر : ذؤابة ، فدل على أن الذؤابة لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه .

وقد يقال : إنه دخل مكة وعليه أهبة القتال ، والمغفر على رأسه ، فلبس في كل موطن ما يناسبه .

وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى ، فقال : " يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري ، فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض . . . " الحديث ، وهو في الترمذي ، وسئل عنه البخاري صحيح .

قال : فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه ، وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم ، ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره .

ولبس القميص وكان أحب الثياب إليه ، وكان كمه إلى الرسغ ، ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء ، والفرجية ، ولبس القباء أيضا ، ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين ، ولبس الإزار والرداء .

قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر ، وإزاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر .

ولبس حلة حمراء ، والحلة إزار ورداء ، ولا تكون الحلة إلا اسما للثوبين معا ، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيره ، وإنما الحلة الحمراء : بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود ، كسائر البرود اليمنية ، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر ، وإلا فالأحمر البحت منهي عنه أشد النهي ففي "صحيح البخاري " أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن المياثر الحمر) وفي "سنن أبي داود " عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عليه ريطة مضرجة بالعصفر فقال : (ما هذه الريطة التي عليك ؟ فعرفت ما كره ، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورا لهم فقذفتها فيه ، ثم أتيته من الغد فقال : " يا عبد الله ما فعلت الريطة ؟ " فأخبرته ، فقال : هلا كسوتها بعض أهلك فإنه لا بأس بها للنساء)

وفي "صحيح مسلم " عنه أيضا ، قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين . فقال : (إن هذه من لباس الكفار فلا تلبسها) وفي "صحيحه" أيضا عن علي رضي الله عنه قال : (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لباس المعصفر) . ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صبغا أحمر .

وفي بعض السنن أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى على رواحلهم أكسية فيها خطوط حمراء فقال : " ألا أرى هذه الحمرة قد علتكم فقمنا سراعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفر بعض إبلنا ، فأخذنا الأكسية فنزعناها عنها " . رواه أبو داود .

وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر . وأما كراهته ، فشديدة جدا ، فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه لبس الأحمر القاني ، كلا لقد أعاذه الله منه ، وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء ، والله أعلم .

ولبس الخميصة المعلمة والساذجة ، ولبس ثوبا أسود ، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس .
وروى الإمام أحمد ، وأبو داود بإسنادهما عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس ، فلبسها ، فكأني أنظر إلى يديه تذبذبان . قال الأصمعي : المساتق : فراء طوال الأكمام .
قال الخطابي : يشبه أن تكون هذه المستقة مكففة بالسندس ، لأن نفس الفروة لا تكون سندسا .[1]
لذا يا إخوة، من أركان التوحيد عدم التشبه بالكفار في اللباس والأفعال والعادات.
يا إخواني، هل تعرفون قصة أصحاب السبت المذكورة في القرآن؟
إن الله سبحانه وتعالى بدأ ذكر هذه القصة في سورة الأعراف بأسلوب فريد ومميز، قال تعالى:
{ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [سورة الأعراف: **163**].
وقوله: "واسألهم" أي اسأل اليهود الذين يعيشون معكم. لماذا؟ لأن أهل العلم قالوا إن هذا السؤال فيه تقرير وتقريع لهم، لأن قصة أصحاب السبت لم تكن موجودة في التوراة أصلًا، بل أخذوها من أفواه الأحبار، الذين كانوا يحكون لبعضهم هذه القصة كتحذير لهم، حيث قالوا إن هناك طائفة من أجدادهم كانت تعيش عند البحر، وحدث معها كذا وكذا، فمسخهم الله قردة وخنازير.
وهذه العقوبة كانت خاصة بهم فقط، فلم يعاقب الله اليهود في غير هذه القرية بالمسخ.
قال الله تعالى:
{ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } [المائدة: **60**].
وهذا يدل على أن المسخ وقع في طائفة منهم فقط.
هل تعرفون ما كانت حيلة أهل السبت؟ ما كانت مجرد أن يأكلوا الحرام فقط، بل كانوا يتحايلون على الشرع.

[1] - كل ما ذكره الشيخ هو من كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم ج1؛ ص131-134

فقد كانوا لا يصطادون يوم السبت، بل يضعون الشباك والفخاخ في ليلة الجمعة، ثم يتركونها في يوم السبت، فإذا جاء يوم الأحد صباحًا، يجدون الأسماك قد علقت في الشباك، فيأخذونها، وهذا يسمى تحايلاً على الشرع، وهو ممنوع.

ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "إغاثة اللهفان":

"إن اليهود أكلوا الحرام واستحلوا الدم الحرام والفروج المحرمة، وكان عندهم زنا وقتل، ولم يعذبهم الله بالمسخ، فلما تحايلوا على شرع الله، ومسخوا شريعته، مسخهم الله".

فاحذر أن تأخذ الدليل وتلعب به لتبرر مخالفة الشرع، فإن أعظم المسوخ مسخ القلوب.

ومن الشاهد أن الله سبحانه وتعالى قال:

{وَاسْأَلْهُمْ} أي أن أصل القصة لم يكن موجودًا في التوراة، بل أحبار اليهود هم الذين نسبوها لبعضهم.

وعندما رفض اليهود قولها للعرب المجاورين، خشية فضح أنفسهم، فضحهم الله سبحانه وتعالى في القرآن، ليبين مكانتهم ويدين ممارساتهم، فلا يجوز للمسلمين أن يكونوا مثلهم في هذا الإنكار أو التهوين.

فعندما يُسَبُّ الأنبياء، أو يُقال فيهم ما لم يرد عنهم، فإن ذلك من أشد أنواع السب، ويجب أن يُجرم ويُدان.

وهذا هو السبب في أن بعض الناس يعترضون على قانون سب الأنبياء، زاعمين أن سب الله لا بأس به، وسب الأنبياء هو المرفوض، مع أن هذه الأحاديث موجودة عند اليهود والنصارى، حيث يقولون كلامًا سيئًا عن أنبياء الله، مثل نبي الله لوط عليه السلام، لكنهم لا يجرؤون على نشر ذلك علنًا خوفًا من العقوبة.

أما نحن فلا يمكننا السماح بسب الأنبياء، حتى في البيت أو في السر، لأن ذلك محرم شرعًا.

وأيضًا حتى في شأن الخلفاء، هناك من يسيء إليهم، رغم أن معظم المسلمين يرضون بالخلفاء الراشدين الأربعة، ولكن البعض لا يرضى، ويقول إنهم منافقون، وهذا ظلم وكفر.

وهذا مثل الذي يظهر في بعض الفرق مثل الشيعة الذين يكفرون الصحابة.

وعليه فإن ذكر عيوب أهل الكتاب، من يهود ونصارى، ضروري لتحصين المسلمين،

لأن الله عز وجل

قال في سورة الفاتحة:

{اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 6-7].

فإن لم نكن نذكر عوار أهل الكتاب، فكيف نتحاشى غضب الله ونتبع الصراط المستقيم؟

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على عدم الاقتراب من التشبه بأهل الكتاب، لأن التوحيد يتلطخ بهذه الأمور.

وهذا يدل على أهمية حفظ النبي صلى الله عليه وسلم من السب في القول والفعل، لأنه من أعظم مقاصد التوحيد

لكن، يا إخوان، ابتعدوا عن قضايا الولاء في اللباس وفي غيره.

لذلك، أريد أن أذكر لكم بعض مظاهر البراءة من المشركين، لتدركوا هذه المسألة جيدًا.

في هذه المرحلة من الإسلام ،كان من الواجب أن يكون الإنسان نائيًا عن المشركين، لا في اللباس، ولا في الكلام، ولا في المنظر.

كان النبي يخالف اليهود والنصاري في كل شئ

أما أهل الكتاب – اليهود والنصارى – فلا يصلون وهم يلبسون النعال.

فأمر النبي أن يصلوا في النعال

قد راوي سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عندما سألة سيدنا سعيد بن زيد

قال: { سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ: أكانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصَلِّي في نَعْلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ }.[1]

شُرِعَتِ الصَّلاةُ في النَّعلَينِ تَخفيفًا وتيسيرًا على أمَّةِ الإسلامِ ومُخالَفةً لليهودِ أيضًا.وفي هذا الحديثِ يَروي التابعيُّ أبو مَسْلَمةَ سعيدُ بنُ يَزيدَ، أنَّه سَأل أنسَ بنَ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه خادِمَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هل كان النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصلِّي لابِسًا نَعلَيْهِ في قَدَمَيْهِ، في أيِّ صلاةٍ، سَواءٌ أكانَتْ نَفْلًا أم فريضةً؟ فأجاب أنَسٌ بإثْباتِ ذلك، وأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فعَل ذلك، وهذا مِن الرُّخَصِ للتَّخفيفِ والتَّيسيرِ على الأُمَّةِ، وكذلِك قد جاءَ في سُننِ أبي داودَ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه قال: «خَالِفُوا اليَهُودَ؛ فإنَّهم لا يُصلُّون في نِعالِهم ولا خِفافِهم»؛ فظاهر هذا أنَّ ذلِك لأجْلِ مُخالَفةِ اليَهودِ.و«النَّعْلُ»: ما يُلبَسُ مِن حِذاءٍ لِيَقيَ القَدَمَ مِن الأرضِ عندَ مُتابَعةِ المشْيِ فيهما. وقد أَوضحَتِ

[1] - أخرجه البخاري (386)، ومسلم (555)

الرِّواياتُ أنَّه يُشترَطُ في لُبْسِ النَّعلَينِ: طَهارَتُهما وخُلُوُّهما مِن النَّجاساتِ، ومَن وَجَد في نَعلَيْهِ شيئًا حَكَّهُما بالتُّرابِ؛ لتَطهيرِهما.وفي الحديثِ: حِرصُ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ على اتِّباعِ سُنَّةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

وعن سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { أَعْفوا اللِّحَى ، و جُزُّوا الشَّوارِبَ ، و غيِّروا شَيْبَكم ، و لا تَشَبَّهوا باليهودِ و النَّصارى }.[1]

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَحرِصُ على مُخالَفةِ اليَهودِ وتَرْكِ مُشابهَتِهم، ويأمُرُ بذلك.

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "اعْفُوا اللِّحَى" وإعفاؤُها: إرسالُها وتَوفيرُها وإبقاؤُها دُونَ الأخْذِ منها، واللِّحْيَةُ: هي اسمٌ لِمَا نبَتَ على الخدَّيْنِ والذَّقَنِ مِن الشَّعرِ، "وخُذوا الشَّوارِبَ"، أي: قُصُّوها حتَّى يَبدُوَ طَرَفُ الشَّفَةِ، "وغيِّروا شَيبَكم"، أي: بَدِّلوا شَكْلَه بالصَّبغِ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ ونحوِه، والمرادُ بالشَّيبِ: الشَّعَرُ الأبيضُ الَّذي يَعُمُّ شَعَرَ الرَّأسِ واللِّحيةِ، "ولا تَشبَّهوا باليَهودِ والنَّصارَى"، أي: خالِفوهم.

وفي الحَديثِ: عِنايةُ الشَّريعةِ بظاهرِ المسلِمِ وباطِنِه، بتَجميلِ الهيئةِ، ومُخالَفةِ أهْلِ الشِّرْكِ.

قال الرسول صلي الله عليه وسلم :{ اليهودُ والنصارى لا تَصبُغُ فخالِفوهم }.[2]

حتى في الشعر، كان هناك مخالفة واضحة لأهل الكتاب، كما قال أهل الكتاب: "ما يريد هذا الرجل إلا أن يترك منا شيئًا إلا خالفه."

لم يترك شيئًا إلا وحاول مخالفتنا فيه.

بل ذكر الله تعالى لوعَة نبيه في تغيير القبلة، حيث قال تعالى:

{ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }[سورة البقرة: **144**].

فلنوليك قبلة ترضاها، وكان يريد أن يبعد نفسه عن القبلة التي يتجه إليها اليهود والنصارى نحو بيت المقدس، إلى القبلة التي أمر الله بها، وهي الكعبة.

---

1 - أخرجه أحمد (8657) صحيح

2 - أخرجه النسائي (5069) واللفظ له، وأحمد (7533) أخرجه مسلم (2103)

لقد لم يذق هؤلاء – أهل الكتاب – عدلاً ولا حرية كما ذاقها في دولة الإسلام، بل لم يروا ذلك أبداً.
لكن أقول لكم في المجمل، أن بعض العقائد لا يمكن أن تذوب بعضها في بعض، ولا أن تختلط عقائدنا مع عقائد غيرنا.
وأعطيكم حقكم في ذلك.
وأريد أن أتلو عليكم – بعض مظاهر الموالاة للكافرين، التي نهى الإسلام عنها، مثل التشبه بهم في اللباس والكلام وغيرها، لأن التشبه يدل على محبة المتشبه به.
قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من تشبَّهَ بقومٍ فَهوَ منْهم."[1]
فهذا يحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم، من عاداتهم، وعباداتهم، وسمتهم، وأخلاقهم، فلا يجوز ذلك.
وعندما نهى النبي عن لبس الأحمر، كان نهيً عن التشبه بهم، وليس كل لبس يلبسه الكافر نحرمه.
بل نلتزم بالشرع وسنة النبي صلي الله عليه وسلم ؛ ونبتعد عن الموضه وتبين العوراء وكل هذا من التشبه.
أيها الأحبة.....
ثقافة المرء لا تصلح له حتى تجري في عروقه كمجرى الدم! هذا هو أصل المنهج... مادةٌ تُؤخذ وتُتلقى، ثم تُطبّق ، ولا يصح التطبيق إلا بعد فهمٍ وتمحيص، وفرزٍ لما يُؤخذ وما يُترك، ومعرفة للصحيح من السقيم، والموافق من المخالف.
لن يثمر التطبيق في إنسانٍ حتى تختلط هذه المادة العلمية الثقافية بلحمه ودمه ومشاعره، فلا يتحدث عنها من رأسه، بل من قلبه ووجدانه.
وهذا – كما قلت – تجد له أصلاً في كتاب الأستاذ محمود شاكر: "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا"، حيث قال كلامًا بديعًا:
"هذه الديانة لا تصلح إلا لمن اختلطت بلحمه ودمه وشحمه."
فاحذر أن يكون الخارج – الذي لم يسمع ما سمعت – أفضل حالًا منك في علاقته برسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] - أخرجه أبو داود (4031) واللفظ له، وأحمد (5114)

أنت الآن دخلت بيت النبي، رأيت ما كان يلبس وينزع، سمعت أنفاسه، وعشت في ظلاله فكيف تكون بعد ذلك كمن لم يسمع ولم يدخل؟

اجعل حديثك لنفسك طيلة الأسبوع:

كيف صرت مع رسول الله؟

كيف حال قلبي إذا ذُكر رسول الله؟

كيف مشاعري تجاهه؟

هذه هي الثوابت التي نريد مراجعتها كل أسبوع وإلا، فنحن في زمنٍ يتحدث فيه الناس عن "حقوق المثليين!"

فانظر إلى الفرق...

وانظر إلى حاجتك لإعادة النظر في أصولك وثوابتك، فالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ركن من أركان الإيمان، وسوف أسرد حديث أريد منكم أن تشعروا بهذا الحديث

وانظر عن ما قاله ﷺ في الإيمان

وانظر إلي رد عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

{ كانَ أوَّلَ مَن قالَ في القَدَرِ بالبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ، فانْطَلَقْتُ أنا وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيُّ حاجَّيْنِ، أوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنا: لو لَقِينا أحَدًا مَن أصْحابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلْناهُ عَمَّا يقولُ هَؤُلاءِ في القَدَرِ، فَوُفِّقَ لنا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ داخِلًا المَسْجِدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحِبِي أحَدُنا عن يَمِينِهِ، والآخَرُ عن شِمالِهِ، فَظَنَنْتُ أنَّ صاحِبِي سَيَكِلُ الكَلامَ إلَيَّ، فَقُلْتُ: أبا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّه قدْ ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، ويَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ، وذَكَرَ مِن شَأْنِهِمْ، وأنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ، قالَ: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والذي يَحْلِفُ به عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لو أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فأنْفَقَهُ ما قَبِلَ اللَّهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ، ثُمَّ قالَ: حدَّثَنِي أبِي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قالَ: بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ. وَقالَ: يا مُحَمَّدُ أخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ

إِلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإحْسانِ، قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قالَ: ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قالَ: فأخْبِرْنِي عن أمارَتِها، قالَ: أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأَنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ، قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي: يا عُمَرُ أتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.} .[1]

هذا حديث عظيم جداً قد جمع أصول الإسلام والتوحيد والإيمان برمته .

نريد عزةً بديننا، وثقةً بما نحن عليه.

إما نسترجع إلى كلام ابن القيم رحمه الله عن وصف النبي ﷺ كيف كان لبسه ويقول :

واشترى سراويل ، والظاهر أنه إنما اشتراها ليلبسها ، وقد روي في غير حديث أنه لبس السراويل وكانوا يلبسون السراويلات بإذنه .

ولبس الخفين ولبس النعل الذي يسمى التاسومة .

ولبس الخاتم ، واختلفت الأحاديث هل كان في يمناه أو يسراه ، وكلها صحيحة السند .

ولبس البيضة التي تسمى : الخوذة ، ولبس الدرع التي تسمى : الزردية ، وظاهر يوم أحد بين الدرعين .

وفي "صحيح مسلم " عن أسماء بنت أبي بكر قالت : (هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج .

وفرجاها مكفوفان بالديباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت ، فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها)

وكان له بردان أخضران وكساء أسود وكساء أحمر ملبد وكساء من شعر .

وكان قميصه من قطن ، وكان قصير الطول قصير الكمين ، وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج ، فلم يلبسها هو ولا أحد من أصحابه البتة ، وهي مخالفة لسنته ، وفي جوازها نظر ، فإنها من جنس الخيلاء .

---

[1] - أخرجه أبو داود (4695) والترمذي (2610)، وابن حبان (168)

وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة ، وهي ضرب من البرود فيه حمرة .
وكان أحب الألوان إليه البياض ، وقال (هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم) وفي الصحيح عن عائشة أنها أخرجت كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين .
ولبس خاتما من ذهب ، ثم رمى به ، ونهى عن التختم بالذهب ، ثم اتخذ خاتما من فضة ولم ينه عنه .
وأما حديث أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أشياء وذكر منها : ونهى عن لبوس الخاتم إلا لذي سلطان ، فلا أدري ما حال الحديث ولا وجهه والله أعلم .
وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه . وذكر الترمذي أنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه وصححه ، وأنكره أبو داود .
وأما الطيلسان فلم ينقل عنه أنه لبسه ولا أحد من أصحابه ، بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال :
(يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة) . ورأى أنس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما أشبههم بيهود خيبر ومن هاهنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف ؛ لما روى أبو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تشبه بقوم فهو منهم)
وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من تشبه بقوم غيرنا) وأما ما جاء في حديث الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبي بكر متقنعا بالهاجرة ، فإنما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك ، ففعله للحاجة ، ولم تكن عادته التقنع ، وقد ذكر أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر القناع ، وهذا إنما كان يفعله – والله أعلم – للحاجة من الحر ونحوه ، وأيضا ليس التقنع من التطيلس .
وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن ، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان ، وذكر الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح ، عن جابر بن أيوب ، قال : دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين ، وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف ، فاشمأز منه محمد ، وقال أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون : قد لبسه عيسى ابن مريم ، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان ، والصوف ، والقطن ، وسنة نبينا أحق أن تتبع .

ومقصود ابن سيرين بهذا ؛ أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره ، وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ، ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا ، وليس المنكر إلا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها .

والصواب : أن أفضل الطرق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها ، وهي أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة .[1]

ثم عرج الشيخ حفظه الله عن مدي دقة و حرص ابن القيم رحمه الله يقول :

لكن الإمام ابن القيم ما قال هذا [2]، لأنه كان مسافرًا حين كتب (زاد المعاد)، وكتبه من حفظه، ولذلك لم يرجع للمكتبة ليتحرى درجة الحديث.

تصوّر كتاب زاد المعاد، خمسة مجلدات، كلها من حفظه!

كتبها على الغيب رحمه الله.

وهنا فائدة للتنبه:

الناس اليوم يتحدثون عن "جيل التزكية".

فأقول: لا يوجد جيل كامل مزكّى، كله على بعضه مزكى!

النبي ﷺ قال:

" خيرُ القرونِ قرْني, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ يأتي قومٌ يشهدونَ ولا يُستشهدونَ, وينذُرونَ ولا يوفونَ, ويظهرُ فيهم السِّمَنُ . "[3]

أي: كلما نزل الزمن، قلّت الخيرية.

إذن، لا يمكن أن تقول: "كل الناس صالحون" أو "الجيل كله على خير"! هذا أمر من الخيال.

لكن الممكن والشرعي: أن تأتي بفئة من الناس، تُزكّيها، تُعدّها، وتربّيها، حتى تقود الأمة.

خذها قاعدة يا أخي:

"تأتي بفئة... فتزكّيها."

---

[1] - هذا ملخص ما ذكره الشيخ من كلام الإمام ابن القيم في زاد المعاد ج1 ؛ ص 135-138

[2] - يقصد أن كان الكتاب فيه أحاديث قد ضعفه العلماء من أهل الحديث

[3] - صحيح البخاري 6695 ؛ جامع العلوم والحكم لإبن رجب ص477

قال الله عز وجل:

{ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا }[الأعراف: **160**]

وهكذا تبدأ من المجموعة القليلة الصادقة، تُعدّها إعدادًا علميًا وعمليًا.

وقال النبي ﷺ:

" قدْ كان يكونُ في الأُمَمِ مُحَدَّثُون فإنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أحدٌ فعُمرُ بنُ الخطَّابِ."[1]

يَصْطَفي اللهُ سُبحانَه وتعالَى مِن خَلقِه مَن يَشاءُ؛ ليَقذِفَ في قَلبِه مِن أنْوارِ النُّبوَّةِ والهُدى، ويَفيضَ عليه مِن العَملِ والإلْهامِ ما يَشاءُ سُبحانَه، وكان عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه مِن هؤلاء المحَدَّثينَ، يَعني: منَ المُلهَمينَ الَّذين يَجْري الصَّوابُ على ألسِنَتِهم، أو يَخطُرُ ببالِهُمُ الشَّيءُ فيَكونُ بفَضلٍ مِن اللهِ تعالَى وتَوْفيقٍ، وقدْ وافَقَ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عنه الوَحيَ في حَوادثَ كَثيرةٍ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ المحدَّثينَ المُلْهَمينَ مَوْجودونَ في الأُمَمِ السَّابقةِ، ولو كان في هذه الأُمَّةِ أحَدٌ منهم، فإنَّه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ.

وهؤلاء المحَدَّثونَ -كما أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- يُكلَّمونَ مِن غيرِ أنْ يَكونوا أنْبياءَ، يَعني: يُلْهَمونَ إلى الرُّشدِ والصَّوابِ مِن غَيرِ أنْ يُرسِلَ اللهُ إليهم وَحْيًا كالأنْبياءِ.

وفي الحَديثِ: دَليلٌ على كَثرةِ المحَدَّثينَ في الأُممِ السَّالِفةِ، وقِلَّتِهم في هذه الأمَّةِ.

وواحد فقط... لكنه يحمل النور كله.

لو رُبِّي رجل واحد تربية صادقة، فتكفيه لتغيير جيل.

ولذلك، التربية ليست شعارًا يُقال، بل عملية عميقة، طويلة، متدرجة.

خذ المادة، ثم طبّقها.

مرة كنت في المسجد النبوي، وجاءني بعض الإخوة وقالوا لي: "في درس للشيخ عبد المحسن العباد."

ذهبت، وجلست أستمع، وكنت أنتظر فتواه في مسألة، ووقع في نفسي أنه سيقول عن الحديث:

"باطل سندًا، ومنكر متنًا."

لكن الشيخ أدهشني، فبدأ بتحليل الحديث، وقال:

---

[1] - أخرجه مسلم (2398)، والترمذي (3693) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8119)، وأحمد (24285)

"وهب أنه صحيح، فإن الواقع يقتضي كذا وكذا..."

فتعلمتُ كيف يُفتي العلماء!

وهذا ما نعنيه بالتطبيق!

بهذه النظرات تعلمنا من مشايخنا: كيف نصعد المنبر، وكيف نمسك المايك، وكيف ننبه الناس؟

إذن، المسألة ليست علمًا فقط، بل علم وتطبيق.

الحفظ سهل.

ابن حجر قرأ المعجم الأوسط للطبراني بين الظهر والعصر!

وقرأ صحيح البخاري في ثلاثة أيام!

لكن هذا لا يكفي...

القضية: كيف ستطبّق؟

لذلك نحتاج إلى ترتيب تربوي عملي.

نأخذ الإخوة في مجموعات، كل خمسة أو ستة معهم شيخ مربي، يربيهم ويصاحبهم، لكن له شروط.

المربي له شروط دقيقة.

ليس أي أحد يصلح.

بعض الناس يكتب كتابًا في التربية فيه أصول عظيمة، لكن حين تتكلم معه لا تجد فيه ريح التزكية.

التربية علاقة، قبل أن تكون علمًا.

قال الله لنبيّه:

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: **28**]

العين، النظر، الصحبة، المعايشة.

من شروط المربي: أن يكون صاحب فراسة.

هكذا يُربّى الجيل، لا بالمصالح والتنازلات، بل بالثبات والتضحية في سبيل الله.

الشاهد أيها الإخوة الأحبة، أننا نحاول اليوم أن نلتمس طريق التزكية والاتباع، وإن لم نستطع أن يكون لكل منا مربٍّ أو شيخ يصاحبه ويربيه، فإننا نسير على هدي السلف، كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

"وأما العلماء، فإذا ماتوا نزلت كتبهم في منازلهم."

فلم أستطع الجلوس بين يدي الحافظ ابن حجر لأتعلّم منه، لكنني أقرأ فتح الباري، وأتلمّس من خلاله طريق العلم والعمل.

وانظر إلى تواضع الإمام ابن القيم – رحمه الله – حين يقول في أحد المواضع:

"لا أدري ما وجه هذا الحديث."

ولم يقل: "كنت مسافرًا" رغم أنه بالفعل كان في سفر حين كتب كتاب زاد المعاد.

فقد بيّن حاله في أول الكتاب، ولم يُكرّر ذلك خشية الرياء، ومع هذا لم يُجمّل كلامه بل قال بصدق: "لا أعرف وجهه."

وهذه سلامة النفس، وهذا هو تواضع العلماء الذين نُحب أن نحيي آثارهم في قلوبنا.

يقول عنه بعض من ترجم له:

"كان لا يحقد على أحد، ولا يحسد أحدًا، ويحب الخير للجميع."

نفسه هادئة، سالمة، مطمئنة.

وانظر إلى الموقف العجيب في كتابه شفاء العليل، وهو كتابه في القضاء والقدر – وهو أشبه برسالة دكتوراه لابن القيم – إذ يقول فيه:

"فلم أفهم هذه المسألة، فحلّقت عليها، ثم أرسلتها إلى شيخي ابن تيمية رحمه الله ليفسّرها لي."

تصوروا! يقول للطلبة:

"أنا لم أفهمها، فاسألوا عنها شيخ الإسلام."

أي تواضع هذا؟!

أين مثل هذا اليوم من طلاب العلم الذين يخجلون أن يقولوا: "لا أعلم"؟

لكن ابن القيم عَلَّمنا فنّ الفناء، وفن التجرد.

أيها الإخوة، الصديق لا يرى لنفسه حقًّا على أحد.

هذه منزلة الصديقية.

لا يرى لنفسه مقامًا، ولا فضلًا، ولا منزلة.

إنه فقط سالم... مُسالم... خالص لله.

ولذلك، فبعض الأحاديث إذا تأملت فيها وجدت فيها نَكارة، ليس لمجرد ضعف السند، ولكن لمخالفته الهدي النبوي.

فمثلاً:

حديث النهي عن لبس الخاتم إلا لذي سلطان، فيه ضعف من عدة أوجه.

فالنبي ﷺ لبس الخاتم، وصحابته من بعده لبسوه، ولم يكن كل من لبسه من الأمراء أو السلاطين.

بل ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، قال:

" أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِن فِضَّةٍ، ونَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ، وقَالَ: إنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِن ورِقٍ، ونَقَشْتُ فيه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ، فلا يَنْقُشَنَّ أحَدٌ علَى نَقْشِهِ."[1]

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَكتُبُ الرَّسائلَ إلى مُلوكِ الأرضِ في زَمانِه يَدْعوهم إلى الدُّخولِ في الإسلامِ؛ عَساهم أنْ يَقبَلوا الهِدايةَ، فيَهْتدي بهم قَومُهم دونَ حرْبٍ، وكانت لهم تَقاليدُ في المراسلاتِ.

وفي هذا الحديثِ يَذْكُرُ أنسُ بنُ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اتَّخَذَ خاتَمًا، ونَقَشَ عليه نَقشًا خاصًّا به، وهو (محمَّدٌ رَسولُ اللهِ)، وكانت كُلُّ كَلِمةٍ في سَطرٍ، وأعلاها لَفظُ الجَلالةِ، واتخذ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الخاتَمَ؛ لأنَّه كان يَختِمُ به رسائلَه للمُلوكِ والأُمَراءِ التي كان يَدْعوهم فيها إلى الإسلامِ، فَنَهَى النَّاسَ أنْ يَنقُشوا خَواتمَهم مِثلَه؛ لِئلَّا تَحصُلَ المفسَدةُ ويَفوتَ المقصودُ.

ثُمَّ ذَكَرَ أنَسٌ رضِيَ اللهُ عنه أنَّه رأى بَريقَ الخاتمِ -يعني لمعانَه-؛ وذلك لصَفاءِ مَعدِنِه -وكان من الفِضَّةِ- في إصبَعِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

وهذا النوع من الشعور بالتميّز والانتماء هو من مشاعر الإسلام، وهو من الولاء والبراء، التي يجب أن تُغرس في القلوب، لا أن تبقى معلومات باردة في الذهن.

أيها الإخوة، لا زلتُ والله مشدوهًا بكلام النبي ﷺ مع تلك الجارية.

الجارية التي جاء بها سيدُها إلى رسول الله ﷺ، وانظر إلي هذا الحديث ويرويه لنا معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه :

{ بيْنَا أنَا أُصَلِّي مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي القَوْمُ بأَبْصَارِهِمْ، فَقُلتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأَيْدِيهِمْ علَى

[1] - أخرجه أبو نعيم الحداد في ((جامع الصحيحين)) (2968) بلفظه، والنسائي (5208)، وأحمد (12941)

أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَبِأَبِي هو وأُمِّي، ما رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ ولَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا منه، فَوَاللَّهِ، ما كَهَرَنِي ولَا ضَرَبَنِي ولَا شَتَمَنِي، قالَ: إنَّ هذِهِ الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شيءٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ، إنَّما هو التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ وقِرَاءَةُ القُرْآنِ أَوْ كما قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بجَاهِلِيَّةٍ، وقدْ جَاءَ اللَّهُ بالإسْلَامِ، وإنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قالَ: فلا تَأْتِهِمْ قالَ: ومِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قالَ: ذَاكَ شيءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ، فلا يَصُدَّنَّهُمْ، قالَ ابنُ الصَّبَّاحِ: فلا يَصُدَّنَّكُمْ، قالَ قُلتُ: ومِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قالَ: كانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فمَن وافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قالَ: وكَانَتْ لي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَومٍ فَإِذَا الذِّيبُ قدْ ذَهَبَ بشَاةٍ مِن غَنَمِهَا، وأَنَا رَجُلٌ مِن بَنِي آدَمَ، آسَفُ كما يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فأَتَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَعَظَّمَ ذلكَ عَلَيَّ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفلا أُعْتِقُهَا؟ قالَ: ائْتِنِي بهَا فأَتَيْتُهُ بهَا، فَقالَ لَهَا: أيْنَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّمَاءِ، قالَ: مَن أنَا؟ قالَتْ: أنْتَ رَسولُ اللهِ، قالَ: أعْتِقْهَا، فإنَّهَا مُؤْمِنَةٌ}.[1]

تأملوا! لم يقل لها: أنتِ على الإسلام فقط، بل قال: "فإنها مؤمنة".

لماذا؟ ألأنها أجابت إجابة حفظية فحسب؟ لا والله، بل لأن إيمانها كان مشتعلاً، حيًّا، نابضًا.

قالت بصدق: "في السماء"، ولم تكن تقرر مسألة فلسفية، بل عبّرت عن مشاعر توحيد حقيقية، متجذّرة في أعماق قلبها، فتجلّت في نغمة صوتها، ولمعان عينها، وارتعاشة جلدها، فاستشعر النبي ﷺ فيض التوحيد، فقال: "أعتقها"، لأنها لا يصح أن تكون مملوكة لأحد، وهي عبدة خالصة لربها، قد صرفت مشاعرها كلها إليه وحده.

وتأملوا هذا أيها الأحبة، هذا إيمان حقيقي، نقي، حيّ.

إننا نحتاج إلى تذوّق العقيدة، لا حفظها فقط.

نحتاج أن نغوص في معانيها، ونربطها بالمشاعر الحية.

تسأل: أليست العرب تعرف أن الله في السماء؟

بلى.

قال الله تعالى في توبيخ الكافرين:

---

[1] - أخرجه أبو داود (930)، وأحمد (23762)، وابن الجارود في ((المنتقى)) (212)، صحيح مسلم (537)

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾[الملك: 16]
يعني حتى أبو جهل فهم أن الله فوق السماء.
ويُروى موقف عظيم عن الإمام أبي المعالي الجويني – وكان أشعريًا – لما جاءه تلميذه أبو العلاء الهمداني، وقال له:
"يا مولانا، ما بال الناس، إذا أرادوا أن يدعوا الله، رفعوا رؤوسهم إلى السماء؟"
ثم انفجر بالبكاء، وقال:
"دعك من البحث، أجبني عن هذا."
فصُدم الجويني، وقال:
"غلبني أبو العلاء، غلبني أبو العلاء."
ثم قام من مكانه.
هذا هو الوجدان الإيماني، الإحساس بالعقيدة، وليست مجرد مسائل ذهنية.
وما فعلته الجارية لم يكن نصًّا جامدًا، بل مشاعر دافقة، عين توحيد انفجرت من قلبها، فعلم النبي ﷺ أن مثل هذه لا يجوز أن تملكها يد بشرية.
نريد أن نصل إلى هذا المستوى:
أن نقول: الله في السماء، ونبكي، ونتلوّى، ونقشعر، ونستحضر جلال الرب فوق سبع سماوات، على عرشه، بائن من خلقه، سبحانه وتعالى.
أيها الإخوة الكرام، ما نريده منكم أن تحملوا في قلوبكم مشاعر مشبوبة متوقدة نحو الإسلام، أن تغاروا عليه غيرة صادقة، أن يكون للمعصية عندكم وقع مؤلم، ولانتهاك سياج الشريعة حزنٌ وانقباض حينما ترى أن هناك من يتجرأ على تصوير رسول الله ﷺ في عمل تمثيلي، أو من يستهزئ به، كيف يهنأ لك عيش؟! كيف يقر لك قرار؟! أين قلبك؟! كيف تحتمل أن يُجسَّد نبيك على الشاشة؟! كيف لا يرتجف قلبك وتنفطر روحك؟! والله لو رأيت أحدًا يمثل شخص النبي ﷺ ما تحملت، ولا وسعني إلا أن أقول: اللهم انتقم منهم، واقطع دابرهم، واشفِ بهم صدور قومٍ مؤمنين.
نريدك أن تكون مشغول القلب بالنبي ﷺ، تراه في منامك، وتشتاق إليه في يقظتك، تحيا في هواه، وتقتطع من وقتك ما تُنمّي فيه محبتك له، صلوات ربي وسلامه عليه ؛ حينئذٍ، إذا رأيت أحدًا يلبس طيلسانًا شبيهاً بلباس اليهود، لا تملك نفسك، وتقول: ما لك تلبس مثلهم؟! لا تطيق، لا تقدر أن

ترى من يتشبه بهم، ولو في مكروه، لأن قلبك يموج بالإيمان، ولاؤك خالص، وبراؤك واضح، لا تداهن، ولا تميل.

إياك أن تلوث توحيدك، أو تُفسد صفاء قلبك بسماع سحرة الإعلام، الذين يلبسون الحق بالباطل، ويخدعون الناس تحت مسميات الوطنية والتعايش والتسامح أُتْدرّس في كتاب التربية الوطنية نصوصًا من الإنجيل المحرّف؟! بأي حق؟! ولأي غرض؟! وقد قال الله تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: **46**]، وقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: **79**].

هل نسيتَ كيف سبّوا رسول الله ﷺ بأقبح الشتائم؟! أين غيرتك على نبيك؟! أين الانتصار لرسولك؟! نحن قومٌ لم نظلمهم، ولم نعتدِ عليهم، ومع ذلك لم نجد منهم إلا الطعن والاستهزاء ومع ذلك لم نحمّل غيرهم وزرهم، التزمنا بالعدل، ورفضنا الظلم، لكن أن يتحوّل الأمر إلى تقديسهم والترويج لكتبهم المحرّفة؟! فهذا لا يكون أبدًا نحن لا نقبل أن يُدرّس لطلابنا أن "من بدّل دينه فاحترموه!"، والله قد قال نبيّه ﷺ: « مَن بدَّلَ دينَه فاقتُلوهُ [يعني حديث: أنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عنْه حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقالَ: لو كُنْتُ أنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: لا تُعَذِّبُوا بعَذَابِ اللَّهِ، ولَقَتَلْتُهُمْ، كما قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَن بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ.] »[1]، فهل أصبحنا نحرف السنة ونستبدلها بما يخالفها؟!

لو كان فينا مشاعر إيمانية حية، لما رضينا بهذا، ولرأيت الشكاوى تتوارد، والمواقف الصادقة تنهض، ولكن حين تموت الغيرة، يموت معها كل شيء هل ترضى أن ترى سيدنا عمر رضي الله عنه في مسلسل درامي، يُمثَّل وهو يدخل غرفة نومه؟! والله لو كانت القلوب حية، ما انتظرنا لجنة ولا جهة، بل لكان الغضب الإيماني كفيلاً بإسقاط ذلك كله.

---

[1] - أخرجه البخاري (3017)

أيها الإخوة، لا تخدعوا أنفسكم بالتواطؤ والميوعة باسم التوافق، فالتوافق هذا هو شعار المنافقين، لقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: {**167**، **168**}]، وأرادوا الفساد هذا المنهج لا يصلح لإقامة الدين، ولا لبناء أمة .

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: **88-90**]، فهذه كلمة تمزق السماء والأرض، لا تُقال ولا تُسمع، فكيف نُقرّها؟!

ثم تأمّلوا معي هذا الحديث: « لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِن عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، فَقالَ: حَدَّثَنَا ابنُ عَبَّاسٍ: قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النبيُّ والنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ معهُمُ الرَّهْطُ، والنَّبِيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، حتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلتُ: ما هذا؟ أُمَّتِي هذِه؟ قيلَ: بَلْ هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، قيلَ: انْظُرْ إلى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ هَاهُنَا وهَاهُنَا في آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قيلَ: هذِه أُمَّتُكَ، ويَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ ألْفًا بغَيْرِ حِسَابٍ. ثُمَّ دَخَلَ ولَمْ يُبَيِّنْ لهُمْ، فأفَاضَ القَوْمُ، وقالوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا باللَّهِ واتَّبَعْنَا رَسولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أوْ أوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا في الإسْلَامِ؛ فإنَّا وُلِدْنَا في الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَخَرَجَ، فَقالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقالَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ: أمِنْهُمْ أنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: نَعَمْ، فَقَامَ آخَرُ فَقالَ: أمِنْهُمْ أنَا؟ قالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَّاشَةُ ». [1]

تأملوا: وكذلك نحن اليوم، قد نمر بأيام سوداء، ومحن شديدة، لكن إن أقمنا ديننا بحق، وأدّينا ما علينا، رُطّبت دنيانا، وصلُحت آخرتنا ، أما إن غلّبنا التنازل، ومال القلب إلى المداهنة، فسيزداد البلاء، وتضيع الهويّة.

كونوا ممن يحيون السنّة، ويقيمون الشريعة، ويحملون راية الولاء لله ورسوله، فإن النصر في آخر الطريق، والموعد عند رب العالمين

---

[1] - صحيح البخاري (5705) ؛ أخرجه مسلم (220) باختلاف يسير

قال تعالى :﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: **40**].

أيها الإخوة، لا ينبغي أن نخدع أنفسنا بوهم الأمن المادي والرخاء، وإن قيل إن الحد الأدنى للأجور صار عشرة آلاف جنيه! فهل تكون الحياة طيبة إذا ضاعت العقيدة، وانطمست معالم الدين، حتى في أصول التوحيد؟! كلا والله. قال الله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: **112**].

سيظهر بعد ذلك من يستقوي عليك، بل سينكث معك مَن كنت تظنّه موضع الثقة، لأنه نكث العهد أولًا مع الله.

أيها الأحبة، هذه المشاعر نحو الإسلام لا بد أن تُربّى وتُغرس، وتُورّث للأجيال القادمة، ولو كانت فئة يسيرة من هنا نفهم قول النبي ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم» حتى في أبسط الأمور كاللباس.

اللهم إن أردت بقومنا فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ؛ اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم باعد بيننا وبين الفتن كما باعدت بين المشرق والمغرب.

سُئل الشيخ حفظه الله :

ما معنى "ولد صالح" في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...»؟ الجواب: نعم، يشترط صلاحه، لأن الولد الفاسد يكون سببًا في سوء خاتمة أبيه، كما في الأثر: "الولد من كسب أبيه". فمن برّ الوالدين أن يجتهد الابن في صلاح نفسه، فإن قصر الوالد في تربيته، فعليه أن يحسن، لعل الله أن يرحم والده بسببه.

وسؤال آخر: ما أفضل كتب السيرة للمبتدئين؟ أنصحك بقراءة الرحيق المختوم، فإن كان صعبًا، فابدأ بـ مدرسة السيرة للشيخ محمد حسين يعقوب، وأما سيرة الدكتور الصلابي فأسلوبها يميل إلى البلاغة والعاطفة، وهي نافعة.

وبعد ذلك لا تترك كتب السلف، كـ سيرة ابن هشام، والتواريخ القديمة، فهي أصدق وأوثق.

وأما عن سؤال المداومة على قيام الليل، فذلك له سبل، وأولها الصدق مع الله، أن تكون صادقًا في رغبتك في القيام، فإن صدقت، أعانك الله.

أيها الإخوة، كنا قد تحدثنا عن الصلاة، ووقفنا عند معنى القيام في قوله تعالى:

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: **238**]، وبيّنا أن القيام في الصلاة لا يعني فقط الوقوف بالجسد، وإنما يعني القيام بالخدمة والطاعة والتذلل بين يدي الله ؛ وقد نقلنا عن الإمام ابن قدامة، ومن بعده ابن القيم، أن القيام هو هيئة العبد الخادم، الواقف بين يدي سيده.

فإذا قيل لك: "يا فلان، قُم"، فإنك لا تزال في مقام الانتظار والخضوع حتى تنفذ ما أُمِرْت به وهذا المعنى هو الذي نجده في كلام الناس حين يمدحون أحدهم فيقولون: "كان واقفًا قبل أن يُنادى"، أي قائمًا على الخدمة والطاعة فهل نحن حقًّا نريد أن نكون من خدام هذا الدين؟ هذا سؤال يحتاج إلى مراجعة صادقة مع النفس.

ثم يأتي بعد ذلك مقام الدعاء والطلب، واللجأ الصادق إلى الله عز وجل، وهنا تتجلّى رتبة قيام الليل، تلك العبادة الجليلة، وسمة الصالحين، وهيئتهم، ودليلهم إلى الله ؛ بل هي من أقصر الطرق إلى محبة الله، وفيها من البركات والخيرات ما لا يُحصى.

ومن جملة ما يعين على ذلك: قِلّة الطعام، فقد قلنا مرارًا أن القلب لا يصح إلا بأسباب، من أعظمها قِلّة الطعام والشراب لأن النفس لا تنكسر إلا بالجوع، وإذا انكسرت، لبست لباس العبودية، فيُرى على صاحبها أثر الخشوع، وتفيض من قلبه مشاعر الإيمان.

انظر كيف يكون الإنسان إذا أصابه مرض أو برد، كيف تضعف قواه، فيقف متكئًا ويتنقل بصعوبة، فإذا دعا الله بلسانٍ منكسر، قال: "يا رب، اشفني"، خرجت منه دعوة مختلفة، خرجت من قلبٍ منكسر، وعينٍ دامعة.

كذلك إذا أحاطت بنا الفتن من كل جانب، كما في هذه الأيام التي بلغ فيها الانحراف أن يُدسَّ الإنجيل المحرّف في كتب رسمية تُدرّس لأبنائنا

حين ترى هذا التهاون، وترفع يديك إلى السماء قائلًا: "يا رب لا تفتنا"، تكون دعوة نابعة من قلبٍ يشتعل خوفًا وغيرة، لا كدعوة المعتاد الرتيبة.

وإن مما يعين على قيام الليل كذلك: أن تأكل طعامك مبكرًا، أو إن اضطررت، فليكن شيئًا خفيفًا، يسكت نباح الجوع، ولا يُثقل الجسد، فيعينك على قيام الليل وكذلك لا تنم إلا إذا غلبك النوم، لا تنم لمجرد أن الساعة دقت الثانية عشرة قُم واشتغل بشيء نافع حتى يغلبك النعاس، فإذا نمت، نمت قليلاً، واستيقظت نشيطًا.

تعلمت هذه القاعدة من الإمام ابن الجوزي، وهي من أنفع ما يُسلك في تهذيب النفس.

وحين تذوق لذة قيام الليل، تُصبح يقظتك له أشد من أيقاظ المنبهات، بل إن العبد ليبكي من الفرح إذا أقبل الليل، ويبتئس إذا لاح خيط الفجر، لأنه يشعر أن موسم المناجاة قد انقضى.

هذا هو أثر لذّة قيام الليل إن وصلتك هذه اللذة، فلن تنام عن القيام، بل ستشتاق إليه شوقًا، وتشتد حُرقة قلبك إن فاتك، كما قال أحد السلف: "بكيتُ من شدة الفرح لما دخل الليل، ثم بكيت من شدة الحزن لما أقبل الفجر".

نسأل الله عز وجل أن يمدنا وإياكم بلذة قيام الليل، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، القائمين، الخاشعين، إنه سميع قريب.

أيها الإخوة الكرام، يسأل بعض الناس: كيف كان السلف الصالح يسألون الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة؟ وما منزلة الرضا عندهم؟

وانظر إلي هذه القصة كما هي أخرجها أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء فقال:

(مر التابعي الجليل إبراهيم بن أدهم رحمه الله في سوق البصرة ذات يوم، فقال له الناس: يا أبا إسحاق، إن الله تعالى يقول: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم(غافر**60**) ونحن ندعو الله فلا يستجيب لنا!

فقال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به، وزعمتم حب نبيكم وتركتم سنته، وقلتم إن الشيطان لكم عدو ووافقتموه، وقلتم إنكم مشتاقون إلى الجنة ولم تعملوا لها، وقلتم إنكم تخافون النار ولم تهربوا منها، وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم، وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ، فكيف يستجاب لكم؟)

فهذا مقام الرضا المطلق عن الله.

وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه ، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد ، نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل : يبكي لما يراه من حاله ، فقال لم تبكي ؟ قال : لأني أراك على هذه الحالة العظيمة . قال : لا تبك ، فإن أحبه إلى الله تعالى أحبه إلي . ثم قال : أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به ، واكتم علي حتى أموت ، إن الملائكة تزورني فآنس بها ، وتسلم علي فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة ؛ إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به [1]

هذا هو الرضا الكامل بالله عز وجل.

فتأمل أيها الحبيب: هذا مقام، وذاك مقام ؛ مقام السؤال والدعاء، ومقام الرضا والتسليم.

ثم تأمل في حالنا اليوم... حين يُقال لبعض الناس: تعالوا نُحكّم شرع الله الذي خلقنا، يتردد ويقول: "لا، لا.. دعونا نحكم القوانين، والمبادئ، والمساواة..."!

فهل هذا رضا بالله؟! هل هذا قبول بحكم الله؟!

أترضى بربك، ثم لا ترضى بشرعه؟!

بل الأعجب أن بعضهم يحتج بوثيقة النبي ﷺ في المدينة، التي كتبها لليهود والمشركين، ويقول: "كانت وثيقة قانونية، لا شرعية"!

ويا للعجب! أجهلٌ هذا أم تجاهل؟!

لقد كانت الوثيقة وحيًا من الله، وكتبها النبي ﷺ وهو يحكم بشرع الله، وكانت البند الأول فيها: أن دين الإسلام هو الدين الحاكم، وأن لليهود ذمّتهم، لكن لا اختلاط في العقيدة ولا التباس في الولاء.

فمن رضي بالله ربًّا، وجب أن يرضى بشريعته حكمًا، وبأمره طاعةً، وبقضائه سكونًا، وبقدره تسليمًا.

أيها الإخوة، الرضا عن الله عز وجل بابٌ عظيم في العقيدة والسلوك، لا يُفتح إلا لقلبٍ خالص الإيمان، موصول بالله، صابرٍ على البلاء، شاكرٍ عند النعم.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن الظن به، والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، القائمين بشرعه، القابلين لحكمه، الراكعين لأمره.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (الزبيدي)

و كنت لا أحب أن أفارق شيخنا حفظه الله ولكن أحببت بأن يكون الكتاب خفيف وسهل كما كان يشرح شيخنا في جميع محاضراته وتسجيلاته وأيضا سوف أعرفكم علي رابط مهم وقيم حتي الجميع يستفاد من شيخنا بإذن الله وإليك أبيات من القلب إلي القلب :

قصيدة: من تلميذٍ لشيخه

للباحث : عبد الرحمن محمد طرّاد

يا أيها العَلَمُ المُضيءُ طريقَنا ... والمسكُ في خُطا الجهادِ تفوحُ

يا مَن سَقيتَ قلوبَنا من نبعِكم ... علمًا به الأرواحُ لا تَرتوحُ

أنا يا سميرُ، وليدُ نورِ حديثكم ... ومريدُ وعظِكمُ الذي لا يَنوحُ

علّمتني أن الهُدى نورٌ إذا ... أخلصتَ يمشي في الدُّجى ويبوحُ

أخذتُ من دربِ النُّبوَّةِ مشربي ... وشربتُ منك النصحَ وهو صَريحُ

يا مَن رسَمتَ لنا الصراطَ بيقظةٍ ... وزرعتَ فينا فقهَ من لا يَزيحُ

ما كنتُ أحملُ علمَ دينٍ نافعٍ ... لو لاك في يومِ التقلّبِ ريحُ

فأنا ابنُ سَعْيِك والتواضعِ والندى ... وعلى يديكَ تَشَكَّلَ التلميحُ

واللهِ ما هذا الكتابُ بجهدنا ... لكنّه منكمْ، ومنك القَريحُ

جهدي قليلٌ إنْ قُسِمْتُ ببحركم ... أنّى يُقاسُ البحرُ بالصّفّيحُ؟

هذا الكتابُ شهادةٌ ووفاءُ من ... ابنٍ إلى مَن علَّمَ التوضيحُ

يا سيّدي، إن غبتَ عن أبصارنا ... فالعلمُ فينا شاهدٌ وتلميحُ

وسيبقى اسمُك في صدورِ محبّنا ... ما دام في الأرضِ النهارُ يَصيحُ

يا حاملًا لواءَ صدقٍ ناطقٍ ... عن أحمدٍ، والحقُّ فيهِ فسيحُ

كتبه تلميذُك الوفي:

عبد الرحمن طرّاد

في رحاب العلم، ووفاءً لجميلك [1]

---

1 ـ

1. يا أيها العَلَمُ المُضيءُ طريقَنا
والمسكُ في خُطا الجهادِ تفوحُ

◆ المعنى: يفتتح التلميذ نداءه لشيخه واصفًا إياه بأنه "عَلَم" أي رمز يهتدى به، "مُضيء" أي منير للطريق، وأن خطوات الشيخ في طريق الدعوة والعلم تفوح كالمسك، أي أنها طيبة ومباركة.

2. يا مَن سَقيتَ قلوبَنا من نبعِكم
علمًا به الأرواحُ لا تَرتوحُ

◆ المعنى: يخاطبه بأنه سقانا علماً صافياً كالماء الزلال، ولكنه علم لا تكتفي منه الأرواح، بل تشتاق إليه دوماً.

3. أنا يا سميرُ، وليدُ نورِ حديثِكم
ومريـدُ وعظِكمُ الذي لا يَنوحُ

◆ المعنى: يعترف التلميذ أنه ثمرة من ثمرات تعليم الشيخ، ونور أحاديثه، وأنه تابع ومحب لوَعظه الثابت القوي الذي لا يضعف أو ينوح (يبكي أو يتراجع).

4. علّمتني أن الهُدى نورٌ إذا
أخلصتَ يمشي في الدُّجى ويبوحُ

◆ المعنى: من دروس الشيخ فهم التلميذ أن الهداية نور، لا يظهر إلا بإخلاص القلب، وعندها يهتدي به الإنسان حتى في الظلمات ويبوح أي يظهر أثره.

5. أخذتُ من دربِ النُّبوّةِ مشربي
وشربتُ منك النصحَ وهو صَريحُ

◆ المعنى: تعلّمت من طريق النبي ﷺ، وشربت نصحك يا شيخي، وكان صريحًا واضحًا لا غموض فيه.

6. يا مَن رسَمتَ لنا الصراطَ بيقظةٍ
وزرعتَ فينا فقهَ من لا يَزيحُ

◆ المعنى: أيها الشيخ، لقد دللتنا على الطريق المستقيم بيقظة قلبك، وغرست فينا فهمًا ثابتًا لا يزيغ عن الحق.

7. ما كنتُ أحملُ علمَ دينٍ نافعٍ
لو لاك في يومِ التقلّبِ ريحُ

◆ المعنى: يعترف التلميذ بأنه لولا الشيخ، لما حمل علماً نافعاً في أيام الفتن والتقلبات الفكرية والدينية.

8. فأنا ابنُ سَعْيِك والتواضعِ والندى
وعلى يديكَ تَشَكّلَ التلميحُ

◆ المعنى: يقول: أنا ثمرة تعبك، وتواضعك، وسخائك، وأنا التلميذ الذي صنعتْه يدك بفضل الله.

9. واللهِ ما هذا الكتابُ بجهدنا
لكنّه منكمْ، ومنك القَريحُ

◆ المعنى: يقسم التلميذ أن هذا الكتاب ليس جهدًا خالصًا له، بل هو ثمرة من علم الشيخ وفكره الوقاد.

10. جهدي قليلٌ إنْ قُسِمْتُ ببحركم
أنّى يُقاسُ البحرُ بالصَّفيحُ؟

تم بحمدلله فضل ونعمه من الله علي عبده الفقير وأسال الله عز وجل القبول والسداد .

❖ المعنى: يقارن بين جهده المتواضع وعلم الشيخ الغزير، فيقول: كيف يُقاس البحر بإناءٍ صغير؟

11. هذا الكتابُ شهادةٌ ووفاءُ من
ابنٍ إلى مَن علَّمَ التوضيحُ

❖ المعنى: يوضح أن هذا الكتاب بمثابة شهادة ووفاء من ابنٍ روحي إلى والده في العلم، الذي علّمه التوضيح والتبيين.

12. يا سيّدي، إن غبتَ عن أبصارنا
فالعلمُ فينا شاهدٌ وتلميحُ

❖ المعنى: حتى وإن غاب الشيخ عن الأعين، فآثاره العلمية حيّة شاهدة وتُلَمِّح إليه في كل سطر.

13. وسيبقى اسمُك في صدورِ محبّنا
ما دام في الأرض النهارُ يَصيحُ

❖ المعنى: اسم الشيخ سيبقى محفورًا في صدور محبيه طالما أن الشمس تشرق، في مجاز عن الخلود العلمي.

14. يا حاملًا لواءَ صدقٍ ناطقٍ
عن أحمدٍ، والحقُّ فيهِ فسيحُ

❖ المعنى: يختم التلميذ بأن الشيخ هو حامل لواء الصدق في الدعوة إلى سنة النبي ﷺ، وأن الحق واسع في كلامه.

الكتاب الثاني

إيقاظ القلوب... رسائل عبدالرحمن بن طراد

رسالة

" يا نفس... لا تكوني إمّعةً تُساق خلف هوى الشيطان ووساوسك، فإنهما لا يريدان لك إلا التيه والسقوط ، قاومي ميلهما، واملئي فراغك بطاعةٍ تُحيي قلبك، وهمةٍ ترفع قدرك. واطرحي عنك أدران الحقد والكبر والحسد؛ فهذه ليست من صفات الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها.

كوني إنسانًا يعرف طريقه، ويهذّب ذاته، ويقول لها كل صباح:

يا نفس... توبي، فقد آن للقلوب أن تعود " .

عبدالرحمن محمد طراد

"من ظلمات الهمّ إلى نور اليقين"

إنّ الحزنَ والألمَ ليسا إلا إشاراتٍ يبعثها القلبُ ليُخبر صاحبه أنّ روحَه مثقلة، وأنّ في داخله ما يحتاج إلى بوحٍ وتغيير. وقد أثبتت دراسات علم النفس أنّ تبادل المشاعر والتعبير عمّا يدور في النفس يُخفّف من حدّة الألم، ويعيد ترتيب الفكر ويقوّي نمط التفكير الإيجابي. فالمشاعر حين تُكتم تتكاثر، وحين تُقال تتناقص.

ومع أنّ للأسباب النفسية أثرًا، إلا أنّ الفرج الحقيقي الذي يقتلع جذور الهمّ اقتلاعًا لا يأتي إلا من بابٍ واحد... بابٍ وضع الله فيه راحة القلوب، وسكينة الأرواح، ونورًا يبدّد الظلمات.

إنّه باب الصلاة.

فركعتان خاشعتان — ولو في جوف الليل — قادران على أن ينتقلا بالإنسان من مستنقع الهموم إلى رحابة النور؛ نورٍ يملأ القلب طمأنينة، ويغسل الروح من غبار الأيام، ويذكّر العبد بأنّ له ربًّا كريمًا لا يُخيّب من لجأ إليه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذا المعنى حين قال:

"أرحنا بها يا بلال"؛

فلم تكن الصلاة عبئًا، بل كانت راحة، ودواء، ومرفأ لقلبٍ أثقلته الحياة.

وقال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

فلم يقل تهدأ، بل تطمئن... والطمأنينة أعلى درجات السكون.

هدف الرسالة

أن تُدرِك — أيها القارئ — أن الحزن لا يُعالج بتجاهله، ولا الألم يزول بتناسيه، وأنّ العلم يُرشدك إلى التعبير والبوح، بينما الدين يفتح لك أعظم بابٍ للشفاء...

باب السجود.

فاجمع بين السبب النفسي والسبب الإلهي، لتسير على طريقٍ مستقيم يجمع العلم بنور الوحي.

ختام على نهج القرآن والسنة

فيا من أثقلته الهموم، لا تجعل حزنك مقبرةً لروحك؛ اجعل منه طريقًا يقرّبك إلى الله.

واعلم أنّ من لزم الدعاء والصلاة، وتوكّل على الله حقّ التوكل ؛ فإنّ الله يفتح له من الأبواب ما لم يكن يتخيّله.

وما بين الحزن والفرج... ركعتان فقط قد تغيّر مسار حياتك.

"الصدق... مرآة القلب"

لا حاجة للكذب، فالكذب لا يزيد الحقيقة إلا تشويهًا، ولا يزيد القلب إلا تعبًا. إنّ الصدق والصراحة ليسا مجرد صفات عابرة، بل هما من جوامع الأخلاق التي ترتقي بها النفوس، وتسمو بها الأرواح، وتُبنى عليها علاقاتٌ نقية خالية من الزيف.

وللصدق وجهان لا ينفصلان:

صدقٌ مع الناس... وصدقٌ أعمق مع النفس.

فالمرء إذا لم يواجه ذاته بوضوح، ويعترف بضعفه وخطئه ونقصه، فلن يستطيع أن يكون صادقًا مع غيره مهما حاول.

وفي علم النفس، يؤكد الباحثون أنّ الإنسان الذي يعيش في انسجام داخلي — بين ما يفكّر وما يقول وما يفعل — هو الأكثر استقرارًا وراحةً وثقةً بنفسه. فالصدق الداخلي يُنشئ توازنًا نفسيًا، بينما الكذب يخلق صراعًا داخليًا يُرهق العقل ويشوّش الروح.

وقد جاء الدين ليُتمّم هذا المعنى ويهذّبه، فكان الصدق شعارًا للمؤمنين، ونورًا لقلوبهم، ودليلًا إلى طريق النجاة.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

وجعل النبي ﷺ الصدق طريقًا يقود إلى كل خير حين قال:

"عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة".

هدف الرسالة

أن تعي — أيها القارئ — أنّ أول خطوة نحو حياة صافية وسكينة داخلية هي أن تصدق مع نفسك قبل أن تصدق مع الناس.

وأن تعلم أنّ الأخلاق ليست شعارات ترفعها، بل مواقف تعيشها، وأنّ الدين والعلم يؤكدان معًا أن الصدق يحرّر الروح من ثقل التظاهر، ويقود إلى حياة أنقى وأقرب إلى الله.

في ختام على نهج القرآن والسنة

اجعل الصدق منهجًا ثابتًا في أقوالك وأفعالك ونياتك، وكن من أهل الصفاء الذين يَظهر في وجوههم أثر الإخلاص.

وتذكّر أنّ عقيدة أهل السنّة والجماعة والسلف الصالح تُعلّمك أن الصدق من أعمال القلوب قبل أن يكون من أعمال الألسنة، وأنّه سبب لبركة العمر، ونور في الدنيا، ونجاة يوم القيامة.

فكن صادقًا... فإنّ الصدق حياة، والكذب هلاك.

"حين يختلّ ميزان القيم"

لا أقول — كما يردّد أهل التنمية البشرية السطحية — إنّ الفشل هو دائمًا بداية طريق النجاح؛ فهذه كلمات تُقال بلا فهم لمعناها، ولا وعي بحقيقتها.

لقد رأينا — بأعيننا لا بخيالنا — كيف تحوّل الفشل إلى شعارٍ تتزيّن به بعض العقول، وكيف أصبح البعض يتعامل معه وكأنه قدرٌ محتوم لا يُدفع، بدل أن يكون درسًا يُستفاد منه وطريقًا يُعدّل، وخطوة يُبنى عليها الصواب.

ورأينا — مع الأسف — ما هو أخطر من الفشل نفسه...

رأينا العُري وقد صار موضة تُبرَّر،

ورأينا النفاق وقد أصبح مجاملة تُقبل،

ورأينا الجشع وقد تحوّل إلى مهارة في التجارة والحياة.

فكأنّ ميزان الأخلاق قد انقلب، وكأنّ الباطل أصبح يُلمّع حتى يُرى في صورة الحق.

لكن الحقيقة أن هذه ليست طبيعة المجتمع بأكمله، بل أصواتٌ عالية تغطّي على الخير الكامن، وقلةٌ تظهر لأنها لا تخجل، بينما أهل الخير يعملون بصمت.

وفي علم الاجتماع تُبيّن الدراسات أن المجتمعات التي تنهار فيها القيم الأخلاقية تنهار بعدها كل أنظمة الحياة: الاقتصاد، والنفس، والأسرة. فالأخلاق ليست ترفًا، بل بنية تحتية للإنسان.

وهنا يأتي نور الدين ليردّ الميزان إلى موضعه.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

وقال أيضًا:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

وفي السنة، قال النبي ﷺ:

"إنما بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق".

فالدين لا يقبل العري، ولا يبرّر النفاق، ولا يمجّد الجشع؛ بل يرفع الإنسان بقيمه، قبل أن يرفعه بأي نجاحٍ دنيوي.

هدف الرسالة

أن توقظ في القارئ وعيًا جديدًا:

ليس كل فشل نجاحًا في ثوبٍ آخر، وليس كل ما يتكرر في المجتمع يصبح قيمة.

وأن تُفهمه أن الطريق الصحيح يبدأ من إحياء الأخلاق قبل رفع الشعارات، ومن الإصلاح الداخلي قبل تصحيح المجتمع.

وأن العلم يدعمه ليرى الحقائق كما هي، بينما الدين يرشده ليمشي على بصيرة.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا صاحب القلب الواعي...

لا تجعل ضجيج الفاسدين يصرفك عن رؤية الصالحين، ولا تجعل اعتيادك للباطل يطمس نور الحق.

سر على ما أمر الله، وتمسّك بهدي النبي ﷺ، وعلى عقيدة أهل السنّة والجماعة والسلف الصالح ؛ فالقيم الثابتة هي التي تحفظ المجتمعات، وتُقيم النفوس،

وتصنع الإنسان الذي يبني ولا يهدم.

وإن اختلّ ميزان القيم حولك... فكن أنت الميزان.

"حين تُقيَّد حرية الشرفاء... يعلو صوت الحرام"

إنّ المرءَ يسعى بطبيعته إلى تحقيق أهدافه ورغباته، يعمل، ويكدّ، ويجتهد؛ وربما يكون سعيه لطلب الرزق الحلال، أو لبناء حياة طيبة تحفظ كرامته وكرامة أهله. وهذه فطرةٌ أودعها الله في النفوس، وأمَر بها، وجعلها من أبواب العبادة والعمل الصالح.

لكن المؤلم أن نرى في زماننا من يحوّل هذه الفطرة إلى معركة، ومن يظن أن بقاءه لن يتم إلا إذا كسر إرادة الأحرار، وقيّد أعناق الشرفاء، ووضع في طريقهم العثرات حتى يثنيهم عن أهدافهم، ويجعلهم يكرهون حياتهم، وينصرفون عن أحلامهم.

قرارات دنيوية تُصنع لإطفاء نور المجتهدين...

وأنظمة تُقام كي يشعر الحرّ بالعجز...

وضغوط تُفرض ليصبح الكريم عبدًا، والعزيز ذليلاً، والمستقيم وحيدًا.

ثم نتساءل بعد ذلك:

لماذا انتشر الحرام؟!

انتشر لأنه صار — عند البعض — الطريق الأقصر، والباب الأسهل، والمخرج الوحيد من أبواب أُغلقت عمدًا في وجه الحلال.

وفي علم الاجتماع الاقتصادي، يُثبت الباحثون أن المجتمعات التي تُضيّق على الكادحين، ولا توفر لهم الفرص، هي نفسها المجتمعات التي ينتشر فيها الفساد، والربا، والغش، وسائر أبواب الحرام... لأن الناس إذا عُوقبوا على الاستقامة، لجؤوا إلى ما يحقق لهم النجاة المادية ولو على حساب القيم.

لكن الدين — بحكمته وعدله — يردّ على هذه الفوضى بقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

فالفرج لا يأتي من ظلم الظالمين، بل من رحمة رب العالمين.

وقال النبي ﷺ:

"إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا"

ليؤكّد أنّ الحلال وإن ضاق، فهو بركة، وأن الحرام وإن اتسع، فهو محقٌ وهلاك.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أنّ انتشار الحرام ليس مجرد ظاهرة، بل نتيجة طبيعية لمجتمع يضيّق على أهل الحلال بدلاً من أن يعينهم.

وأن يدرك أن حفظ كرامة الشرفاء واجب، وأن إعطاء الفرص للمجتهدين رحمة، وأن الظلم حين يقع على الأحرار لا يُنتج إلا فسادًا وتشتتًا وانهيارًا.

ختام على نهج القرآن والسنة

فيا من تقرأ هذه الرسالة...

تمسّك بالحلال مهما ضاق، واثبت على الحق ولو كنت وحدك، وكن على عقيدة أهل السنّة والجماعة والسلف الصالح :

أن الرزق بيد الله، وأن الظلم لا يطول، وأن الفرج قريب لمن صدق واتقى.

وإذا أراد الناس أن يجعلوا الشرفاء عبيدًا...

فالله يجعلهم أحرارًا بنور الصبر، وعِزّة الإيمان، وقوة اليقين.

وليس يُهزم المؤمن... ما دام الله معه.

"حين يثقل جبر الخواطر... تُثقل القلوب"

لقد أصبح جبر الخواطر في زماننا أمرًا ثقيلًا على كثيرٍ من الناس، مع أنّه من أيسر أعمال القلوب، وأعظمها أجرًا، وأبقاها أثرًا. وهذا الثقل لم يأتِ من فراغ، بل هو دليل على نقص الود، وغياب الرحمة، وتلاشي الاحترام المتبادل بين البشر.

فحين يُصبح الكلام الطيب صعبًا، تُصبح العلاقات أصعب... وحين يضعف الاحتواء، يشتدّ القسوة.

ومن هنا لا عجب أن ترى الأخ يبتعد عن أخيه، والقريب يقطع رحمه، والعائلات تتباعد بعد أن كانت قريبة كنبض واحد.

وفي علم النفس الاجتماعي، يؤكد المختصون أن أبسط الكلمات الداعمة، والابتسامة الصادقة، وإظهار الاهتمام، لها تأثير مباشر في تخفيف الضغط النفسي، وتقليل الخلافات، وتعزيز الروابط. فالإنسان لا يحتاج مالًا ليمنح غيره الطمأنينة؛ بل يحتاج قلبًا يعرف كيف يربّت بكلمة.

ولهذا جاء الإسلام ليعيد ترتيب ميزان القلوب، ويُعلّم الناس أن اللطف ليس تفضّلًا، بل عبادة.

فقد قال النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق:

"الكلمة الطيبة صدقة"

وقال ﷺ أيضًا:

"لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق".

فديننُا يجعل من أبسط كلمة نورًا، ومن ابتسامةٍ جبرًا، ومن الاهتمام صدقةً تُرفع بها الدرجات.

وقال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

وكأن الآية تقول:

اجعل لسانك بابًا للخير، لا للجرح...

وبابًا للبِشر، لا للغلّ.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أنّ جبر الخواطر ليس ضعفًا، بل قوة روحية، وأنّ الكلمة الطيبة ليست مجاملة، بل عبادة.

وأن يدرك أن ضياع العلاقات اليوم سببه جفاف القلوب لا ضيق الظروف، وأنّ الناس لا يحتاجون كثيرًا لتعود المودة؛ يكفيهم فقط بعض الرحمة... وبعض اللطف... وبعض الإنسانية.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا قارئ هذه الرسالة...

اجبر خاطرًا، وداوِ كسرًا، وارفع الأذى بكلمةٍ أو ابتسامة؛ فهي أعمال يراها الناس صغيرة، وهي عند الله عظيمة .

أن الأخلاق عبادة، وأن الرحمة رسالة، وأن صلة الرحم واجبة، وأن القلوب تُصلح بالكلمة الطيبة قبل أن تُصلح بأي شيء آخر.

فاجعل لسانك نورًا... وقلبك جابرًا... ونيّتك خالصة لله، تُصلح لك الدنيا والآخرة.

"وفي زمن الفساد... يظل الله هو الملجأ"

كلَّ يومٍ أصبحت الحياةُ في حالة تهديدٍ دائم؛ فالعالم يموج بالفوضى، والناس تتقلّب بينهم الأحوال، والقلوب تضيق بما ترى العيون من مشاهد تقطع الروح.

نظرتُ جهة اليمين...

فلم أرَ إلا شبابًا يُستعبدون تحت مسمى العمل؛

يُستنزف جهدهم، وتُقيد أحلامهم، ويُعاملون كأنهم أدوات لا بشر.

فالحزن يسكن الملامح، والرجاء يضعف مع الأيام.

ثم نظرتُ جهة اليسار...

فرأيت أطفالًا تُقتل قتلًا عنيفًا؛

وجوهًا بريئة تُطفأ قبل أن تكتمل ملامحها، وأرواحًا صافية تُزهق بلا ذنب...

ومن فقد إنسانيته سهل عليه أن يقتل طفلاً بلا قلب ولا ضمير.

ورفعتُ بصري فوقي...

فلم أجد إلا آباءً وأمهاتٍ في حيرةٍ دائمة؛

يتقلّبون بين ضيق العيش، وبكاء الهم، وعجز الحيلة...

وكأن الدنيا تطبق عليهم من كل جانب.

ولا قول يليق بهذا المشهد إلا:

لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم نظرتُ تحت قدمي...

فوجدت أغنياء يسوقون الفقراء،

يمرحون، ويتنعّمون، ويضحكون بلا رحمة،

كأنّ الموت كُتب على غيرهم دونهم،

وكأنّ الدنيا دار بقاء لا فناء.

وهنا... في كل اتجاه...

أهلًا بالفساد حين يعمّ،

وأهلًا بالظلم حين يطغى،

وأهلًا بالقلوب حين تموت قبل أصحابها.

لكنّ العجيب — وسط كل هذا الظلام —

أنّ من أدرك حقيقة المشهد بعمقٍ، وجد نورًا خفيًا يشقّ الظلمات.

فالله يسيّر الأمور — برحمته وعدله — من حيث لا نعلم،

ويفتح أبوابًا لا نراها،

ويُسقط عن القلب ثقلًا كاد يهلكه،

ويعطي الفرج في اللحظة التي يفقد فيها العبد ظنّه بنفسه... لا ظنّه بربّه.

كما قال تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

وقال أيضًا:

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

وكأن القرآن يهمس لكل قلبٍ منكسر:

لا تيأس... فالله يُدبّر ما لا تراه.

وفي السنة الشريفة، قال النبي ﷺ:

"واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا"

فمن سار مع الله... سارت معه الأقدار،

ومن التجأ إليه... وجد الطريق ولو أغلقت كل الطرق.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أنّ فساد الدنيا ليس نهاية الطريق،

وأن الظلم مهما علا صوته فهو سحابة مؤقتة،

وأن النجاة الحقيقية ليست في الهرب من الواقع، بل في الاحتماء بالله،

وفي الثقة بأن تدبير الله أعلى وأحكم وأرحم من كل ما نرى.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا قارئ هذه الكلمات...

إذا ضاقت بك الأرض يمينًا ويسارًا،

وإن أثقلت قلبك مشاهد الظلم والفساد،

فاذهب إلى الله بقلبك قبل خطوتك.

لا يُرفع البلاء إلا برحمته،

ولا يُنصر الحق إلا بإرادته،

ولا يضيع عبدٌ قال بصدق: يا رب.

فهيا... لنذهب مع الله؛

فمن سار معه لم يضلّ،

ومن احتمى به لم يُهزم،

ومن وثق بتدبيره... رأى اليسر ينبت من بين أنقاض العسر.

"ولو كثرت الذنوب... فالله لا ينسى عبده"

سبحان الله...

مع كل تقصيرٍ في العبادة، ومع كل ذنبٍ يتراكم على صفحات العمر،

إلا أنّ رحمة الله تسبق غضبه، ولطفه يسبق عقوبته، وفضله يسبق حرمانه.

ومهما ابتعد العبد... فإنّ الله لا ينساه. وكيف ينسى من خلقه، وربّاه، وأحسن إليه؟!

إنّ الله ـ عزّ وجل ـ يُرسل للعبد رسائل من رحمة،

قد تأتي على هيئة موقف، أو كرب، أو كلمة، أو شخص، أو فكرة تمرّ القلب...

ومع ذلك، قد لا نشعر بها لأنّنا غارقون في غفلة،

مشتّتون في طرق الضلال،

مُنشغلون بالدنيا حتى أصبح القلب لا يسمع إلا همس الشهوات.

لكنّ الله لا يزال يُنادينا...

يقول لنا: ارجعوا... فالباب ما زال مفتوحًا.

ويقول: توبوا... فإني أفرح بتوبتكم أكثر مما تفرحون أنتم بنجاتكم.

ويقول: إن ثقلت خطاياكم... فرحمتي أوسع.

وفي القرآن:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

وما أجملها من آية...

تذيب الجبال لو حملت ما نحمل من الذنوب والهموم.

وفي السنة يقول النبي ﷺ:

"إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل".

أي كرم هذا؟!

وأي رحمة أكبر من هذه؟!

وفي علم النفس الروحي، يقول الباحثون إن الإنسان لا ينهض من ظلمة الذنب إلا إذا شعر بوجود باب أمل...

وديننا العظيم يفتح هذا الباب واسعًا،

ويقول لك:

لا تستسلم للذنب... قاومه بالتوبة، لا باليأس.

هدف الرسالة

أن يدرك القارئ — مهما شعر بالبعد والذنوب — أنّ الله لا ينساه،

وأن الهداية قد تبدأ برسالة صغيرة يرسلها الله في لحظة صدق.

وأن اليأس من رحمة الله أعظم ذنب من الذنب نفسه...

فالبداية الحقيقية للإصلاح تبدأ بكلمة:

"سأعود إلى الله."

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا نفس...

استيقظي من غفلتك،

واعلمي أنّ التوبة ليست لأهل الكمال، بل لأهل التقصير...

وأن الله لا يردّ يدًا رُفعت إليه،

ولا يخيب قلبًا قال بصدق: يا رب اغفر لي.

وعلى عقيدة أهل السنّة والجماعة:

نؤمن بأن التوبة تهدم ما قبلها،

وبأن رحمة الله أوسع من ذنوب العباد،

وبأن من رجع إلى الله... رجع الله إليه برحمته وجوده وفضله.

فعودي يا نفس... فباب الله لا يُغلق،والقلب لا يحيى إلا بالقرب منه.

"وسط الفتن... لا نجاة إلا إلى الله"

لقد تكاثرت الفتن في عصرنا تكاثرًا تدريجيًا؛

تبدأ صغيرة كشرارة، ثم تكبر حتى تُصبح نارًا تشتعل في القلوب والعقول والأخلاق.

فتنٌ تُزيّن الباطل، وتُشوّه الحق،

وتُغري النفوس بالهاوية، حتى يظنّ المرء أنه لا يملك أمامها حيلة ولا قوة.

وإن سألتني:

هل هناك ما هو أفظع وأبغض من هذه الفتن التي نراها اليوم؟

أجيبك بقلبٍ يرتجف ووعيٍ يعرف الحقيقة:

أعوذ بالله من عذاب جهنم،

وأعوذ بالله من عذاب القبر،

وأعوذ بالله من فتنة المحيا والممات،

وأعوذ بالله من شرّ فتنة المسيح الدجال.

فهذه أعظم الفتن...

فتنٌ لو أُطلق سراحها لأهلكت البشر،

وأضلت القلوب، وطمست نور الإيمان في النفوس.

وفي علم النفس والاجتماع، يقول المختصون إن الفتنة تبدأ حين يضعف الوعي، وتُغلق البصيرة، وتسيطر الشهوات على الفكر.

لكن الدين — بعظمته ونوره — يضع لك حواجز روحية تحميك من الانزلاق؛

خوفًا من الله،

ومراقبةً لعملك،

واستحضارًا للآخرة،

وتمسّكًا باليقين.

والنبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء العظيم؛ لأنه يعلم أن الفتن قد تأخذ القلب في لحظة غفلة، فإذا لجأ العبدُ إلى الله... ثبّته الله.

قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾

وقال أيضًا:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾

وهل هناك فرارٌ أعظم من الفرار من الفتن إلى رحمة الله؟

هدف الرسالة

أن تُدرك — أيها القارئ — أن الفتن قدرٌ يمتحن الله به عباده،

لكن النجاة ليست مستحيلة، وليست بعيدة.

النجاة تبدأ حين تقول بقلب صادق:

"اللهم نجّني من الفتن... واهدني إليك."

وهدف الرسالة أن تذكّرك بأن التوبة ليست طريقًا متأخرًا... بل هي الطريق الوحيد في زمن ينساق فيه الناس خلف الدنيا بلا وعي.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا صديقي...

ارجع إلى الله، فإنّ الرجوع إليه حياة، والبعد عنه هو الفتنة الحقيقية.

واعلم —كما تعلّمنا في عقيدة أهل السنّة والجماعة — أن الله يقبل التوبة مهما عظُم الذنب، وأن الفتن لا تهزم قلبًا متمسّكًا بالله، ولا تُضلّ عبدًا يدعو بالثبات.

فاللهم نجّنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن،

واثبت قلوبنا على دينك ، واجعلنا ممن إذا اشتدّت الفتن... ازدادوا قربًا منك.

"لغةٌ تُهمل... وأمةٌ تضيّع نفسها"

كثيرًا ما تراودني فكرةٌ عميقة وهي:

كيف تستعيد اللغة العربية مكانتها؟

كيف تعود لغةً أساسية في العالم كلّه؟

لغةً للعلم، والبرمجة، والتقنية، والبحث، والثقافة...

لغةً تُحترم كما كانت يوم كانت تحكم العالم بالعلم، والفكر، والحضارة؟

ثم أنظر إلى الواقع... فأبتسم مرارةً.

انظر إلى كثيرٍ من الناس اليوم، كيف انشغلوا بتقليد الأشكال لا العقول، وبملاحقة القشور لا الجواهر.

يقلّدون أوروبا وأمريكا في:

لباسٍ عارٍ لا يقدّم عقلًا، وحريةٍ متخلّفة تمسخ الفطرة، وعدالةٍ مزعومة لا تنصف أحدًا، وإقحام الإنجليزية في كل حديث، وكأنّ العربية عارٌ يجب الهروب منه.

لكنّ العجيب أنهم غفلوا عن أهم ما يجب أن يُقلَّد:

لم يقلّدوا العقول التي تفكّر، ولا الأنظمة التي تنظم، ولا الاجتهاد الذي ينهض الأمم، ولا العلوم التي تُبنى عليها الحضارات.

تقليدهم أعمى... يقلد الشكل وينسى الفكر.

وحين تُهمَل اللغة... يهتزّ اللسان، وحين يهتزّ اللسان... يضعف الفكر، وحين يضعف الفكر... تفسد الأمة بنفسها.

وقد قال ابن تيمية رحمه الله:

"اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب."

وقال الله تعالى عن كتابه الخالد:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾

فاللغة العربية ليست مجرد وسيلة تواصل...

هي وعاء الوحي، وسفينة القرآن، وقلب الهوية، وروح الفكر.

وفي علم الاجتماع الحضاري، يؤكد الباحثون أن سقوط اللغة هو الخطوة الأولى لسقوط الأمة؛

فلا تنهض أمة فقدت لسانها، ولا تتقدم حضارة تحتقر لغتها.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أن اللغة العربية ليست حرفًا وصوتًا،

بل هي روح أمة، وعقل حضارة، وجذر هوية.

وأن الأمة لا تنهض بتقليد العري، ولا بالتحرر المزيف،

بل تنهض حين تقلّد التفكير، العلم، العمل، النظام، والوعي.

وأن التمسك باللغة العربية ليس تعصبًا... بل حفاظًا على العقل والدين والبصيرة.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا صديقي...

إن أردنا أن ننهض، فليكن تقليدنا للأمم المتقدمة في العلم لا في العُري،

في التفكير لا في التفاهة، في الأخلاق لا في الفساد.

نؤمن أن عزّ الأمة في دينها، وأن قوتها في لغتها،

وأن الأمة التي تهجر القرآن ولغته... تهجر أسباب بقائها.

فأحيوا اللغة العربية...

فإنها مفتاح النهضة، وعنوان الهوية، وراية أمة لا تموت إلا إذا قتلت نفسها.

"الصدمة الكبرى"

أهلاً ومرحبًا بكم يا أصدقائي،

هل جربت يوماً أن تتلذذ بالمعصية؟

يظن البعض أنها مثيرة ورائعة... أنها شعور طبيعي، وأنه من الطبيعي أن تلعب القمار، وأن تستمتع بالذنوب، وأن تشرب ما حرم الله.

يبدو الأمر ممتعًا، ويظن النفس أنه لا ضرر فيه، وأن الشيطان يهمس: "لا تقلق، سأكون بجانبك، افعل ما تشاء."

لكن يا صديقي، بعد أن ارتكبت المعصية، بعد أن عصيت الله عز وجل...

هل أنت متأكد أنّ الله سيقبل منك شيئًا؟

وهل تعتقد أنّ الرجوع إليه بعد ذلك أمر سهل؟

وهل تعلم أنّ التوبة صادقة وملبّية لرحمة الله؟

هنا تأتي الصدمة الكبرى...

إن ما يفعله الشيطان معك ليس ترفًا أو لعبة صغيرة، بل خداع خفي،

يجعل النفس تذهب حيث يشاء، ويزين لها المعصية حتى تشعر أنها حريّة، بينما هي عبودية خفية للهوى.

الله تعالى يبين هذا الخداع في كتابه العزيز:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدْتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُمْ ﴾

فلا لوم على الشيطان، بل اللوم كل اللوم على النفس التي استجابت.

هو يوسوس، ويزين، ويغري، وأنت من اخترت الطريق.

وما أهون الغفلة أمام هذا الواقع الصارخ: المعصية ليست مجرد لذة... بل هي سجن للنفس، وعقوبة للروح، وسبيل إلى النار إن استمرينا فيها.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أن المعصية ليست لعبةً، وأن الاستجابة لوساوس الشيطان تُقيد الإنسان قبل أن يشعر،

وأن التوبة والرجوع إلى الله هما السبيل الوحيد للخلاص من خداع النفس ووساوس الشيطان.

وأن الله رحيمٌ يقبل التوبة مهما عظمت الذنوب، لكن لا بد أن تكون صادقة، وأن يكون القلب مستيقظًا.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا نفس الغافلة...

انهض قبل فوات الأوان، وارجع إلى الله بصدق،

واجعل التوبة بداية جديدة،

أن الشيطان لا سلطان له إلا باستجابتنا، وأن كل معصية نعصيها هي مسؤوليتنا وحدنا.

فلا تظل في غفلة... فالله يُنجي من أراد الرجوع إليه، ويهدي من أراد الهداية.

"مفاتيح السعادة والنجاح"

إذا أردت العلم، فابدأ بالقراءة، فهي المفتاح الذي يفتح لك أبواب الفكر، ويقودك إلى آفاقٍ واسعة من المعرفة والحكمة.

وإذا أردت الحب والرحمة، فابدأ بـ صلة الرحم، فالعلاقات الأسرية هي المدرسة الأولى للعطاء والرحمة، حتى وإن كانت القلوب قاسية أحيانًا.

وإذا طلبت الغنى، فانظر إلى من هو أدنى منك، فتقديرك للنعم وإحسانك إلى الآخرين هو طريق الزيادة والبركة ؛ وإذا أردت النجاح والتوفيق، فعليك بالسعي المستمر والعمل الجاد، فالله لا يغيّر حال أمة إلا إذا غيّروا ما بأنفسهم.

وإذا رغبت في السعادة والدعاء الجميل، فابدأ بـــ بر الوالدين، فإن رضا الله مرتبط برضاهم، وحسن معاملتهم يفتح لك أبواب الرضا والطمأنينة.

وإذا أردت العلم والحب والأدب والسعادة وكل العلوم والقوة الذهنية، فستجد كل هذا في القرآن الكريم؛ فهو شفاء القلوب، وراحة العقول، وبياض الصدور، وجمال لا يوصف ؛ فيه يخاطبك الله عن أسرار الكون، وأنبيائه، ورسله، وأحكام الحياة...

وفيه تجد النور الذي يضيء دربك، ويهذب قلبك، ويهدي فكرك.

وتقربك إلى الله ليس بحاجة إلى واسطة ولا محسوبية، ولا بالرجاء في هذا النبي أو ذلك العبد الصالح، فهذا ضلال وزيف.

إذا أردت أن تقترب إلى الله، فاقترب بالـ نور السلوك الصالح، والصلاة الخاشعة، والعبادة الطيبة، فستجد نفسك في ملكوت الطمأنينة والراحة، والقلب المؤمن، والمقام الرفيع عند رب العالمين.

هدف الرسالة

أن يدرك القارئ أن سعادة الإنسان ونجاحه ورضاه لا تُقاس بما في يده فقط، بل بما في قلبه وعمله وعلاقاته، وأن القرآن الكريم هو مصدر العلم والنور والهداية الشاملة لكل جانب من جوانب الحياة، وأن التقرب إلى الله يكون بالعمل الصالح والعبادة، لا بالوساطة أو التظليل.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

اعمل بما في القرآن، وابدأ بالقراءة، وصل رحمك، وابر الوالدين، واسع واطلب رزقك، واصبر، وصلّ خالصًا، وستجد أنّ القلب المؤمن لا يضلّ، وأن الله يقربك إليه بالصدق والطاعة.

فالقرآن هو الضوء، والعمل الصالح هو الطريق، والتقوى هي السعادة الحقيقية.

" البدايات والنهايات... والله الخالق الأزلي"

إنّ نهاية السعادة هي الحزن،

ونهاية الحياة هي الموت،

ونهاية الود والمحبة هي الفراق،

ونهاية السهر نومٌ عميق،

ونهاية الضلال هو الحق،

ونهاية تدرج الفتن هو البعث للأبد.

في كل بداية، وفي كل سيناريو، وفي كل حوار، هناك نهاية؛

قد تكون باطلة منحرفة، أو حقًا قويًا يثبت القلوب،

ومهما تنوعت النهايات، تبقى الحقيقة الثابتة أن كل شيء خاضع لإرادة الله عز وجل.

الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا حدود له، لا بداية له، ولا نهاية، ولذلك فحتى المغفرة والرحمة لا حد لهما عنده.

فإذا وقعت في ذنبٍ من الذنوب والمعاصي، فلا تيأس، ولا تنفر من الله،

بل ارجع إليه بقلبٍ خاشع وعقلٍ واعٍ، واجعل يقينك بالله مطلقًا:

أنه خالق الكون، الأزلي، الذي يغفر الذنوب ويقبل التوبة مهما عظمت.

إن كل بداية لها نهاية، ولكن نهاية الله لا نهاية لها، ورحمته دائمًا متجددة لمن عاد إليه، ومغفرته واسعة لمن تاب بصدق،

وعزته قادرة على هداية الضالين، وعمله سبحانه فوق كل تصوراتنا وحدودنا.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أنّ كل شيء في الحياة له بداية ونهاية،

إلا الله وحده، فهو الأزلي الذي رحمته لا حد لها، ومغفرته مفتوحة دائمًا،

وأن الرجوع إليه بعد الوقوع في الذنوب ليس عيبًا، بل هو أعظم باب للنجاة والطمأنينة.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا من غاب عن طريق الحق، تذكّر أنّ الله عز وجل أرحم بك من نفسك،وأن لا نهاية لغفرانه، ولا حدّ لرحمته، وأن كل معصية مهما عظمت تمحى بالتوبة الخالصة، وأن العودة إليه هي باب السعادة والسكينة في الدنيا والآخرة.

فارجع إلى الله... فهو الأزلي الذي لا نهاية له، وبه تبدأ السعادة الحقيقية.

"طريق البعد عن إبليس وتقوية النفس"

كنت أحاول أن أسير في طريق الظلمات والمعاصي،
أستكشف كيف يصور إبليس حب الذنب،
لكنني اكتشفت أن النفس الأمّارة بالسوء هي أشدّ غواية من الشيطان نفسه؛
إنها الغرورة، تُحرّم الحلال وتُحلّ الحرام، تتلذذ بالمعصية، تغري، تحقد، وتضلل.
حين شعرت بالعجز أمام نفسي، لجأت إلى أحد رجال الصحابة الكبار،
أحد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه،
وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
سألته:
"يا أمير المؤمنين، كيف نعلم الطريق الصحيح في مواجهة وساوس الشيطان والنفس الأمّارة؟"
فذكّرني بقوله ﷺ عن عمر رضي الله عنه:
"والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطان قطّ سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجّك."
فسألت عمر رضي الله عنه عن التفسير، فأجاب:
"لا تعترض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من الأقوام،
ولا أمين إلا من خشي الله، ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره،
ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله."
يكفي من أمير المؤمنين هذه النصيحة العظيمة، لكن لتكتمل الحصانة الحقيقية للنفس وبيتك،
اجعل سورة البقرة دائمًا عامرة في قلبك، فهي الحصن الحصين من جميع الفتن،
والمؤدّب للنفس، ورافدٌ للسكينة والقوة في مواجهة الإغراءات.
إن هذه الرسالة ليست مجرد كلمات...
إنها دليل لمن أراد أن يبتعد عن إبليس والنفس الأمّارة بالسوء،
وطريق لمن أراد التقرب إلى الله عز وجل بالقرآن، وباتباع سنة نبيه ﷺ.

هدف الرسالة

أن يعرف القارئ أن القوة الحقيقية ليست في التجاهل أو الهروب،

بل في الوعي بالنفس، والحذر من وساوس الشيطان، والارتباط بالله بالقرآن والعمل الصالح، واستصحاب الأصدقاء الصالحين.

وأن النصائح العميقة للمؤمنين السابقين، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هي طريقٌ للحصانة الروحية والنجاة من الفتن.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا من تقرأ هذه الرسالة...

تمسّك بالنصائح الصادقة، واحمِ قلبك بسورة البقرة،

واعتزل من يضلك، واصحب من يخشى الله،

واستشر من يذكرك بالله،

أن النجاة الحقيقية في التمسك بالقرآن والسنة، والابتعاد عن وساوس الشيطان، والسيطرة على النفس الأمّارة بالسوء.

فهكذا الطريق إلى الله، وهكذا الحصن في مواجهة الفتن، وهكذا السلام للقلب والعقل.

"وجع الفراق... ودواء القرآن"

هناك شيءٌ لا يغادر الذاكرة، ولا يبهت مع الأيام...

إنه الفراق.

كلمة تكاد تشرح نفسها بنفسها؛ ما إن تُقال حتى تُفتح في القلب أبواب الذكريات،

فتتذكر من كان قريبًا، ثم أصبح من أهل القبور،

وتتردد في داخلك أسماء أحبّاء رحلوا إلى حياة البرزخ،

فخلّفوا في قلوبنا فراغًا لا يُملأ، وجرحًا لا يُنسى.

لكن الأعجب من فراق الموت...

هو فراق العزيز الحي؛

ذاك الذي كان روحًا بجوار روحك،

ثم مضى بعيدًا، تاركًا خلفه شعورًا يشبه القتل وأنت لا تزال حيًّا.

إنه فراق يبقى محفورًا في الذاكرة الأبدية للإنسان،

لا يُمحى، ولا تُغلق صفحته مهما مرّ من الزمن.

ومع هذا الألم، ومع ضجيج الذكريات،

يأتي فرج الله... ويأتي دواء القلوب:

إنها صحبة القرآن الكريم؛ ذلك الرفيق الذي لا يرحل، ولا يغدر، ولا يتبدل.

وفي الآيات نورٌ يعيد ترتيب الفوضى في داخلك،

وفيها سكينة تهدّئ النفس إذا ثارت بالحنين والألم.

ارسم ابتسامتك وسط المصاعب فالقلب قادر على أن يتجلّد،

والعقل يستطيع أن يوازن بين الذكريات والواقع،

وأنت وحدك تملك قرار النجاة بين قلبك وعقلك.

ثم...

اجعل الصلاة ملجأك،

واجعل الدعاء الطيب دأبك،

فما خاب عبدٌ رفع يديه لله منكسِرَ القلب، صادق الرجاء.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أن الفراق سنة من سنن الحياة، لا مهرب منه،

لكن الله جعل للقلوب التي تتألم منافذ للشفاء:

بالقرآن، وبالصلاة، وبالدعاء، وبالصبر،

وأن الإنسان قادر—بإيمانه—أن ينهض على الرغم من كسور الذكريات.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

إن القرآن هو شفاءٌ للقلوب الموجوعة،

والصلاة راحةٌ للروح الحزينة،

والدعاء جسرٌ بين الضعف البشري والرحمة الإلهية.

والمؤمن يعلم أن كل فراق مقدّر،

وأن الله يجبر القلوب مهما انكسرت،

وأن لقاء الأحبة عند الله حقّ لا ريب فيه.

فتمسّك بالقرآن، وداوم على الصلاة،

وثق بأن الله يجبر الخاطر جبرًا ينسينا أوجاع السنين.

"قتل الفراغ... طريقك إلى الخير"

رفيقي، أنت تعلم جيدًا أن الفراغ شيطان قاتل،
قادر على استهلاك حياتك وطمس سعادة قلبك،
وأحيانًا يقودك إلى طريق المعاصي والضياع.
فها أنا أرشدك إلى الخير...
يا صديقي، إذا فرغت من أعمالك اليومية، ماذا تفعل؟
الله تعالى يقول في كتابه العزيز:
﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾
فالفراغ وقت ثمين... لا تدعه يضيع هباءً منثورًا، ثم تندم أشد الندم على ما فاتك.
استثمر وقتك بالعبادة والعلم، اجعل الصلاة رفيقك، والقرآن الكريم حبيبك في هذه الحياة المؤلمة.
ابدأ بالقراءة، واستمع إلى المحاضرات العلمية، وطوّر عقلك، واجعل ما ينفعك يغلب ما يلهيك.
لا تسمح لعينك أن تتبع الفتن، ولا لأذنك أن تسمع السب أو التشتت العقلي، ولا قلبك أن يميل إلى الفواحش والفجور.
يا أخي...
كيف يكون قلبك وعقلك تابعًا لما يثير الشهوات، ثم تقول إن هذه الحياة الحديثة والتكنولوجيا هي سبب انشغالك؟
كيف تتعلق بمشاهير وفنانين لمجرد الإثارة الشكلية والجسدية؟
أعوذ بالله... هذا زمن الفراغ، زمن قسوة القلوب، وزمن البُعد عن الله،
لكن الله تعالى أعطانا الوعي والقدرة على الاختيار،
فلا تجعل فراغك سبيلًا للفساد، بل اجعله طريقًا للخير والارتقاء بنفسك.

هدف الرسالة

أن يفهم القارئ أن الفراغ أكبر وسيلة للانزلاق إلى المعاصي،

وأن السيطرة عليه تبدأ بالاستثمار في العلم، والعبادة، وتطوير النفس،

وأن كل دقيقة تضيع من عمرك بلا نفع هي خسارة لا تعوض.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا صديقي...

لتقتل الفراغ، غيّر نفسك، اجعل القرآن والصلاة والعلم رفيقك،

واحذر أن يسيطر عليك اللهو والفتن،

واعلم أن من ملأ وقته بالخير، أكرمه الله، وملأ قلبه سعادة وسكينة.

فالفراغ قاتل، والعمل الصالح حياة، والقرآن والعبادة طريقك إلى الله والنجاة.

"زمن الفتن... وحقيقة الشخصيات"

يا أيها الناس،

لقد أصبح الحرام والمكر والكذب والنفاق أساسًا لبناء الشخصية عند كثيرين،

وأصبحوا يتفاخرون بأن لهم أكثر من وجه، وأنهم يمتازون بهذه الصفات، وكأنها قوة.

ولكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا...

هذه الصفات تسلب الإنسان إنسانيته، وتبعده عن الله عز وجل، وعن سنة الحبيب ﷺ.

يا أصدقائي، اسمحوا لي أن أقول:

هذا الزمن يشبه كل الأزمنة من حيث الابتلاء،

لكن البغضاء للحلال، وحب الباطل، هو ما جعلنا نتنافر،

ويجعل القلب بعيدًا عن الطاعة، والضمير بعيدًا عن الحق.

إن تباهينا بالكذب والنفاق ليس إلا دليلًا على الضعف الأخلاقي والفكري،

وهو سبب هذه الفتن الفاسدة والظالمة التي تنتشر في المجتمع.

حتى التكنولوجيا وصفقات الموت أصبحت أدوات في أيدي الفساد،

لتعمق الانحراف وتبعد الناس عن الحق.

يا صديقي، هذه الرسالة لها عدة أبعاد...

دينًا، وعلمًا، ونفسيًا، وإنسانيًا، واجتماعيًا...

خذها على كل وجهٍ تحتاجه، لتفهم:

نحن بحاجة إلى التغيير مع الله، مع أنفسنا، مع أسرتنا، ومع مجتمعنا،

لنستعيد الحق، وننبذ الفساد، ونبني شخصية قوية بالصدق، والأمانة، والتقوى.

هدف الرسالة

أن يدرك القارئ أن الفساد الأخلاقي والاجتماعي ليس طبيعيًا،

وأن التغيير يبدأ بالعودة إلى الله، وبالتمسك بالقيم النبيلة،

وأن مواجهة الفتن الحديثة تتطلب وعيًا علميًا، وفكريًا، ونفسيًا، ودينيًا.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا من يقرأ هذه الرسالة...

احذر الفتن الظاهرة والباطنة،

وتذكر قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾

واقتدِ بسنة الحبيب ﷺ، وغيّر نفسك بالصدق، والأمانة، والخوف من الله، لتكون قوة الإنسان في طاعته، لا في مكره وكذبه ونفاقه.

فالحق قوة، والباطل ضعف، والطاعة سبيل النجاة.

"لحظات الضعف... وكيفية التعامل معها"

أحيانًا، بل كثيرًا، تأتي لحظات الضعف المفاجئة،
تلك اللحظات التي تجعل من المستحيل التفكير السليم أو التدبير الحكيم،
وتجعل الابتسامة المشرقة تتوارى، ويشعر الإنسان بالعجز أمام ما يواجهه.
هذه الضعفات تتجلى بأشكال عدة:
ضعف المشاعر، فتجد قلبك مثقلاً بالحزن.
ضعف المال أو التفكير، فتشعر بعدم القدرة على التحرك.
ضعف الحيلة، فتقف أمام الأمور بلا قرار.
ضعف التركيز، فلا تستطيع إنجاز أي مهمة.
ضعف معنوي، ذهني، ونفسي، فيشعر الإنسان كأنه قد قال للضعف:
"ها أنا قد انهزمت."
النفس عندها تدخل في حالة انهزام معنوي وعقلي،
تؤثر على كل الخلايا الجسدية، وتقطع الرغبة في الإنجاز.
لكن يا رفيقي القارئ، لست هنا لأقول لك:
استبدل هذا الضعف بقوة خارقة، أو اتبع تحفيزًا سطحيًا،
بل المطلوب أن تجعل من لحظات الضعف حافزًا للتغيير الجازم،
لتصبح أكثر عقلانية، أسرع تنفيذًا، وأشد استعدادًا،
مع إدراك أن ما بعدها لا يملك الإنسان إلا الدعاء والتوكل على الله عز وجل.
وتذكر دائمًا: لا تغفل عن الله، ولا عن الصلوات، فهي وسيلة لتهذيب النفس، وتقوية الروح، وقتل رغبة الضعف،
كما قال الله تعالى:
﴿فَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

هدف الرسالة

أن يعرف القارئ أن الضعف جزء طبيعي من حياة الإنسان،
لكن التعامل معه بالوعي، بالصلاة، بالدعاء، والتغيير الجاد،
هو السبيل لاستعادة القوة النفسية والروحية والذهنية.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

يا صديقي...
الضعف لا يُنهزم إلا بالوعي والتقوى،
والتغيير الحقيقي يبدأ من العقل والقلب المتوكل على الله،
والدعاء والصلاة هما حصن النفس ضد أي انهيار داخلي.
فاستثمر لحظات ضعفك للتقرب إلى الله، ولتقوية عقلك وروحك، ولتهذيب قلبك.

"سَيْر... بين الحلم والواقع"

سَيْر...

لا أدري، هل أنا واقف أم جالس؟

هل أنا في طريق أم في دائرة مغلقة؟

هيا... كي أحقق هذا الحلم.

لكن سرعان ما ينهال عليك الصوت الداخلي، أو صوت الناس:

"هل ستُحقّق حلمك؟

لا أظن... ظروفك لا تسمح، وعقلك مُثقل بالتفكير، أنت غارق في ساحة مليئة بالمشاكل، ليس لديك مال، ولا وظيفة ثابتة، والبلد لا تساعدك، فلماذا تحلم أصلاً؟

خذ قسطًا من الراحة، واقتل كل تلك الأحلام الغريبة،

ولا تقل: يا ليت الشباب يعود يومًا، بل قل: يا ليتني متُّ في أول ظهوري!"

هكذا... كلمات كالسكاكين، نسمعها كل يوم، بأشكال مختلفة، لكن معناها واحد... كما قلت أنت ؛ نعم، من الصعب تحقيق الأحلام في هذا الزمن،بل ربما أصعب مما كان عليه في أي زمن مضى... لكن مع ذلك،

اِحلم.

اِحلم متى شئت، وكيف شئت،

حتى لو كان الحلم لحظة عابرة...

لحظة تهرب فيها من صرامة الواقع المر،

إلى عالمٍ صغيرٍ يسكنه السلام والسعادة.

اِحلم... فالحلم لا يغيّر الواقع مباشرة،

لكنّه يُبقيك حيًّا.

"لا تحزن... فأنت لست كما يظنون"

لا تحزن...

وابتعد عن أصحاب السوء،

وابتعد عن التفكير الضال الفاسد الذي يجرّ القلب نحو الظلمة.

انظر إلى نفسك جيدًا...

أنت شخص جديد،

بداخلك صورة جميلة، وروح نقية،

وعقل واعٍ قادر على أن يبني حياة مختلفة تمامًا.

احرص على سماع العلم والمعرفة،

وتعلّم يا رفيقي...

فبالعلم تُبنى المبادئ،

وتتشكل القوانين التي تجعل منك إنسانًا ثابتًا،

متواضعًا... ومميزًا في كل شيء.

لا تخجل من نفسك،

ولا تقلق،

ولا تلتفت لمن يُسقطك أو يشوه صورتك...

فقط ارجع إلى الله،

وستعلم حينها أن الله غفور رحيم،

يفتح لك أبوابًا لم تكن تظن يومًا أنها ستفتح.

"رفيقي... هل تتذكر؟"

رفيقي... هل تتذكر؟

يا بُني... استيقظ.

حان وقت الذهاب إلى المدرسة.

نخرج من الفراش بكسلٍ وخمول،

لكن ما كان يوقظ القلب الصغير هو تلك اللحظات البسيطة:

نحن نسير على الرصيف، نستمع إلى القرآن من راديو الرجل الذي يبيع الفول والطعمية،

ومن محل البقالة حيث يقف شاب بوجه بشوش،

وكأن المدينة كلها كانت تبدأ يومها بصوتٍ مطمئن من كتاب الله.

نمشي والسماء زرقاء تُشبه أحلامنا الطفولية،

نأخذ نفسًا عميقًا... كأن الهواء كان أنقى وأصدق.

ونفكر:

هل سنربح سباق الجري في الفسحة؟

ماذا سنفعل إذا جاء المدرس ولم نكتب الواجب اليوم؟

ومع ذلك...

ما كان يُسعد ذاك الطفل حقًا

هو صديقه المفضل،

وذلك المدرس البشوش الذي يضحك مع الجميع،

يحكي قصص الأنبياء،

أو يقص علينا حكاية هادفة تجعلنا نحب الجلوس في الفصل.

كنا نتشاجر مع أصدقائنا في مرح،

وكأن الدنيا لا تعرف الحزن.

نعود للبيت وتفكيرنا كله في الواجب،
أو نجلس أمام التلفاز نستمع لشيء نحبه.
وإن جاء الأب – حفظه الله –
ليقول لنا: اسمعوا هذا الشيخ، أو تلك القناة الإسلامية...
كنا نستمع دون أن نفهم،
لكن في أعماقنا كنا نشعر بأن هؤلاء المشايخ عُظماء،
وأن أصواتهم تملأ البيت طُمأنينة.
آه يا رفيقي... ليت أيامًا كهذه تعود.
لكن استيقظ...
أنت اليوم في دور المسؤولية التي كنت تحلم بها حين كنت طفلًا.
كبرتَ...
والحياة ليست سهلة، نعم،
لكن هل تتذكر ذاك الصفاء؟ ذاك الهدوء؟ تلك الطمأنينة؟
يمكنك أن تسترجعها...
بالقرب من الله،
بالطاعات،
بطلب العلم،
وبترك المعاصي مهما وقعت فيها.
ارجع إلى الله،
يعود إليك كل شيء جميل فقدته...
ويعود قلبك كما كان في طفولتك:
نقيًّا... مطمئنًا... وبسيطًا.

"تعلم قبل أن تكفر"

عندما تتحدث مع أحدهم، فتسمع:

"هذا فلان كافر، وهذا مبتدع، وهذا مشرك"...

نجد أن بعض الناس يكفرون كبار العلماء والمجتهدين: النووي، ابن تيمية، ابن القيم، وغيرهم، ويُفخر قائلوها بأنهم يتبعون فرقة معينة: الوهابية، الصوفية، الشيعية، أو أي تسمية أخرى... مع قليل من "التوابل"!

يا أمة الإسلام...

أصبحنا نكفر ونبتدع أناسًا لهم قدر عظيم في الإسلام،

ولا يحق لنا أن نكفر إلا من اتخذ إلهًا غير الله، أو اعتقد أن وليًا من الأولياء هو المنقذ، أو أشرك بالله في الحكم والعبادة.

بهذه الطريقة...

جعل البعض الدين مصدر التفرقة والنفور،

بدل أن يكون نورًا وهداية للناس.

فالهدف غالبًا سياسي أو عقائدي أو من باب التحريف والتبديل.

تذكّر يوم الحساب...

والله سبحانه سيحاسبنا على كل كلمة وكل تصرف،

وانظر إلى نفسك...

أنت لا شيء أمام هؤلاء العلماء الذين جاهدوا في سبيل الله،

حتى وإن أخطأوا في مسألة أو في باب من أبواب الصفات،

أنت لست من يملك حكم الجنة والنار.

دع الخلق للخالق...

ولا تسرع بالتكفير أو النبذ.

مسألة التكفير والبدعة لها شروط عظيمة، دقيقة،

فلا تشارك برأيك قبل أن تتعلم وتتحقق،

فقد قال النبي ﷺ: وفيما معني الحديث

"من قال لشيء من أمور الإسلام 'كفر' أو 'بدعة' بغير علم فقد احتمل وزر ذلك على نفسه"

هدف الرسالة

أن يدرك القارئ أن التكفير والابتداع مسألة دقيقة، لا يجب أن يستخف بها أحد،

وأن الاحترام للعلماء والمجتهدين، مع التحقق قبل الحكم، هو من هدى أهل السنة والجماعة.

خاتمة على نهج القرآن والسنة

تعلم قبل أن تتكلم...

واستحضر قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

واحذر من التفريط في الحق، والتسرع في التكفير،

واتبع الوسطية والهدى كما أرشدت السنة النبوية الشريفة.

"من أنت... ولماذا تبكي؟"

من أنت؟

ولماذا تبكي هكذا يا هذا؟

يرفع رأسه بصوت متهدّج ويقول:

– لا أدري... لقد أصبحت في دائرة هلاك لا يمكن الخروج منها.

لقد فعلتُ المعاصي والذنوب... شربتُ، ولعبتُ، وانتهكتُ الحرمات.

مشيتُ بالنميمة، وصاحبتُ أصدقاء السوء الذين زينوا لي طريق الظلام.

والله يا شيخ... ما تركتُ بابًا من أبواب الذنوب إلا وطرقته، والآن أبكي حسرًا وندمًا.

ولا أدري... هل سيقبلني الله بعد كل هذا؟ لا أظن... لقد كنتُ في ضلالٍ من أمري.

يا صديقي...

هذا المشهد ليس غريبًا، بل هو حال كثير من الناس اليوم:

منهم من يقول: ''لا أشعر بالخشوع''،

وآخر يقول: ''لا أحب مجالس الصالحين''،

وآخر يظن أن السب والشتم دليل محبة،

وغيره يعشق الكلام مع النساء ليثبت أنه ''قوي'' و''مطلوب''،

حتى أصبح القلب مريضًا يطلب ما يحرّك غرائزه...

لا ما يرفع قدره عند الله.

إنه قلب تكسّرت حدوده بسبب المعاصي،

حتى صار يرى الخطأ حقًا... والحق ثقيلًا.

وهنا يأتي كلام الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله، في تهذيب مدارج السالكين:

"لا يذوقُ العبدُ حلاوةَ الإيمان، وطعم الصدق واليقين؛

حتى تخرج الجاهليةُ كلُّها من قلبه."

فالجاهلية اليوم ليست أصنامًا من حجر،
بل ذنوب، شهوات، علاقات فاسدة، ومجالس تميت القلوب.
إنها مثل فيروس خبيث...
كلما تغذّى على القلب،
أطفأ نوره، وثقّل خطاه، وأسقطه في هوة اليأس.
لكن...
مهما عظمت الذنوب،
فإن باب الله أعظم.
المهم أن تسارع...
أن تهرب من طريق النار قبل أن تُغلق الأبواب،
قبل أن تُقبض روحك وأنت على معصية،
قبل أن تقول: "يا ليتني قدمتُ لحياتي..."
يا صديقي...
ارجع إلى الله، واهجر ذنوبك،
فإن الله لا يُغلق بابه عن عبدٍ عاد إليه باكيًا منكسرًا.

"ثلاثة مواقف... وثقة بالله"

حديث صعب،

ولكنه يستحق التأمل...

كنت أفكر طويلاً،

بينما ذهبت لأشتري شيئًا،

أو أثناء الطريق إلى العمل،

أو حتى وأنا في السيارة أدفع الأجرة...

تذكرت ثلاث مواقف:

1 الموقف الأول:

هل سنصبح مثل بعض الدول التي انهارت عملتها، وسقطت في قاع الظلام الاقتصادي؟

2 الموقف الثاني:

هل سنفتن ونقتل بعضنا البعض من أجل الطعام والشراب والحاجات اليومية؟

أم سنتعاون ونتكاتف لنتجاوز الفتن والابتلاءات الصعبة؟

3 الموقف الثالث: (فلسفي)

وأعظم ما تيقنت منه:

أن الأصعب من الاحتلال الخارجي هو الاحتلال الداخلي، احتلال من نفس الدم، واللون، واللغة، يجعلك بلا رأي، بلا حرية، مقيدًا، مديونًا، مكبوتًا، بلا رحمة ولا رأفة.

ولكن مهما عظمت المحن... لابد أن نتماسك، فالله أبدا لن يضيعنا... يا أحبائي الكرام...

سيأتي يوم، حادثة قد تغيّر حياتنا، لكن كونوا واثقين بالله، واعلموا أن ازالة الهموم قادمة، والفرج قريب بإذن الله

"انعدام الإنسانية... وسقوط الأخلاق"

قد انعدمت الإنسانية، وقد غابت الأخلاق عن كثير من القلوب.
نجد من يتعامل مع الناس بحسب سلطته فقط،
أو يلغي مشاعره وأخلاقه الإنسانية بناءً على من أمامه،
كأن الإنسان مجرد أداة لتحقيق مصالحه الشخصية.
هكذا...
هذا الشخص يظهر خللًا داخليًا وانعدامًا لشخصية إنسانية،
فإذا سقطت الإنسانية،
سقطت معها المشاعر، وسقطت الأخلاق،
وبقي القلب قاسيًا، والروح مظلمة.
وما نراه اليوم من بغضاء، وانحطاط، وظلم،
يجعل الجميع يتساءل:
"لماذا نحن في تأخر واحتكار؟"
الجواب واضح...
حقًا، هو مجتمع فاسد وأناني،
ساقط بظلمه الإنساني،
غاب فيه الحق، وذهبت الرحمة، وانحرفت العدالة.
فلنعد إلى قيمنا،
إلى التعاليم التي تبني مجتمعًا عادلًا،
إلى الأخلاق التي ترفع الإنسان وتكرمه،
فبغيابها... لا يبقى سوى الظلام.

"دعوة للخير... وإحياء القلوب"

يا أحبائي...

إذا نظرنا حولنا، وجدنا الكثير من القلوب ضعيفة، والعيون حزينة، والقلوب فارغة من الرحمة والأمل.

وجدنا مجتمعًا يحتاج إلى من يعيد له الإنسانية، ويذكّره بالقيم، ويوقظه من غفلة الحياة.

تذكر...

أن التغيير يبدأ من الفرد، ثم ينتشر إلى الأسرة، ثم المجتمع.

ابدأ بنفسك: اجعل قلبك نظيفًا، ولسانك طيبًا، ويدك صادقة مع نفسك ومع الآخرين.

اغرس في روحك الحب والرحمة، وكن قدوة في الصدق، والعمل، والأمانة.

وعلّم الآخرين بالقدوة قبل الكلام...

فالكلمة الطيبة قد تضيء قلبًا مظلمًا، والفعل الحسن يزرع الأمل في نفس محتاجة.

تذكر قول الله تعالى:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135]

واقتدِ برسول الله ﷺ في كل تعامل...

الذي قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه."

يا رفيقي... إذا أردت مجتمعًا أفضل، إذا أردت أن ترى أمة تنهض وتعود للخير، فابدأ بنفسك... وتذكر أن كل عمل صالح تقوم به، مهما صغر، هو جزء من إصلاح مجتمعك... هو نور في ظلمة، وهو سبب لرفع البلاء، وهو إرادة الله فيك لتكون سبب خير.

فلتكن حياتك رسالة... كل يوم، كل كلمة، كل فعل، دعوة للخير، للعلم، للصدق، للرحمة، وللإيمان ؛ هذا هو السبيل للسلام النفسي، والطمأنينة القلبية، وراحة المجتمع...

فكن أنت البداية... وكن نورًا في زمن الظلام.

الخاتمة :

الحمد لله الذي رفع بالعلم أهله، وأعلى منازلهم في الدنيا والآخرة، وجعلهم شهداء على عباده، وجعل ميراث النبوة محفوظًا في صدورهم وأقلامهم، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، ومُبلغ الرسالة، ومؤدي الأمانة، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

و في نهاية هذا السفر الروحي،

نقف لحظةً نتأمل ما جمعته هذه الصفحات من نور وذكر، ومن قلبٍ ينبض بالحب للنبي ﷺ، ومن عِبرةٍ تهتز لها النفس، ومن هدوءٍ يسكب في الروح طمأنينة لا يعرفها إلا من ذاق سحر المحبة واليقين.

هذا الكتاب لم يكن مجرّد كلماتٍ مكتوبة، ولا مجرد حكايات تُروى... بل هو رحلة قلبية، ومجلسٌ حيّ، ومسيرةٌ نحو الله، حيث تتلاقى المشاعر والعقول، ويصحو القلب من غفلته، ويعود إلى حضرة الحق.

كل رسالةٍ فيه، وكل مجلسٍ ، هو نافذةٌ تطلّ على سرّ من أسرار الإيمان، وعلى جمالٍ من جمال السنة، وعلى شمائلٍ من شمائل الحبيب ﷺ، لتذكّرنا بأن القلب إذا عاش المحبة لله ولرسوله، يصبح منارةً تهدي النفس وتضيء الطريق.

نسأل الله أن يجعل ما قرأته فيه سببًا لسلامك الداخلي، ودفء قلبك، ونور بصيرتك، وأن يحيي به روحك، ويوقظ به عزمك على الاقتراب من الله، والتمسّك بالحق، وتحقيق الخير في حياتك وعالمك.

فليكن هذا الكتاب رفيقك حين تهدأ العيون عن ضجيج الدنيا، ورفيقك حين يضيق الصدر عن هموم الحياة، ومرشدك حين يلتبس الطريق أمامك...

ليكن نورًا في الظلام، وماءً للروح العطشى، وكلمة صادقة في زمن الضباب.

وبذلك... نغلق الصفحات، لكن دعوة الله والمحبة للنبي ﷺ لا تغلق أبدًا، فلتستمر الرحلة في قلبك وعقلك، ولتظل رسائل النور التي احتواها هذا الكتاب نبراسًا يضيء أيامك، ويقودك إلى الصلاح، والإيمان، والسلام الداخلي.

وإن كان في هذا الكتاب نورٌ أصاب قلبًا، أو معنى أحيا روحًا، أو كلمةٌ رفعت همةً... فذلك فضل الله وحده، ومنّه وكرمه، وإن كان خطأٌ أو تقصيرٌ فهو مني ومن الشيطان، وإن كان توفيقٌ وصوابٌ فمن الله، لا حول ولا قوة إلا به.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل شاهدًا لنا لا علينا، وأن يحيي به قلوبًا عطشى، ويجبر به أرواحًا كسيرة، وأن يجعله صدقةً جارية، ونورًا لا ينطفئ في صحائف كل من قرأ، وكل من نوى، وكل من أحبّ النبي ﷺ وتعظيم سنته.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه العبد الفقير إلي الله :

عبدالرحمن محمد علي "بن طراد"

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم

القرآن الكريم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

الاستشهاد بالآيات وفق الترقيم المعتمد في المصحف الشريف.

2. كتب الحديث الشريف

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (توفي 256هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار طيبة، السعودية.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (توفي 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، لبنان.

3. كتب الفقه والسيرة والتاريخ

زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (توفي 751هـ)، تحقيق: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرحيق المختوم: السيرة النبوية، صفي الرحمن المباركفوري (توفي 1353هـ)، دار الفكر، لبنان.

السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام (توفي 218هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار صادر، بيروت.

4. كتب العقيدة والمنهج

العقيدة الواسطية، ابن تيمية (توفي 728هـ)، تحقيق: د. محمد ناصر الدين الألباني، دار المنهاج، الرياض.

شرح العقيدة الطحاوية، الإمام الطحاوي (توفي 321هـ)، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

5. كتب التزكية والتربية الروحية
تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي (توفي 505هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
6. كتب علمية داعمة
الفقه على المذاهب الأربعة، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
مختصر تاريخ الإسلام ؛ دار الفكر، بيروت.

ملحوظة :::: وقد اعتمدت في هذا الكتاب على الأحاديث النبوية من موقع الموسوعة الحديثية (الدرر السنية)، مع الاستناد إلى آراء العلماء من أهل السنة والجماعة والسلف الصالح رحمهم الله.

كما حرصت على استخدام بعض الأدوات التقنية لتنسيق الكلام بشكل يسهل على القارئ فهمه وقراءته، مع الحفاظ على وضوح التشكيل والترقيم، لتصبح الرسائل سلسة وميسرة دون عناء.

ولقد كنت أستمع إلى المحاضرات القيمة لشيخنا الفاضل، وعند الوقوف على فائدة عظيمة أو موعظة نافعة، كنت أسجلها أو أدوّنها بنفس صياغة الشيخ، بهدف نقل الفائدة كما هي، والحفاظ على المعنى الدقيق.

لقد اجتهدت قدر استطاعتي لجعل هذا الكتاب مهذبًا، متناسقًا، ومرشدًا حياتيًا لكل قارئ، بحيث تكون الرسائل فيه دليلًا عمليًا يساعد كل شخص على الاستقامة والتزود من العلم والعمل الصالح.

كما سأرفق للقراء البوت العظيم الذي يحتوي على تسجيلات الشيخ كاملة، بالإضافة إلى بعض الروابط للتواصل معي، ويسعدني جدًا معرفة آرائكم وملاحظاتكم حول هذا العمل.

فهرس الكتاب

تنبيهٌ وتمهيدٌ لطالبِ النور 5

إهداء 6

وصف الكتاب 7

مقدمة التحقيق 8

ترجمه لشيخنا حفظه الله.....11

خاتمة 14

(1) باب حول تعريف عام عن السيرة النبوية الشريفة و أحوال الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم و مع التابعين و العلماء رحمهم الله 15

(2) باب تأمل جيداً ما هي أهمية السيرة النبوية الشريفة 41

(3) باب رحلة عميقة مع أسماء النبي صلِ الله عليه وسلم.....71

(4) باب رحلة في معرفة أمهات المؤمنين وكيف أن نجعل رسولنا ﷺ خير قدوة لنا....87

(5) باب رحلة فن أختيار المهمه لكل صحابي علي أرض الواقع..... 104

(6) باب رحلة كيف التعامل مع الفتن وضبط النفس مع هدي الصحابة رضي الله عنهم.....123

(7) باب كيف نطبق الشريعة علي منهج الرسول ﷺ والانضباط علي سيرة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين 144

فراق والقصيدة ل عبدالرحمن بن طراد 184

الكتاب الثاني : إيقاظ القلوب... رسائل عبدالرحمن بن طراد..... 187

من ظلمات الهمّ إلى نور اليقين 188

الصدق... مرآة القلب 190

حين يختلّ ميزان القيم 192
حين تُقيَّد حرية الشرفاء... يعلو صوت الحرام..... 194
حين يثقل جبر الخواطر... تُثقل القلوب 196
وفي زمن الفساد... يظل الله هو الملجأ..... 198
ولو كثرت الذنوب... فالله لا ينسى عبده..... 201
وسط الفتن... لا نجاة إلا إلى الله..... 203
لغةٌ تُهمل... وأمةٌ تضيّع نفسها 205
الصدمة الكبرى..... 207
مفاتيح السعادة والنجاح..... 209
البدايات والنهايات... والله الخالق الأزلي 210
طريق البعد عن إبليس وتقوية النفس 212
وجع الفراق... ودواء القرآن..... 214
قتل الفراغ... طريقك إلى الخير..... 216
زمن الفتن... وحقيقة الشخصيات 218
لحظات الضعف... وكيفية التعامل معها..... 220
سَيْر... بين الحلم والواقع..... 222
لا تحزن... فأنت لست كما يظنون 223
رفيقي... هل تتذكر 224
تعلم قبل أن تكفر..... 226
من أنت... ولماذا تبكي 228
ثلاثة مواقف... وثقة بالله..... 230
انعدام الإنسانية... وسقوط الأخلاق..... 231

دعوة للخير... وإحياء القلوب 232
الخاتمة 233
المراجع والمصادر..... 235
فهرس الكتاب..... 237

وإليكم بالبوت والروابط للتواصل :

ده بوت فيه جميع المحاضرات والدروس والخطب .

امسح هذا الباركود بالكاميرا : وسوف تجد جميع الروابط والصفحات

للتواصل مع المؤلف عبر الواتساب :

01127002922

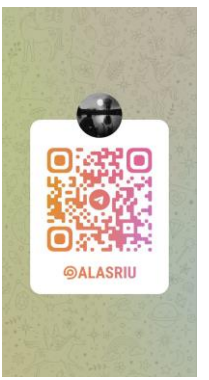

امسح الباركود قناة التيليجرام

يا مصطفى والكون يشهد فضله
زادت بذكرك في القلوب أنوار
صلى عليك الله ما همت صبا
ريح، وما ناحت على فنن أطيار

رسائل من عبدالرحمن طراد

"من ظلمات الهمّ إلى نور اليقين"

إنّ الحزنَ والألمَ ليسا إلا إشاراتٍ يبعثها القلبُ ليُخبر صاحبه أنّ روحه مثقلة، وأنّ في داخله ما يحتاج إلى بوحٍ وتغيير. وقد أثبتت دراسات علم النفس أنّ تبادل المشاعر والتعبير عمّا يدور في النفس يُخفّف من حدّة الألم، ويعيد ترتيب الفكر ويقوّي نمط التفكير الإيجابي.

فالمشاعر حين تُكتم تتكاثر، وحين تُقال تتناقص.

ومع أنّ للأسباب النفسية أثرًا، إلا أنّ الفرج الحقيقي الذي يقتلع جذور الهمّ اقتلاعًا لا يأتي إلا من بابٍ واحد... بابٍ وضع الله فيه راحة القلوب، وسكينة الأرواح، ونورًا يبدّد الظلمات.

إنّه باب الصلاة.

فركعتان خاشعتان – ولو في جوف الليل – قادران على أن ينتقلا بالإنسان من مستنقع الهموم إلى رحابة النور؛ نورٍ يملأ القلب طمأنينة، ويغسل الروح من غبار الأيام، ويذكّر العبد بأنّ له ربًا كريمًا لا يُخيّب من لجأ إليه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذا المعنى حين قال:

"أرحنا بها يا بلال"؛

فلم تكن الصلاة عبئًا، بل كانت راحة، ودواء، ومرفأ لقلبٍ أثقلته الحياة.

وقال تعالى:

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

فلم يقل تهدأ، بل تطمئن... والطمأنينة أعلى درجات السكون.

هدف الرسالة

أن تُدرِك – أيها القارئ – أن الحزن لا يُعالج بتجاهله، ولا الألم يزول بتناسيه، وأنّ العلم يُرشدك إلى التعبير والبوح، بينما الدين يفتح لك أعظم بابٍ للشفاء...

باب السجود.

فاجمع بين السبب النفسي والسبب الإلهي، لتسير على طريقٍ مستقيم يجمع العلم بنور الوحي.

ختام على نهج القرآن والسنة

فيا من أثقلته الهموم، لا تجعل حزنك مقبرةً لروحك؛ اجعل منه طريقًا يقرّبك إلى الله.

واعلم أنّ من لزم الدعاء والصلاة، وتوكّل على الله حقّ التوكل – على عقيدة أهل السنّة والجماعة – فإنّ الله يفتح له من الأبواب ما لم يكن يتخيّله.

وما بين الحزن والفرج... ركعتان فقط قد تغيّر مسار حياتك.